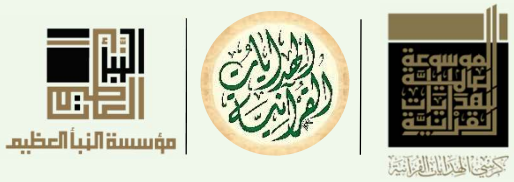

الجامع في الهدايات القرآنية

سورة يوسف

جمع واستنباط

نخبة من الأساتذة وطلاب العلم في التفسير والقراءات والحديث والعقيدة والفقه وأصوله واللغة العربية والتربية والعلوم الطبية وغيرها، من مختلف دول العالم عبر مجموعة واتساب متخصصة في الهدايات القرآنية

إشراف

أ.د. طه عابدين طه

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

رعاية

كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

ومؤسسة النبأ العظيم الوقفية بمكة المكرمة

قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ يوسف: [١-٢].

١. فيها أن القرآن الكريم منزل من جنس الحروف التي نتكلم بها ومع ذلك عجز الخلق عن الاتيان بمثله.

٢. تفيد: منزلة، ومكانة القرآن الكريم، وأنّه كتاب له عنايته وخصوصيته بين سائر الكتب ﴿تِلۡكَ﴾.

٣. فيها: إعجاز غيبي في تسمية القرآن بـ (الكتاب)، والسورة مكية ولم يكن قد نزل القرآن كاملاً.

٤. تفيد أهمية العناية بكتابة القرآن الكريم وحفظه في السطور.

٥. فيها: كون القرآن الكريم مبيناً معجزة وآية للنبي صلى الله عليه وسلم، وهدى، ورشاد، وقصص.

٦. فيها: هنا في (سورة يوسف) (المبين) وفي يونس، ولقمان(الحكيم). أنسب، لأنّ هنا مجال بيان وتفصيل.

٧. تفيد: أنّ القرآن الكريم تفرد بأوصاف عظيمة فهو الكتاب المبين، والحكيم، والعزيز والكريم، والمجيد، ونحو ذلك مما يرغب في تعلّمه والعمل به.

٨. تفيد: وصف القرآن بكونه مبينا من عده أوجه كما بيَّن الفخر الرازي: -رحمه الله-

الأوَّل: أنّ القرآن مُعجِزةٌ قاهرةٌ، وآيةٌ بيِّنةٌ لمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم.

الثاني: أنّه بيَّنَ فيه الهدى والرُّشد، والحلالَ والحرامَ، ولَمَّا بُيِّنَت هذه الأشياء فيه، كأنّ الكتابُ مُبِينًا لهذه الأشياء.

الثَّالث: أنّه بُيِّنَت فيه قَصصُ الأوَّلينَ، وشُرِحَت فيه أحوالُ المتقدِّمينَ.

٩. تفيد: صفة علو الله سبحانه وتعالي علوًا يليق به عز وجل﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾.

١٠. تفيد: أهمية فهم، وتدبر القرآن الكريم، وفقه معانيه، وهذه من مقاصد نزوله باللغة العربية، وأنّ الذين يقولون بأنّ القرآن لا يفهم، ولا يفسر منحرفون عن الهدى المستقيم.

١١. تفيد: الرد على من أنكر أنّ القرآن منزل من عند الله تعالي وعز وجل " والتَّأكيدُ بـ (أنّ) مُتوجِّهٌ إلى خبَرِها، وهو فِعْلُ أنْزَلْنَاهُ؛ ردًّا على الَّذين أنكَروا أنّ يَكونَ مُنزَّلًا مِن عندِ اللهِ"(١).

١٢. فيها: دلالة على فصاحة اللسان العربي؛ ولذلك اللغة العربية من اللغات الثرية بالمفردات والاشتقاقات والتصاريف. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

١٣. فيها: تشريف اللغة العربية حيث اختارها الله تعالى فأنزل بها كتابه العزيز ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

١٤. فيها: أنّ القرآن لا يكون إلا باللغة العربية ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾.

١٥. فيها: أنّ اللغة العربية هي الأفضل، والأكثر يسراً، وبياناً وشرحاً، وفهماً لكلام الله، ولدينه الخاتم الذي رضيه للبشرية جمعا.

١٦. فيها: شرف اللغة العربية فكما أنّ الرسالة لعامة الناس فقد شرف الله اللغة العربية لتكون لغة القرآن واللغة الخالدة كخلود القرآن والمحفوظة من الضياع

١٧. فيها مدح الله للغة الإنزال، فنزل بخير لغة مع خير ملك لخير رسول وأمة، وهذه أحدى خمس صفات للقرآن كما في سورة الشعراء، حيث ذكر الله تعالى، المنزل بكسر الزاي وهو الله، والمنزل: بفتح الزاي وهو القرآن، والنازل به: وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، والمكان الذي نزل فيه: وهو قلب النبي، واللغة التي نزل بها: وهي اللغة العربية، في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ الشعراء الآيات[١٩٢-١٩٥].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠١/١٢.

١٨. تفيد: كمال علم الله وحكمته أن جعل اللسان العربي وعاءً لكتابه، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على " أنّ اللسان العربيَّ أفصَحُ الألسنةِ وأوسَعُها وأقوَمُها وأعدَلُها "(١).

١٩. فيها: أنّ الوسائل لها أحكام المقاصد، وأنّ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وأنّ تعلّم اللغة وسيلة لتعلّم الدين الذي كلفنا بتعلمه، فيجب تعلّم ما نفهم به ديننا.

٢٠. فيها: البشرى ببقاء العربية ما بقي القرآن يُدرَسُ ويُتعلَمُ. ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

٢١. وفي قوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾أنّ العلم بالتعقل، أي: أنّ القرآن واضح يفهمه حتى البسطاء.

٢٢. تفيد: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنّ أهل القرآن المقبلين عليه، والمهتمين به رواية، ودراية هم أكمل الناس عقولاً وذلك لأنّ إنزال القرآن "هو سببٌ لحُصولِ تَعقُّلٍ لأشياءَ كثيرةٍ مِن العلومِ مِن إعجازٍ وغيرِه"(٢).

٢٣. تفيد: منزلة، ومكانة، وأهمية العقل إذا استخدم في فهم الوحي.

٢٤. تفيد: أهمية التفسير الاجتهادي العقلي، وأثره في فهم واستنباط معاني وهدايات القرآن الكريم.

٢٥. تفيد: أنّ سلوك الطرق الفلسفية في تعليم معاني القرآن الكريم يخالف مقصد نزوله بلسان عربي مبين.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾يوسف: [٣].

٢٦. تفيد: تعظيم الرب جل وعلا؛ لقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والإجلال، وتدل على عظمة وفضل ما قصه الله عزّ وجلّ في هذا القرآن.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/١٠.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٠٢/١٢.

٢٧. فيها: التنويه بمنزلة القصص القرآني عموماً وقصة يوسف خصوصاً لقوله ﴿نَحۡنُ﴾فنون العظمة للتنويه للأمر الهام الذي سيأتي، وهو بيان قصة يوسف عليه السلام.

٢٨. فيها: رد على من زعم ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ النحل [١٠٣] لقوله: ﴿نَقُصُّ﴾أي: نحن الذين نقص لا غيرنا.

٢٩. فيها: تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإثباتها بأقوى برهان عقليّ وأعظم دليل نقليّ"[(١)].

٣٠. فيها: أنها ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾لما فيها: من تنقلات من محنة إلى منَّة، ومن ذلّ إلى عز، ومن رقٍّ إلى ملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وائتلاف، ومن حزن إلى سرور، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة، ومن أنّكار إلى إقرار... فتبارك من قصها فأحسنها، ووضحها وبيَّنها"[(٢)].

٣١. تفيد: أهمية تعلم قصص، وأخبار القرون الماضية، وأخذ الدروس، والعبر منها، والانشغال بذلك هو الأنفع للأمّة مما شغلت به اليوم من المسلسلات، والروايات وغيرها.

٣٢. فيها: أنّ ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنّ المراد به قصة يوسف فيه نظر وإنّما كما قال شيخ الإسلام: [(٣)]:"والمقصود هنا أنّ قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص المراد : الكلام الذي هو أحسن القصص، وهو عام في كل ما قصه الله، لم يخص به سورةَ يوسف، و لهذا قال بما أوحينا إليك هذا القرآن، ولم يقل: بما أوحينا إليك هذه السورة".

٣٣. فيها: أنّ حسن القصة من جهات عدة منها: أنّ مصدرها من الله، وكونها حق وواقع، وحسن سردها، وإيجازها، وبلاغة لفظها، وأداؤها للمعنى على أتمّ وجه، وإعراضها عن ما لا فائدة

---

(١) أيسر التفاسير ٢/٥٩٣.

(٢) تفسير السعدي ١/٤٠٧.

(٣)مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٩).

من ذكره، وعن سيء الألفاظ، وغريب الكلام وما صعب منه، مع تسلسل أحداثها، وجمال افتتاحها، وختامها، والإشارة إلى ما يستفاد منها، وزيادتها للإيمان، وتقريرها لمحاسن الأخلاق ومكارمها، وأثرها النفسي، والقولي، والفعلي على الروح والجسد، ونحو ذلك من المحاسن التي لا حصر لها، والتي لا توجد مجتمعة إلا في قصص القرآن.

٣٤. تفيد: هذه الجملة من الآية الكريمة في قوله ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾وصف هذه القصة بغاية الحسن لإفادة أفعل التفضيل.

٣٥. فيها: أنّ كلام الله تعالى يتفاضل باعتبار معانيه ودلالاته، ولذا فضّلت آية الكرسي وسورة الإخلاص، والفاتحة.

٣٦. فيها: أنّ قوله: ﴿أَحۡسَنَ﴾يدلّ على التمام والكمال في القصة فلا داعي فيها: للمزاعم والاسرائيليات، التي تخالف شرعنا.

٣٧. فيها: أنّ القرآن كاف عن كل ما سواه من الكتب ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[1].

٣٨. فيها: أنّ على الدعاة، والوعّاظ، والمربين العناية بالقصص القرآني، وما فيه من عظات وعِبر.

٣٩. فيها: تنوّع أساليب القرآن الكريم، وأنّ القصة أسلوب تعليمي قرآني، ونبوي.

٤٠. فيها: أهمية قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، لوصف المولى عز وجل لها بأحسن القصص.

٤١. فيها: ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾تعريض بالمشركين المعرضين عن هدي القرآن.

٤٢. تفيد: عظم منّة الله على عبده صلي الله عليه وسلم وأمّته بنزول القرآن﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

٤٣. تفيد: أنّ تعلّم القرآن الكريم أعظم ما تعالج به غفلة النفوس.

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٦٦.

٤٤. تفيد: أهمية ومنزلة، ومكانة القرآن، وأثره في حياة النبي عليه الصلاة والسلام، وفي حياة كلّ من يتعلمه.

٤٥. تفيد أثر الجهل في توريث الغفلة، وأن العلماء هم أقل الناس غفلة في الحياة الدنيا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ يوسف: [٤].

٤٦. فيها: النِّداءُ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾في الآية- مع كَوْنِ المنادَى حاضِرًا- مقصودٌ به الاهتمام بالخبَرِ الَّذي سيُلقَى إلى المخاطَبِ، فيُنزَّلُ المخاطَبُ منزِلةَ الغائبِ المطلوبِ حُضورُه، وفيه كِنايةٌ عن الاهتمامِ.

٤٧. فيها: أن العلاقة بين الوالد وولده تذوّب كلّ الرّتب والألقاب والتشريفات، ليس ثمّة إلا ابن لأبيه، أو أب لابنه، وإلا فيعقوب عليه الصلاة السلام نبي الله فلم يذكر اسم نبوّته في مقام أبوّته.

٤٨. في تكريرها مرتين﴿رَأَيْتُ..رَأَيْتُهُمْ﴾لتأكيد الرؤيا وهو تنويع للحديث وهذا من براعة القرآن الكريم.

٤٩. تفيد: رؤياه هذه إشارة إلى أنّ الله تعالى هيأه للنبوة فابتدأه بالرؤيا الصالحة.

٥٠. فيها: أن من رحمة الله تعالى أنه إذا أراد أمراً من الأمور العظام، قدّم بين يديه مقدمة، توطئة له، وتسهيلا لأمره، واستعدادا لما يرد على العبد من المشاق، لطفا بعبده، وإحسانا إليه"[(١)].

٥١. فيها: قرب الوالد على عظم مهماته من ولده في طفولته، حتى يفضي إليه بمكنونات نفسه وأحلامه.

٥٢. فيها: جواز قص الرؤيا لمن تثق في علمه، وحبّه لك.

٥٣. فيها: ضرورة توفير الأمان النفسي للأطفال، حتى يعبروا عن الرؤى التي تشغلهم.

٥٤. فيها: أهمية وجود التواصل بين الآباء والأبناء نظراً لحاجة الأطفال للتعبير عن حالتهم.

---

(١) تفسير السعدي١/٣٩٣.

٥٥. فيها: أنّ أباه لديه علم بتأويل الرؤيا، وأنّ يوسف يعلم عن أبيه ذلك، وعلم الأبناء عن علوم آبائهم منقبة.

٥٦. فيها: أنّ الرؤية يطلب تعبيرها من عالم بتعبير الرؤيا، أي من أهل الاختصاص ولا تعرض على غير أهل الاختصاص، كما فعل ملك مصر لذلك أجابوه بجهلهم: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يوسف: [٤٤].

٥٧. فيها: رؤيا الأنبياء حق، ويجب الإيمان بها.

٥٨. فيها: بركة الابن الصالح على الأهل جميعاً.

٥٩. تفيد اهتمام الأطفال بالمحسوسات (الشمس والقمر) وانتباههم للحركة غير الطبيعية ﴿رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾، ولذلك ينجذب الأطفال للرسوم المتحركة، والقصص الخيالية المصورة، وهذا يقتضي من الآباء المزيد من العناية، والقرب من الأطفال من أجل إرشادهم بما يناسب خصائصهم، كما فعل يعقوب مع يوسف عليهما الصلاة والسلام.

٦٠. فيها: تأخير الشمس، والقمر، لفضلهما وميزتهما، وهو من باب الترقي من الأدنى للأعلى.

٦١. فيها: تقديم الشمس على القمر لقوة ضوئها، وكبر حجمها، وفيه تنويه لعظم حق الأم فأنّه أكثر من الأب.

٦٢. فيها: العناية بعلم التعبير وأنّه من علوم الأنبياء.

٦٣. فيها: من لطف الله بالعبد الرؤى الصالحة التي تهيء العبد لاستقبال الشدائد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ يوسف: [٥].

٦٤. فيها: بيان شفقة الوالد على ولده.

٦٥. فيها: التحبّب والتودّد للأبناء ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ تصغير بني للشفقة والملاطفة.

٦٦. فيها: بيان أنّ الأخوة، والقرابة قد يقع منهم الحسد.

٦٧. فيها: جواز كتم النّعم وعدم إظهارها لمن يخشى منه الحسد، ووقوع المكروه.

٦٨. فيها: النعمة على العبد نعمة على أهله وأقاربه.

٦٩. وفي الآية دَلِيلٌ عَلى أنّ أمْرَ الرُّؤْيا مُشْكِلٌ، فَلا يَنْبَغِي أنّ تَقُصَّ إلا عَلى شَفِيقٍ ناصِحٍ"[١].

٧٠. فيها: كل جسد فيه حسد، فالكريم يخفيه واللئيم يبديه.

٧١. وفي الآية دَلِيلٌ عَلى جواز الغِيبَةِ لِلنَّصِيحَةِ؛ بَلْ هي مِمّا يُنْدَبُ إلَيْهِ.

٧٢. فيها: الجمع بين النهي والتعليل، لكي يطمئن القلب، وهو أدعى للامتثال، ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ فهكذا ينبغي للداعية، أنّ يعلل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لسبطه عندما أخذ منه تمرة الصدقة قال له: ((كخ كخ)) ولم يكتف بالنهي فقط بل زاد: ((أما علمت أنّا لا نأخذ الصدقة))[٢].

٧٣. تدل: الآية الكريمة على قاعدة سد الذرائع، وهي قاعدة عظيمة في الدين، فسد الذرائع على ما يفضي إلى ما لا يحمد عقباه حتم، وقد تيقظ لها نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام.

٧٤. فيها: بيان عداوة الشيطان القديمة للإنسان: والسعي في تزيين المعاصي وإيقاع الناس فيها.

٧٥. فيها: الاحتياط عند توقع الضرر وحصافة المؤمن وفطنته.

٧٦. فيها: حسن تربية الأنبياء، حيث حرص يعقوب عليه الصلاة والسلام على عدم غرس الحقد في نفس ولده، فأرجع سبب الكيد للشيطان.

٧٧. تفيد: أنّ الأب الحكيم يعرف كيف يدير أمور أولاده بما يخفف وقع الشر بينهم.

٧٨. فيها: حرصه على جمع شملهم، وعدم إظهار ما يكدر صفوهم، ويشعل نار الحقد، والحسد بينهم.

٧٩. تفيد: هذه الجملة من الآية: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ شدّة عداوة الشيطان لبني آدم، فهو بيّن العداوة، ومظهر أيضاً لها، كلّ ذلك يستفاد من قوله﴿مُّبِينٞ﴾ لأنّ "أبأنّ" الرباعية تصلح

---

(١) البقاعي٤/١١.

(٢) أخرجه البخاري ٢/١٢٦، ومسلم٢/٧٥١ .

للمعنيين، والقاعدة حمل النص على ما يحتمله من المعاني إذا كان لا منافاة بينها ولا ترجيح، ولازم كلام الله ورسوله مراد، فلا يلزم منهما إلا حقا.

٨٠. فيها: أنّ الشيطان، يحض على العداوة، والبغضاء، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

٨١. تفيد: أدب التماس الأعذار للناس.

٨٢. تفيد أهمية التوجيه المستمر من الأب لأبنائه حتى الصغار منهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يوسف: [٦].

٨٣. عطف هذا الكلام على تحذيره من قصّ الرؤيا على إخوته إعلاماً له بعلوّ قدره، ومستقبل كماله، كي يزيد تملياً من سموّ الأخلاق فيتسع صدره لاحتمال أذى إخوته، وصفحاً عن غيرتهم منه، وحسدهم إيّاه ليتمحّض تحذيره للصلاح، وتنتفي عنه مفسدة إثارة البغضاء ونحوها، حكمة نبويّة عظيمة، وطبّاً روحانياً ناجعاً"(١).

٨٤. إذا كان تعليم تأويل الرؤيا اجتباء، فتعليم تأويل القرآن من أعظم الاجتباء الذي ينبغي للعبد أنّ يشكر ربه عليه، ويحرص على الزيادة فيه.

٨٥. تفيد: بضميمة ما قبلها فقه بعث التفاؤل، والبشارة؛ وذلك بنقل يوسف عليه السلام إلى الجانب المشرق، وهو الاجتباء، والاصطفاء، فيهون عليه ما يحفه ويحيطه من عظيم الابتلاء ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

٨٦. فيها: دلالة على أنّ الرؤيا درجة من درجات النبوة، ووسيلة من وسائل الوحي.

٨٧. تفيد: أنّ الابتلاءات التي يمر بها المؤمن في حياته لا تدل على أي نقص من درجة القرب والاجتباء.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢/٢١٥.

٨٨. فيها: أنّه لما اكتملت النّعمة على يوسف عليه السلام حصل لآل يعقوب، عزّ وتمكين بسبب يوسف.

٨٩. فيها: أنّ النّبوة اصطفاء، واجتباء وليست توريثا، واحتكارا على بيوتات بعينها.

٩٠. فيها: أهمية الرباط الأسري، وأثره في التربية وتنشئة الأجيال لاسيما عندما تكون الأسرة على دين وسمت، وخلق وأعمال جليلة ﴿ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ وقوله ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ﴾.

٩١. فيها: فقه التربية بالقدوة والأسوة من صالحي الآباء ليحتذي حذوهم، ويقتدي بهم الأبناء ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾.

٩٢. تفيد: أنّ الاصطفاء، والاجتباء لا بد له من مقومات أعظمها في التفرد، والإضافة العلمية التي لا تكون عند غيرك غالبا.

٩٣. تفيد: الآية أنّ الله تعالى يختص، ويصطفي من خلقه من يشاء بعلم تام، وحكمة تامة، فلا ينبغي أنّ يدخل الحسد، والنظر إلى ما عند الناس فيما أكرمهم الله تعالى به، وأنّ كل ذلك نوع من الاعتراض على علم الله وحكمته.

٩٤. فيها: غرس معرفة فضل الله، ونعمته في نفوس الأبناء؛ لقوله: ﴿رَبُّكَ﴾.

٩٥. تفيد: أنّ تمام النّعمة الواحدة على العبد تستوجب مزيدا من الشكر.

٩٦. فيها: أن من أعظم ما يربي الله به العبد، ويمنّ عليه به العلم المتعدي النفع.

٩٧. فيها: النعيم في هذه الدنيا حقيقة هو تنعّم الروح بالعلم، واليقين الموصل أثره لنعيم الآخرة.

٩٨. منها: أعزّ ميراث يورثه الأجداد لأبنائهم هو الدين، والعلم الصالح المعطر بالحكمة، والثناء الحسن.

٩٩. فيها: أنّه لما كان الحديث عن علم الرؤى، وتعليمها، والاصطفاء، والاجتباء، -وكلها تحتاج للعلم أولاً ثم الحكمة في الاختيار- ناسب المقام تقديم العلم ثمّ الحكمة.

١٠٠. تفيد: أهمية استحضار نعمة الله تعالى على العبد، فيعقوب عليه الصلاة والسلام بعد ذكره إتمام النعمة على يوسف، عقّب بالاعتراف على نعمة الله تعالى على آبائه عموما.

١٠١. فيها: صلاح الآباء له أثر على صلاح الأبناء.

١٠٢. تفيد: وبضميمة ما قبلها: أنّ الأب، أنصح الناس، وأشفقهم؛ لأنّه فهم الرؤيا التي رآها ولده، ثم حذره من قصها على إخوته.

١٠٣. فيها: فرح الآباء بمسير أبنائهم على مناهجهم.

١٠٤. ومنها: من تمام عناية الله بالعبد، ونعمته عليه رؤيته لصلاح أبنائه، وأحفاده، وسلوكهم لمنهجه عندما تنقطع به السبل.

١٠٥. فيها: أنّ ربط الأبناء والأقوام بعمل الآباء، ومنهج الأجداد الصالح هو منهج قويم في ربط الأخلاق بالأسلاف، وتثبيت للأجيال على الحق.

١٠٦. تفيد: عظيم منّة الله تعالى على الأنبياء المذكورين في هذه الآية خصوصا، وآل يعقوب عموما لما أنعم عليهم من النعم وأرسل فيهم من الرسل.

١٠٧. تفيد: أنّ الجد، " أبٌ ". ونقل الإجماع على هذا، وفي الحديث: ((أنا النّبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب))[(١)].

١٠٨. فيها: إشارة إلى الثناء على يوسُفَ عليه الصلاة والسلام، وأنّه أهل لمثلِ تلك الفضائلِ وفق علم الله، وحكمته. ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ يوسف: [٧].

١٠٩. تفيد: مشروعية القسم للأمور المهمة؛ أخذًا من اللام الموطئة للقسم في قوله: ﴿۞ لَقَدْ﴾.

١١٠. تفيد: أنّ الخبر قد يؤكّد بثلاث مؤكدات، اللام، وقد، والقسم المقدر.

١١١. تفيد: أسلوباً بيانياً في الخطاب الفصيح وهو المقدمة، أو التمهيد قبل البدء في المضمون.

---

(١) أخرجه البخاري٤/٣٠، ومسلم ٣/١٤٠٠.

١١٢. تفيد: صحة ما ذكره النحويون، من مجيء " في" للظرفية المجازية كما أنّها تأتي للظرفية الحقيقية لقوله ﴿فِي يُوسُفَ﴾وكما في قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ البقرة:[١٧٩].

١١٣. في تخصيص يوسف عليه الصلاة والسلام بالذكر، وإبهام إخوته يدل على رفعة مكانته عند ربه، وأنّ أكثر العبر في القصة متعلق به.

١١٤. يفيد: تخصيص ﴿فِي يُوسُفَ﴾آيات للسائلين مع أنّ لغيرهم أيضاً كذلك، لأنّ العرب تكني عن الشيء وأنّ لم تجر له ذكرا، إذا كان معلوما كقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة))[١] ولم يسبق للكفار ذكر في الحديث وكقول. الشاعر:

ولا أدري إذا يممت أرضـــا أريـد الخير أيهمـا يليني
أألخـير الـذي أنّا أبـتـغيـه أم الشـــر الـذي هو يبتغيني

١١٥. فيها: مخالفة ترتيب الجملة الاسمية، حيث أنّ الترتيب تأخير الخبر، كما قال ابن مالك في الخلاصة: والأصل في الأخبار أنّ تؤخرا.. البيت.. والذي سوّغ جواز تقديم الخبر في الآية الكريمة إنّما هو مجيء الخبر شبة جملة، فيجوز تقديمه إذ لا محذور في تقديمه، فلا لبس ولا ضرر.

١١٦. تمييز ذكر يوسف، وعطف إخوته عليه تكريم، وإعزاز فالله سبحانه يعز من يشاء حتى ولو سعى كلّ ساع في إذلاله.

١١٧. مهما بلغت الخصومة بين الأخوة فلا تنفي عنهم هذه الآصرة الوثيقة ﴿وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾.

١١٨. تفيد: أنّ بوابة العلم السؤال.

١١٩. تفيد: أنّ من ينتفع بالعلم هو المقبل عليه الباحث عنه.

١٢٠. تفيد: الحث على أخذ الدروس، والعبر من قصص القرآن الكريم.

١٢١. تفيد: أهمية تدبر هذه القصة على وجه الخصوص، واستخلاص العبر والدروس منها.

---

(١) أخرجه البخاري ٧/٧٧.

١٢٢. تفيد: أنّ في قصة يوسف عليه السلام حلولاً وأمثلة لمن وقع بينه، وبين إخوته ما يعكر صفو الوداد.

١٢٣. الآية أصل في التدارس، وطرح التساؤلات في العلم، فقد جعل الله قصة السورة إجابة للسائلين.

١٢٤. ففيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾، أي: للطالبين؛ ومنه قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[فصلت: ١٠].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف: [٨].

١٢٥. ما تضمره القلوب تظهره الألسنة.

١٢٦. القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها ومغارفها ألسنتها، وكذا حال إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام، غرفت ألسنتهم، وأظهرت حجم كرههم ليوسف عليه السلام، فبدؤوا به لينسبوا سبب تفضيل أبيهم له، لا لأبيهم نفسه، مع أنّه لا ذنب له في ذلك، ثم قالوا: ﴿وَأَخُوهُ﴾، مع أنّه وإن كان شقيق يوسف إلا أنّه أخوهم أيضاً.

١٢٧. فيها: إشارة إلى أنّ الرشد لا يشترط بسن معين، فقد يسبق الصغير الكبير.

١٢٨. فيها: أثر الصحبة وخطورتها في التأثير على الفرد لقوله: ﴿إِذْ قَالُواْ﴾.

١٢٩. تفيد: أنّ الإقرار، والموافقة تجعل القول ينسب للجميع؛ لقوله: ﴿إِذْ قَالُواْ﴾ فنسب القول إليهم مع أنّ الظاهر أنّ بعضهم قاله وأقره الباقون.

١٣٠. تفيد: وبضميمة ما قبلها: أخذ نصيحة الوالد، وأنّ الله يخلق ما يشاء من الأحداث ليصدّق كلامه ونصيحته؛ حيث قال أبوه -عليهما الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾، ثمّ كان من حديثهم وفعلهم ما شاء الله.

١٣١. تفيد: أنّ قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور لهي قاعدة أغلبية، وليست مطردة، فقد يقع في اللغة النقل إلى أبعد مذكور كما في هذه الآية في قوله ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ فهو يعود إلى الإخوة بقرينة قولهم ﴿أَبِينَا﴾، مع أنّ "السائلين" هي الأقرب إلى الضمير.

١٣٢. فيها: تحذير من تهويل الشيطان للقضايا اليسيرة، واستغلالها بابا من أبواب إفساد ذات البين.

١٣٣. تفيد: أنّ غالب المشاكل الأسرية تبدأ بفكرة خاطئة، أو ظنّ غير سليم، أو قضية صغيرة يضخمها الشيطان ليفسد الود بين الأقرباء، فكل هذه القصة بما جرى فيها من أحداث عظيمة بدأت بقولهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾.

١٣٤. فيها: أنّ البيوت لا تسلم من المشكلات حتى ولو كانت صالحة.

١٣٥. تفيد: أنّ البيوت الكريمة ينبغي أنّ تكون حذرة عن ما يفسدها، ويهدم العلاقات بين أفرادها، فبيت يعقوب عليه الصلاة والسلام هو نموذج للبيت المسلم في الأرض فانظر كيف صرفهم الشيطان بهذه القضية عن رسالتهم السامية مع والدهم.

١٣٦. منها: أبناء العلات مهما بلغوا لا تخلوا قلوبهم من الغيظ إلا من رحم الله وهذا موضع اجتهاد، وصبر، ومدافعة لوساوس الشيطان.

١٣٧. تفيد: أنّ العاقل يتهم نفسه بالتقصير قبل أن يتهم غيره، فكان الأولى بهم البحث عن سبب هذا الحب، وما كمل فيه وما نقصهم منهم قبل إصدار الحكم.

١٣٨. تفيد: أنّ الجريمة يسبقها تحريض وتشويش في نفس المجرم، فعلى العاقل إلا ينجر مع ذلك كي لا يقع في الجرائم.

١٣٩. ومنها: المحبة رزق يقسمه الله في القلوب لا يد للشخص فيه.

١٤٠. فيها: أنّ محبة القلب تظهر وتعرف وأنّ كتمها الإنسان، ولذلك عرفوا محبة يعقوب عليه الصلاة والسلام ليوسف وأخيه عليهم السلام.

١٤١. تفيد: أنّ تضخيم الأمور من الشيطان، وهو يقود إلى ما لا يحمد عقباه، فعلينا أن نعطي الأمور حجمها الطبيعي عند النظر فيها ومحاولة حلها.

١٤٢. تفيد: أنّ أي ادعاء لا يقوم على برهان فهو باطل فهذه الدعوة قامت على ظن منهم لم يذكروا عليها برهانا والظن أكذب الحديث، ثم بنوا عليها حكما وهو ضلال والدهم، ثم فكروا في قتل أخيهم وهو لا ذنب له غير محبة والدهم له.

١٤٣. فيها: أنّ شر المحاورات التي تنتهي بالمؤامرات.

١٤٤. تفيد: خطورة المسارعة في تضليل الآخرين خاصة إذا كانوا أهل فضل، وخير.

١٤٥. ما يخفيه الآباء من تفاوت المشاعر يعلمه الأبناء ويقرؤونه في عيون والديهم، وأفعالهم، وأن أخفوه في أنفسهم.

١٤٦. فيها: أنّ الوالد معذور في المفاضلة بين الأبناء فيما لا يملكه من المشاعر.

١٤٧. أهمية المحبة؛ لأنّ إخوة يوسف نظروا لها في نفس أبيهم؛ ولأنّها يتبعها العطاء، والمكانة والقرب من الأب.

١٤٨. فيها: أنّه لم يكن عتابهم لأبيهم في مظلمة بل كان في الحبّ، والحبّ هبة من الله، فإذا أحبّ الله عبداً نادي جبريل عليه السلام أنّ الله يحب فلانا فأحبوه، ويجعل له القبول في الارض.

١٤٩. فيها: تأكيد على عدل نبيّ الله يعقوب عليه الصلاة والسلام، فقد كانت شكواهم من شيء لا يملكه، وهو الحبّ.

١٥٠. فيها: تأكيد على إظهار محبّة الأب لجميع أبنائه، (فأحبّ) أفادت حبّه لهم، لكن فضلّ غيرهم عليهم بمحبته.

١٥١. فيها: أنّ الحبّ لا يغادر مع تباعد الأجساد، وأنّ تناءت الديار وتباعد الزمان، فما زاد هذا البعد يعقوب عليه الصلاة والسلام إلا حبّاً، فيه وشوقاً إليه، ولا زال يشم رائحته بعد السنيين ذوات العدد.

١٥٢. تفيد: أنّه على الأغلب أنّ نفع العصبة أكثر من الواحد والاثنين، لكن الحبّ لا يتعلق بالمنافع.

١٥٣. تفيد أن الأبناء ينظرون إلى مكانتهم في نفوس آباءهم.

١٥٤. الابن يشعر بملكيته للأب ﴿أَبِينَا﴾.

١٥٥. فيها: أنّ هذه الآية اشتملت على اكتمال الشروط في إعراب الأسماء الستة بالحروف، وهو الأصل في إعرابها، فقد جاءت مرفوعة بالواو" في قوله﴿وَأَخُوهُ﴾ومجرورة بالياء في قوله، " ﴿أَبِينَا﴾ومنصوبة بالألف ﴿أَبَانَا﴾.

١٥٦. فيها: أنّ الغيرة قد تصل بصاحبها إلى الحكم الجائر في أقرب الأقربين.

١٥٧. تفيد: أنّ الغيرة خلق كغيره من الأخلاق، تكون محمودة إذا كانت للدِّين، وللعرض وللآداب، والأخلاق العامَّة الفاضلة، وتكون مذمومة إذا كانت نتيجة للغلِّ والحقد، والحسد، وأبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام عملوا بالغيرة المذمومة، فوقعوا في المحظور والشَّرِّ والمنكر، فضلَّلوا أباهم النَّبي المعصوم، ومكروا بأخيهم.

١٥٨. ومنها: أنّ الغيرة لا تأمن على كبير حتى ولو كان من صغير، وهي سبب لتغييب العقل وضبط النفس إذا لم يذللها صاحبها.

١٥٩. تفيد: أنّ الغيرة بين الإخوة، وكذلك بين النساء تعمي أحيانا عن الحق ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾.

١٦٠. فيها: تأكيد على أنّ الحسد من أمهات الكبائر.

١٦١. تفيد: أنّ من لا يريد الحق لا يراه، فالأنبياء معصومون لا يمكن أن يكون تفضيله لهما بظلمه لهؤلاء، لكنهم نصوا على الحب الذي هو قطعا ليس لمخلوق فيه تدخل، والقلوب بيد الله تعالى، فلاموا أباهم على ما ليس في يديه.

١٦٢. تفيد: أنّ على العاقل أن يعلم المراتب الحقة للتفضيل؛ فهم هنا رأوا أنّهم أحق بالحبّ لأنّهم عصبة، وليس هذا سببا كافيا للحبّ.

١٦٣. تفيد: أنّ الحق لا يشترط فيه كثرة.

١٦٤. تفيد: منزلة القوة الجسدية والعقلية والوحدة والاجتماع﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾.

١٦٥. تفيد: أنّ ميزان الحبّ، والبغض لا يقوم على الكثرة، والمنافع المادية غالبا﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ وإنّما يقوم بالصفات المعنوية، كالعقل والحكمة والعلم والخلق، وهذا ما تميّز به يوسف عليه الصلاة والسلام، وملك به قلب أبيه في الميل عليه أكثر، إذا صحت الدعوة التي أطلقوها.

١٦٦. فيها: أنّ الأقوال تتحوّل لأفعال؛ لأنّها أنّما صدرت عن اعتقاد، وقد حوّل إخوة يوسف كلامهم وغيرتهم لأفعال.

١٦٧. حكم الأبّ على الابن يأتي من العطف والمحبّة، أمّا حكم الأبناء على الآباء يأتي من أخذهم لحظوظ أنفسهم من والديهم﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

١٦٨. فيها: أنّ الأبناء يطلقون أحكاماً على تصرفات آبائهم ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ولكن ليست بالضرورة أن تكون صائبة؛ ولذلك ينبغي على الآباء الصبر، وبذل الجهد لتصحيح تلك المفاهيم الخاطئة، وليس السعي لعقابهم، أو إهمالهم، والدليل على ذلك حسن تعامل يعقوب عليه الصلاة والسلام مع أبنائه على الرغم من وجود تلك الاتجاهات السالبة منهم تجاهه.

١٦٩. فيها: أنّهم قصدوا بالضلال عدم وضع الأمور موضعها، وليس ضلال العقيدة، والدين كما يظهر من السياق، لكن كان الأولى أنّ ينزهوا أباهم عن ذلك لاسيما أنّه نبيّ.

١٧٠. تفيد: العذر بسبق اللسان، فإنّ هؤلاء الإخوة لم يريدوا بقولهم﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ما يتبادر إلى الذهن، بل لم يطرأ ذلك على بالهم أصلاً.

١٧١. يؤخذ منها: أهمية تعلّم معاني القرآن؛ لأنّ الضلال هنا، بمعنى: الخطأ؛ لا كما قد يتوهمه البعض في حق نبيّ من أنّبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

١٧٢. تفيد: أنّ إطلاق الأحكام العامة بتسرع وعجلة وكذب موجود من قديم التاريخ فلا تأبه بسفهاء الأحلام الذين لا يتركون مسلما إلا ضللوه، أو فسّقوه من غير وجه حق.

١٧٣. تفيد: أنّ القول القبيح يجر إلى الفعل القبيح، فليجتنب العاقل الأوّل كي لا يقع في الثاني.

١٧٤. ترشد الآية إلى قاعدة مهمة في التعامل مع الأخبار، وهي: أنّه ليس كل اتهام مؤكد لفظيا من شخص يدعي المعرفة صحيحٌ.

١٧٥. تفيد: أنّ على الإنسان أن يتهم رأيه ولا يعتد به، فحجم المؤكدات في هذه العبارة تدلك أنّهم ما كانوا يشكون في أنّ الحق لهم، وما ترددوا في أنّ أباهم ضال، وما راعوا أنّه نبيّ، ولا أنّهم مخطئون، ولا أنّ هذين أخويهم ولا إلى ما فعلوه.

١٧٦. تفيد: خطورة تعظيم الذات، وعدم هضم النفس في مقام التواضع خاصة في حضرة الوالدين ﴿أَبِينَا﴾ ﴿مِنَّا﴾ ﴿وَنَحْنُ﴾ ﴿إِنَّ﴾.

١٧٧. فيها: أنّ الحذر لا ينفع مع القدر، فيعقوب عليه الصلاة والسلام مع حرصه وأمره يوسف إلا يقص على إخوته الرؤيا إلا أنّهم كادوه وأصبح كيدهم له محور قصة يوسف عليه الصلاة والسلام.

١٧٨. من فوائدها العقدية أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يعلمون الغيب، فيعقوب لم يكن يعلم ما يدور في قلوب أبنائه من غيرة وحسد ليوسف عليه الصلاة والسلام ولو علم لسعي لإصلاح فهمهم الخاطئ.

١٧٩. تفيد خطورة اتهام الأنبياء والصالحين من عباد الله بأي نوع من أنواع الضلال.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ يوسف: [٩].

١٨٠. مناسبة الآية لقوله تعالى: ﴿ٱقْتُلُوا۟﴾ كالمقدمة لتتأثّر نفوس السّامعين فإذا ألقي إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال إليه"[(١)].

(١) التحرير والتنوير ٢٢٢/١٢.

١٨١. تفيد: خطورة الخطط الماكرة في عقول المستمعين حيث خيرهم بين أمرين كأنّه لا مجال لثالث، وبدأ بالأخطر ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ ليقبلوا بالأدنى ﴿أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾، وكثيراً ما يستخدم في الإعلام اليوم مثل هذا الأسلوب لتمرير الأمور العظيمة التي لا تُقبل عقلاً ولا شرعاً.

١٨٢. تفيد: أنّ النتيجة الخطأ تورث التفكير والفعل الخطأ، لأنّ الشيطان استدرجه من الأولى لهذه الثانية.

١٨٣. تفيد: أنّ الذي لا يفكّر في غير نفسه لا ينظر في أثر فعله على الآخرين، فهؤلاء لم يفكروا في أثر هذا الفعل على والدهم، ولا أخوهم الصغير الضعيف.

١٨٤. فيها: بيان ما أجمع عليه إخوة يوسف عليه السلام من أمور عظيمة ومفاسد كبيرة من عقوق الوالد وانعدام الشفقة بالصغير الذي لا ذنب له، والتفريق بينه وبين أبيه.

١٨٥. فيها: بيان ما في قلوب إخوة يوسف عليه السلام من الحقد الدفين، وما كان من نزغ الشيطان لهم حيث سوّل لهم، وأملى لهم.

١٨٦. فيها: أنّه ليس كلّ المجرمين على درجة واحدة من الفظاظة، والغلظة، والجهالة ففيهم من ينظر إلى المآلات، لذلك تتعدد لديهم الخيارات.

١٨٧. فيها: في كلمة: ﴿أَرۡضٗا﴾ نكرة، يعني أي أرض بعيدة عن العمران فالهدف إهلاكه.

١٨٨. فيها: أنّ البعد ينسي المحبة، ويضعفها ولذلك اقترحوا أن يطرحوه فيكون في أرض بعيدة فينساه والدهم، ويحبهم لأنّهم بقربه.

١٨٩. تفيد: أنّ الفاضل قد يبتلى بمن لا يعرف قدره فينتقص، فقد انتقص من هم خير منا فصبروا حتى آتاهم النصر، فقد أبى أهل القرية أن يضيفوا كليم الله عليه السلام، وأمّا يوسف عليه السلام فقد بيع بدراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين، وهو الكريم بن الكريم بن الكريم وفي هذه الآية " أرادوا قتله أو طرحه" وأما نبينا محمد ﷺ فقد حوصر في الشعب حتى سمع بكاء الصبية من الجوع

ذهب إلى ثقيف لكنه قوبل بالشتم والتعنيف رموه بالحجارة حتى أدمو عقبه، ناهيك عن قتل الأنبياء وسجنهم.

١٩٠. فيها: إشارة إلى أنّ الرقبة، والوجه في الإنسان يعبر به عن الذات، لأنّه في حكم المتصل، فالصلاة إذا عبر عنها بالسجود عُلم أنّ السجود ركن فيها، وإذا أضاف طلاق امراته إلى عضو لا ينفصل كالوجه، والرقبة، واليد، ونحو ذلك وقع، وإذا أضافه إلى شيء منفصل كالشعر والظفر فلا يقع وقل مثل ذلك في الظهار.

١٩١. تفيد: الآية الكريمة صورة من صور البلاغة وهي الكناية: في قوله تعالى: ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ففي الكلام كناية تلويحية عن خلوص المحبة، والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها.

١٩٢. تفيد: أنّ من استعجل شيئاً على وجه محرم عوقب بالحرمان، وقد قيل من طلب الكل فاته الكل، فلما أرادوا أن يكون أقبال أبيهم عليهم بالكلية، على وجه محرّم قال الله تعالى ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾.

١٩٣. فيها: أنّ الغاية لا تبرر الوسيلة ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾.

١٩٤. تفيد: خطورة بناء توقع النتائج المستقبلية على ظنون، وأوهام ومحاولة التوصل للمرغوب بغير المشروع ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ فيحبكم ولم يحدث ذلك بل زاد تعلقه بابنه وبعده عنهم لما شكّ في أمرهم.

١٩٥. تفيد: أنّ الأبناء يحبون الاستئثار بآبائهم ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾.

١٩٦. فيها: أنّ المنافسة الشريفة هي ما كانت بالوسائل الشريفة وليست بتعطيل المنافس أو محاولة عطبه.

١٩٧. فيها: تقديم العزم على التوبة قبل صدور الذنب منهم تسهيلا لفعله، وإزالة لشناعته وتنشيطا من بعضهم لبعض" [(١)].

١٩٨. تفيد: خطورة تزين القبيح وتهوين فعل المنكر من خلال قولهم﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾وهذا خطاب ترغيب﴿وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾وهذا تهوين لما يخشونهم ويرهبون منه.

١٩٩. فيها: تبرير الشيطان لهم بتزيين ارتكاب الجريمة، وذلك بتقديم التوبة قبل فعل الجريمة.

٢٠٠. فيها: دليل على أنّ توبة القاتل مقبولة.

٢٠١. إقحام لفظ: ﴿قَوۡمٗا﴾بَيْنَ كان وخبرها للإشارة إلى أنّ صلاح الحال صفة متمكّنة فيهم كأنه من مقوّمات قوميّتهم"[(٢)] وهو المدخل الذي من خلاله تمكّن الشيطان من الكيد لهم.

٢٠٢. وفيها: أهمية التوبة، فإنّهم عزموا على التوبة قبل الذنب، وكذلك المؤمن لا ينسى التوبة، وأن كان مرتكبا للخطايا.

٢٠٣. فيها: لا يحلّ مواقعة الذنب، ولو أضمر التوبة، بل يجب اجتنابه.

٢٠٤. تفيد أن الذي يسفك الدماء هو أبعد الناس عن الصلاح.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ يوسف:[١٠].

٢٠٥. تفيد: أنّ العبرة بالقول لا بالقائل، وبالمعاني لا بالمباني ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾.

٢٠٦. فيها: لا يحقرنّ أحدكم من المعروف شيئاً، فالكلمة قد تقال ويكون لها أثر في صرف مفاسد كبيرة.

٢٠٧. فيها: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فيحصل بتأخيره ضياع مصالح، أو حدوث مفاسد.

---

(١) تفسير السعدي١/٣٩٤

(٢) التحرير والتنوير.١٢/٢٢٤.

٢٠٨. فيها: فقه البديل إذا نهي المصلح عن شيء أتى بالبديل؛ لأنّ النفوس مجبولة على حبّ العوض والبديل.

٢٠٩. تفيد: أنّ من ابتلي بأشخاص من حوله ممن لديهم ميولاً شريرة، وتوجهات إجرامية، ورغبات فاسدة، وخصوصا إذا كانوا أكثر منه عددا ألا يصطدم بعنف معهم، وأن يقدر الأمور بقدرها، وأن يسعي في تقليل شرورهم، وخطرهم على الآخرين، من خلال توجيههم إلى وجهات مقبولة لديهم، ولكنها أقل خطورة، وأخف ضررا عليهم، وعلى غيرهم من الأفراد والمجتمع.

٢١٠. فيها: أنّ بعض الشر أهون من بعض، على قاعدة الأصوليين، في ارتكاب أخف الضررين كما عقد ذلك صاحب المراقي في قوله:

وارتكب الأخف من ضريـــــــن وخيّرن بين استواء هذيـــــــن

كمن على الجريح في الجرحى سقط وضـعف المكث عليه من ضـبط

٢١١. تفيد: بإشارة لطيفة إلى أنّه ينبغي ألا تترك، أو تخلى مجالس صنع القرار في أيدي الأشرار، والطغاة بحجة أنّهم الأكثرية، وأنّهم سيغلبون الأقلية في أطروحاتهم، واقتراحاتهم، فهذا أحد إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام صنع فرقا ملموسا في شأن التآمر على أخيه، وكان اقتراحه ورأيه سببا رئيسا في تغيير مجرى القصة كلها.

٢١٢. قد يستفاد من الآية أنّ الأنسب عند اجتماع الأمر والنهي أن يقدم النهي، وعليه فالأفضل في المنهيات القولية أن يقال مثلا "لا تقل، وقل" بدل "قل ولا تقل"، وعلى هذا جاء في الترتيب في قول الله تعالى" ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ البقرة: [١٠٤]، وهنا قال القائل: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ولهذا الترتيب أثر في الحث على الامتثال وترسيخ الشيء المراد تحققه.

٢١٣. قال أحسنهم رأيا، وأرحمهم بأبيه وأخيه، لا تقتلوه، فبعض الشر أهون من بعض، ففي القتل فناء وفي الطرح أمل للمطروح بحياة كريمة، وأمل للعودة لأحضان الوالد.

٢١٤. تفيد: أنّ القتل جريمة تنفر منها النفوس ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ومستنكرة في جميع الأديان.

٢١٥. تفيد: أنّ الناس لو تشاوروا في الباطل، أو السوء لاهتدوا إلى الأقرب للحق فكيف إذا تشاوروا في الحق والخير.

٢١٦. تفيد: بإشارة لطيفة من خلال قراءة (غيابات) بالجمع، أنّه من أجل إقناع الأكثرية الفاسدة، وذوي الميول الشريرة ينبغي تضخيم الأمر الأقل، والأخف شرا، وفسادا في أعينهم حتى يقتنعوا به، ويصرفوا أنظارهم عن الأمر الأشدّ ضررا، وفسادا، وهذا يعد من السياسة الشرعية التي ينبغي أن يفهمها، ويراعيها أصحاب الحكمة، والسياسة.

٢١٧. تفيد: أنّ الفعل دائماً يسبق بفكرة وتخطيط، والانحراف يبدأ في العقول، والقلوب قبل السلوك.

٢١٨. فيها: يستحضر المتأمّل لحالهم عند تخطيطهم؛ استغلال الشيطان آفة الحسد التي تملكتهم، فلم ينتبهوا لعظم الذنب الذي سيرتكبوه، ليحذر كل متأمّل من آفة الحسد الخبيثة!!

٢١٩. تفيد: أنّ في ذكر الاسم استجلاب للّطف والرحمة، فقد ذكر اسمه دون ضميره، لاستدرار عطفهم عليه، وشفقتهم به، واستعظام أمر قتله.

٢٢٠. تفيد: أنّ في هذا الرأي عبرة في الاقتصاد عند الانتقام، والاكتفاء بما حصل به الغرض دون إفراط، لأنّ غرضهم إنّما هو إبعاد يوسف عن أبيهم، وهذا الإبعاد يتم عن طريق إلقائه في غيابة الجب.

٢٢١. تفيد: أنّ من لم يستطع منع الشر فعليه السعي في تقليله.

٢٢٢. تفيد: أنّ روح الانتقام والحسد ما زالت عالية في نفوسهم من خلال كلمة: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾.

٢٢٣. تفيد: أنّ إيقاف الآبار للمارة في الصحراء سنّة قديمة في الأمم، لأنّ الظاهر أنّ الذي يستفيد منها هم السيّارة فقط.

٢٢٤. تفيد: أنّ نظام الاسترقاق كذلك قديم في الأمم فجاء الإسلام فعالجه، وما سوف يأتي بعده يؤكده.

٢٢٥. تفيد: الآية الكريمة جواز تذكير الفاعل، وتأنّيثه على حد سواء إذا أضيف المذكر إلى المؤنث وهو فعل له، أو بعض له، وإنّما جاز ذلك؛ لأنّ الثاني يكفي عن الأوّل، ولأنّه إذا أضيف مذكر إلى مؤنث أو بالعكس فالأصل بقاء كل واحد منهما على حاله من التذكير، والتأنّيث، وربما اكتسب المضاف المذكر التأنّيث من المضاف إليه، لكن بشرط صلاحية التركيب لحذف المضاف، والاستغناء عنه بالمضاف إليه قال ابن مالك في الخلاصة:

وربما أكسب ثان أولا تأنّيثا أن كان لحذ مؤهلا.

٢٢٦. في قوله تعالى على لسان القائل من إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: محاولة منه لتثبيطهم عما اقترحوه من القتل، أو التغريب بأسلوب بليغ، حيث فوّض الأمر إليهم، تعظيما لهم، وحذرا من سوء ظنهم به، فكان أمثلهم رأيا، وأقربهم إلى التقوى"(١).

٢٢٧. في قوله: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ تعريض بزيادة التريّث فيما أضمروه لعلّهم يرون الرجوع عنه أولى من تنفيذه، ولذلك جاء في شرطه بحرف الشرط وهو ﴿إِن﴾ إيماء إلى أنّه لا ينبغي الجزم به، فكان هذا القائل أمثل الإخوة رأياً وأقربهم إلى التّقوى"(٢).

٢٢٨. فيها: تفيد سعة رحمة الله بالمذنبين ، كما قال محمد بن إسحاق: أنّ فعلهم اشتمل على جرائم من قطع الرحم، وعقوق الوالدين، وقلة الرأفة بالصغير الذي لا ذنب له، والغدر بالأمانة، وترك العهد، والكذب مع أبيهم وعفا الله عنهم ذلك كله حتى لا ييأس أحد من رحمة الله"(٣).

---

(١) الألوسي٦/٣٨٥.

(٢) التحرير والتنوير.١٢/٢٢٦.

(٣) تفسير البغوي٢/٤٧٨.

٢٢٩. فيها: أنّ ما أراده الله كان، وقد كان ما أراده الله فلم يكن لهم سبيل إلى قتله؛ لأنّ الله تعالى كان يريد منه أمرا لا بد من إمضائه وإتمامه، من الإيحاء إليه بالنبوة، ومن التمكين له ببلاد مصر(١).

٢٣٠. تفيد أن حركة السفر والتنقل بين البلدان قديمة في الأمم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ يوسف: [١١]

٢٣١. قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟﴾ الطلب الجماعي يختلف عن الطلب الفردي في القبول.

٢٣٢. تفيد جملة: ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ خطاب بنسب الأبوة تحريكا لمشاعر أبيهم أنّهم سواء وتذكير له بالرابطة التي بينهم، لتطمينه.

٢٣٣. فيها: نداء الأب بالتوقير ﴿يَٰٓأَبَانَا﴾ وهذا أدعى لاستجابته لهم.

٢٣٤. في قولهم: ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ تأكيد على أنّ يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يخافهم على يوسف عليه الصلاة والسلام.

٢٣٥. يكشف القرآن حقيقة ما في نفوسهم من الكذب في قولهم لأبيهم وتغامزهم فيما بينهم، كما يدل عليه قراءة ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ بالإشمام، والروم ؛ بضم النون بالشفتين دون الصوت وسرعة حركتها، كما ذكر بعض المفسرين، وبعضهم استدل بتعدد أوجه لفظ (تأمنا) بين الروم، والإشمام، الإدغام المحض، إشارة إلى عدم سكون قلب يعقوب عليه الصلاة والسلام، وخوفه، واضطرابه وخوفه منهم على أخيهم.

٢٣٦. ومنها: النكتة البديعة في حذف حركة الرفع في تأمن، وإدغام نونه دلالة على نفي سكون قلبه عليه عليهما الصلاة والسلام بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنّهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٧٢.

(٢) البقاعي ٤/١٥.

٢٣٧. فيها: أنّهم آثروا طرح الأسئلة الإنكارية، لأنّ الأسئلة فيها قوة أكبر على الاقناع ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾.

٢٣٨. فيها: أنّ هذا السؤال ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا﴾ ليس سؤالا للاسترشاد، والتعليم، بحيث يريد السائل منهم جوابا يستفيد، منه، لذلك لم ينتظروا إجابة من أبيهم عليه، بل كان كالمقدمة والتمهيد لما يريدون الولوج فيه، فجاءت بعدها الآية ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا﴾.

٢٣٩. فيها: استعمال الأسئلة الإنكارية لأجل الإقناع ودفع الريبة.

٢٤٠. فيها: أنّه لما كانت نفوسهم غير سليمة تجاه يوسف عليه السلام تخيل إليهم أنّ والدهم لم يأمن عليهم.

٢٤١. فيها: من أساليب الحيلة أيضاً التطمين للوصول للمراد.

٢٤٢. فيها: حرص الأب وعدم تأمينه على أولاده مع أي شخص، ولو كان هذا مطبّقا في واقعنا لخفت حالات التحرش بالأطفال.

٢٤٣. فيها: إشارة خفية أنّ يعقوب عليه السلام كان له تميز ليوسف عليه السلام دون إخوته وكان يحوطه بمزيد عناية، إمّا لصغره أو لِما التمسه بعد الرؤيا مما أوغر صدر إخوته عليه.

٢٤٤. تفيد: أنّ الهجوم خير وسيلة للوصول إلى المطلوب.

٢٤٥. فيها: دليل على أنّ أباهم أحسّ منهم ما أوجب أن لا يأمنهم عليه"[١].

٢٤٦. تفيد: أنّ حرص الأب الشديد وخوفه البالغ على ولده أكثر من أي فرد آخر في الأسرة مدعاة للارتياب والشكوك، وطرح التساؤلات حول طبيعة هذا الحرص وذلك الخوف عليه؛ فإنّه ينبغي للوالدين – تجنبا لتلك الشكوك والتساؤلات– أنّ يتوسطا في حرصهما على أولادهما ولا يظهرا شفقة زائدة على واحد دون آخر إلا إذا استدعى الأمر.

٢٤٧. ومنها: بقدر تعلّق القلب، وحرصه على محبوبه ابتلي واختبر به.

---

(١) تفسير النسفي ٢/١٧٩.

٢٤٨. تفيد: لا تدع ابنك يخرج إلا على من تأمنه معه على نفسه ودينه وعرضه، وجميع أموره.

٢٤٩. تشير إلى: فضل وشرف النصيحة، وأنّها محببة للنفوس الصالحة.

٢٥٠. تفيد: أنّ الحسد، يحمل على الكذب، ويدفع للجريمة.

٢٥١. تفيد: أنّه ليس كل صاحب دعوة صادق في دعواه﴿لَحَٰفِظُونَ﴾

٢٥٢. فيها: استعمال أسلوب التوكيد للإقناع، والتأثير؛ فقد أكدوا كلامهم بعدة مؤكدات ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ يوسف: [١٢].

٢٥٣. فيها: أخذ الإذن من ولي أمر الطفل فيما يخصه.

٢٥٤. في الآية والآية السابقة وعي الآباء بحاجات الأطفال، ومطالب نموهم ولذلك سمح يعقوب عليه الصلاة والسلام بذهاب يوسف عليه السلام مع إخوته عندما أخبروه بالتزامهم بالقيام بتحقيق مطالب الطفل وحاجاته.

٢٥٥. فيها: أهمية وضوح الطلب﴿أَرۡسِلۡهُ﴾وتحديد الوقت (﴿غَدٗا﴾والهدف ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾.

٢٥٦. تفيد: بقراءة الجمع (نرتع ونلعب) أنّ لعب الكبار، وترفيههم عن أنفسهم ومشاركتهم للأطفال في ألعابهم، وحركاتهم أمر مباح وجائز وغير مخل بمروءتهم، ومكانتهم.

٢٥٧. فيها: إغراء الأب بإدخال السرور على الطفل.

٢٥٨. فيها: حسن بيانهم في طلبهم خروج يوسف عليه السلام معهم.

٢٥٩. فيها: دليل على مكر إخوة يوسف عليه السلام، وخداعهم حين طلبوا خروجه معهم بما يستهوي يوسف لصباه من الرتوع، واللعب، والمرح.

٢٦٠. تفيد: هذه الآية أهمية الحركة، والنشاط، واللعب للأطفال، وهي مقومات مهمة في البناء الجسدي والعقلي والنفسي.

٢٦١. استغلال المجرمين، والمفسدين للألعاب وأدوات اللهو يحتّم على المصلحين ابتكار برامج موجهة لتربية الأطفال.

٢٦٢. تفيد: أنّه ليس كل من يدعي حفظ شيء هو أهل له.

٢٦٣. تفيد: أنّ هنالك خطط دائماً يصل إليها أهلها بعكس ما يعلونه وهذا كثير، وكثير ما نخدع بما يقولونه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

٢٦٤. تفيد: أنّه كاد المريب أنّ يقول خذوني، فكثرة المؤكدات في كلامهم في هذه الآية: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وفي الآية السابقة تشير إلى الريب.

٢٦٥. تفيد: أنّ الاقناع يكون بإزالة مخاوف الطرف الآخر﴿لَحَٰفِظُونَ﴾.

٢٦٦. تفيد: أنّ الأصل أن لا يُكَّذب المؤمن كما في قوله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾مع ما كان يخشاه منهم.

٢٦٧. فيها: دليل على أنّ يعقوب عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب، ولا سائر الأنبياء.

قَالَ تَعَالَى:﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ يوسف: [١٣].

٢٦٨. فيها: خوف الأب على ولده، وحزنه على ما يصيب ولده من مكروه.

٢٦٩. فيها: عاطفة الأب مع أنّه يعلم أنّه لا يملك لهم من الله شيئاً.

٢٧٠. تفيد: بيان فرط محبة يعقوب ليوسف عليهما الصلاة والسلام، حيث أنّ مجرد ذهابهم به وتغييبه عن عينيه، وإبعاد جسده عنه يحزنه؛ لقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾.

٢٧١. منها: التفكير، والقلق الزائد من أمر المستقبل أوّل أسباب الحزن الذي يورث الوهن.

٢٧٢. ومنها: الحزن يكن على ما مضى، والخوف مما هو آت ومن شدة حرصه وحبه ليوسف عليهما الصلاة والسلام جمع بين الحزن على ما يعلم منه، ومما سيكن.

٢٧٣. إخفاء الحزن يحتاج إلى مهارة عالية، فعلى الإنسان أن لا يخبر بما يحزنه، فقد يفرح العدو بمعرفة ذلك.

٢٧٤. الابن يقدّم للأب دعما نفسيا ومعنويا وسعادة ﴿لَيَحۡزُنُنِيٓ﴾فهو سعيد بوجوده، وهي من النّعم التي ينبغي شكرها.

٢٧٥. فيها: أنّ الابن البار يتقي ما يحزن أباه.

٢٧٦. وجود الأبناء أمام أعين الآباء أكثر الحالات راحة لقلوبهم وإن كانوا كبارا، فليراجع أنفسهم من يفضلون الابتعاد عن آبائهم مع وجود فرصة رفقتهم وبرهم.

٢٧٧. تفيد: أنّ الله عز وجل إذا قضى أمرا أنسى العبد أخذ الأسباب المعنوية، والمادية، فمن الأسباب المعنوية: تحصين النفس، والأهل بالأذكار، والأدعية، ومن الأسباب المادية: الذهاب معهم، أو إرسال طرف آخر من الأقارب معهم، وقد نسي نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام الأخذ بهذه الأسباب في هذا الموضع.

٢٧٨. تفيد: أنّ سيطرة مشاعر الحب المفرطة في الإنسان تجعله يتوقع أن يحصل، أو يقع الأسوأ -وليس السيء فقط- تجاه حبيبه؛ لذا لم يقل يعقوب عليه الصلاة والسلام: (أخاف أنّ يهجم عليه الذئب)، أو (أخاف أنّ يفترسه الذئب) بل ذكر الأكل فقال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾وهذا كان أسوأ التوقعات، حيث توقع انعدام وزوال يوسف بشكل كلي، ونهائي فلا يبقي الذئب بقية من جسده عليه الصلاة والسلام.

٢٧٩. تفيد: أنّ هذا الخوف خوف طبيعي، أمّا المحذور الذي هو شرك إنّما هو خوف السر.

٢٨٠. لا تلقن خصمك حجته ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾، فقالوا: أكله الذئب.

٢٨١. تفيد: مناسبة دقيقة في ذكر هذا الحيوان المشهور بالمكر، والغدر، والخيانة في سياق ذكر مكر، وغدر إخوة يوسف بأخيهم يوسف عليه الصلاة والسلام.

٢٨٢. مشروعية الحذر، والحرص على الأولاد من المخاطر المتوقعة في كل زمان ومكان بحسبه، بدلالة أنّ يعقوب عليه الصلاة والسلام خاف على يوسف عليه السلام من أنّ يأكله الذئب لانتشار

ذلك في زمانه، ومكانه، وللآباء أن يحرصوا على أولادهم من المخاطر المنتشرة في هذه الأزمنة، والأمكنة من ألعاب مدمرة، ووسائل تواصل، وفرق فاسدة، ومنحرفة فكريا وغير ذلك.

٢٨٣. تفيد: أنّ غالب التوقعات السيئة تجاه من تسيطر علينا مشاعر محبتهم لا تكون حقيقية، وإنّما هي أثر، أو علامة من علامات كراهة فقدهم.

٢٨٤. تفيد: أهمية معرفة المخاطر المحيطة في البيئة على الأبناء وغيرهم لاجتنابها؛ وهم كانوا في بادية الشام.

٢٨٥. تفيد: من تشك في أمانته، أو تستشعر غدره، أو تقصيره مع أبنائك، فلا تدعهم له، ولا تتركهم عنده، سواء خادمة أو سائق أو قريب أو غير ذلك.

٢٨٦. تفيد: أنّ من حق الأبناء على الآباء ذكر مبررات رفض طلباتهم مع توجيههم للأصلح لهم، فهنا أعقب يعقوب عليه الصلاة والسلام رفضه خروج يوسف معهم بمبرر وهو الخوف من غفلتهم، وإهمالهم.

٢٨٧. تفيد: مراعاة شعور الأبناء، فقد قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿غَٰفِلُونَ﴾فلم يجرحهم، أو يخبرهم بما يشعر به من طلبهم، أو يقل لهم أنّهم غير قادرين على حماية أخيهم، بل عرّض لهم فقط.

٢٨٨. الخطأ والنسيان، والغفلة، والقصور من صفات الإنسان، فلا تتوقع الكمال من أحد فيما كلّف به ﴿قَالَ غَٰفِلُونَ﴾.

٢٨٩. التماس العذر للآخرين ﴿وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾.

٢٩٠. ومنها: من الآداب التي أراد يعقوب لفت أبنائه إليها التماس الأعذار للآخرين، وكان فيه تلميح أن التمسوا لي العذر في حرصي على يوسف عليهما الصلاة والسلام.

٢٩١. تفيد: أنّ الذي يجلب النفع، ويدفع الضر هو الله وحده، فيعقوب عليه الصلاة والسلام، وهو نبيّ ما استطاع حماية ابنه من شرهم، فكيف بمن يدعون اليوم تصريف أمور الكون.

٢٩٢. تفيد: أنّ الأنبياء بشر يعتريهم الحزن، وغيره، وفي هذا نهي عن الغلو فيهم، وإعطائهم خصائص الألوهية كدعائهم من دون الله عز وجل.

٢٩٣. تفيد: أنّ الكثرة غالبة، فمع حرص يعقوب، وخوفه استطاعوا أخذه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ يوسف: [١٤].

٢٩٤. تفيد: أنّ قول الواحد إن كان عن المجموعة هو بمثابة قولهم جميعاً، إذ لا يتصور أنّهم جميعاً قالوا ذلك معا، وإنّما قاله أحدهم بلسانهم وأقروه.

٢٩٥. تفيد: أنّ من أهم وسائل الإقناع، إبعاد المخوف منه ذهنيا، فهم أبعدوا عن ذهن أباهم خطر الذئب بحجة الكثرة المجتمعة ﴿عُصْبَةٌ﴾.

٢٩٦. في الآية ما يدل على أنّ الحق واضح، ومعلوم لدى الجميع، ولكن بعض الناس يواجهونه بأساليب، وحيل نفسية غير موضوعية، وعلى الرغم من التمويه المستخدم فيها، إلا أنّها تتضمن ما يشير إلى وضوح الحق، والدليل على ذلك أنّ إخوة يوسف أشاروا إلى أنّهم عصبة مع أنّ والدهم يعلم ذلك، ولم يطلب منهم ذلك، وأنّهم أشاروا أيضاً إلى أنّ تفريطهم في يوسف يدل على أنّهم من الخاسرين، مع أنّهم وضعوا خطة محكمة لتضييعه، فهذه الحالة النفسية غير التوافقية تشير إلى أنّ الغيرة من أخيهم قد تطورت إلى حسد، وتطور الحسد إلى السلوك العدواني.

٢٩٧. منها: دلالة على أنّ الإخوة عصبة لبعضهم.

٢٩٨. تفيد: بمفهوم المخالفة أنّ أداء الجماعة لمهامها، وواجباتها سبب لفلاحهم، وأنّ تضييعهم لذلك سبب لخسارتهم.

٢٩٩. تفيد: أنّ منطقية القول لا تعني بالضرورة صدق صاحبه.

٣٠٠. في إعادتهم لجملة أكله الذئب ولم يقولوا مثلا: إنّ حصل ما تقول، أو إنّ حصل ذلك أو نحوها تفيد أنّهم أرادوا أنّ يجعلوا هذه القضية بتكرارها وذكرها حاضرة في ذهن أبيهم ليستخدموها في جريمتهم.

٣٠١. تفيد: أنّ من سبل نفي التهمة إبعادها ذهنيا، ونفي مقدماتها، بدون نفيها بأدوات النفي المباشر، فهنا لم يقولوا لن يأكله الذئب، وإنّما انتقلوا مباشرة لسبب تأكدهم من أنّه لن يأكله، ليكون أشد في الإقناع وأقوى في الحجة.

٣٠٢. تفيد: أنّهم لم يأبهوا بحزن أبيهم، وإنّما كان غاية ما استخدموه في الإقناع حفظه من الذئب، ولم يتعرضوا لجواب قوله ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي﴾، مع أنّه قدمها في سبب المنع.

٣٠٣. تفيد: أنّ الحسد نقلهم إلى الحقد فأغفلوا عذر أبيهم الأوّل ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ﴾.

٣٠٤. فيها: أهمية الجماعة المسلمة، وفي الحديث: ((عليك بالجماعة فإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية))[(١)].

٣٠٥. تفيد: أنّ المجرم في سبيل جريمته لا يهتم بالعواقب، وإن كان ذلك على حساب اتهامه.

٣٠٦. تفيد: هذه الآيات مع سابقاتها أنّ كثرة القسم، والمؤكدات في الإخبار لحاجة وبدونها من أمارات كذب قائلها.

٣٠٧. تفيد: التأمّل في خطورة خُلق الحسد، كيف سيطر عليهم حتى جعلهم يرضوا بأنّ يدعى عليهم بالخسار، والهلاك.

٣٠٨. تفيد: أنّ أصحاب السلوك المنحرف، والميول الإجرامي يعرفون جيّداً الأسباب، والمواطن التي يقعون من خلالها في خسارة شيء ما، إلا أنّهم وبالرغم من ذلك فهم يخططون في اقتحام مواطن تلك الخسارة بصورة أخرى؛ لقولهم: ﴿إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾وبيان ذلك: أنّ في إهلاك وإعدام أخيهم بأيديهم خسارة تفوق تلك الخسارة التي تكون على يد الذئب؟! فهم في الصورة الأولى يخسرون دينهم، ودنياهم، وآخرتهم، ويخسرون كذلك أخلاقهم، وضمائرهم بالإضافة إلى خسارتهم لأخيهم.

---

(١)قال الشيخ الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : ٥٧٠١ في صحيح الجامع.

٣٠٩. تفيد: أنّ الاعتماد على النفس، أو الجماعة في الحفظ، والحماية من المخاطر، والكوارث دون الله تعالى مما يجلب التعاسة، ويوقع في الخسارة.

٣١٠. فيها: ضرورة التعامل بحذر وكياسة مع التصريحات والعبارات الرنانة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يوسف: [١٥].

٣١١. فيها: التنبيه على مبدأ التنازلات فهو مما يعين على دوام المحبة، والاستقرار، فرغم شدة الأمر على الأب تنازل، وأذن بذهاب يوسف عليهما السلام.

٣١٢. فيها: عظم ما أقدم عليه إخوة يوسف من صنيعهم به متجردين من العطف، والحنان، والشفقة.

٣١٣. فيها: أنّ النَّظرَ إلى الغاياتِ المحبوبةِ يُهَوِّنُ المشاقَّ المعترِضةَ.

٣١٤. فيها: إذا كان أهل المعصية لهم إجماع على أمر مكروه، فمن باب أولى أن يكون لأهل الطاعة إجماع على أمر أو أمور محبوبة.

٣١٥. تفيد: عناية الله فحين اجتمعوا على إلقائه في البئر، ربط الله على قلبه، وألقى عليه السكينة رغم صغر سنه، وظلمة البئر، والوحدة وفراق الوالد، كانت كل هذه الأسباب كافية لهلاكه، ولكنّها عناية الله.

٣١٦. فيها: بشرى عظيمة للمؤمن المكروب الذي يتداعى عليه الظالمون، ويستخدموا أقصى ما لديهم من أدوات الشر ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾﴿وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾على الرغم من ذلك تنزل عليه السكينة من ربه، ويمدده ربه بالقوة النفسية، والطمأنّينة التي تجلت في عدم إبداء المخاوف، ولا الهلاك من الهلع بل ظلّ ثابتا على الرغم من صغر سنه، وصعوبة الموقف.

٣١٧. تفيد: الترغيب في البشارة حال الضيق، والشدائد فلا يقنط المؤمن من رحمه الله.

٣١٨. فيها: وعد الله لا يخلف فما من ضيق إلا بعده فرج.

٣١٩. تفيد: عناية الله تعالى بأصفيائه بتطمينهم في أوقات الضيق والشدة.

٣٢٠. فيها: الغلبة والنصرة لرسل الله وأوليائه طال الزمن أو قصر.

٣٢١. فيها: من اللطف، والتسلية وتخفيف البلاء وهذا من نعم الله على عبده.

٣٢٢. تفيد: أنّه في مراحل تنفيذ الأعمال الخطيرة، والدموية قد يلطف الله بعبده بأن يخفف عليه قوة الصدمة، وبشاعة الفعل، حيث أجمع إخوة يوسف عليه السلام ههنا على أنّ يجعلوه في غيابة الجب، فيلاحظ على العبارة التخفيف عن قوة وبشاعة المقترح السابق ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ﴾) ولم يقل ههنا (وأجمعوا أنّ يلقوه في غيابة الجب)، وعليه؛ فإنّ على العبد أن يستحضر لطف الله تعالى، وعنايته به إلى آخر لحظة من حياته.

٣٢٣. فيها: البشارة لمن حكم عليهم بالإعدام أن لا يقنطوا من رحمة الله، ولطفه بهم إلى آخر لحظة من حياتهم، فهو سبحانه وتعالى قادر على أنّ يغيّر إجماع الطرف الآخر، فيخفف عليه الحكم في آخر لحظة.

٣٢٤. يفيد: قوله ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾ولم يقل أوحيت دليل على عظمة المولى، وأنّهم مهما فعلوا فالأمر إليه أوّلا وأخيرا.

٣٢٥. تفيد: أنّ الوحي لا يقتصر على النبوات، والرسالات فيوسف عليه الصلاة والسلام كان آنذاك صغيرًا لم يكلف.

٣٢٦. فيها: لطف الله عز وجل بعبده يوسف عليه الصلاة والسلام، وحفظه له وهو في تلك الحالة التي وضع فيها من قبل إخوته.

٣٢٧. فيها: تخفيف الله على عبده، فقد طيب قلب يوسف عليه الصلاة والسلام بأنّه عز وجل سوف يجعل له فرجاً ومخرجاً مما هو فيه، وينصره على ظالميه.

٣٢٨. فيها: أخذ العبرة والعظة بأنّ الله عزّ وجل ناصر أوليائه، ولو بعد حين.

٣٢٩. فيها: أنّ الله يمكر لأوليائه حين يمكر بهم.

٣٣٠. فيها: أنّ المنغمس في المعصية لا يستشعر، ولا يحس بموانعها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ يوسف: [١٦ - ١٧].

٣٣١. اشتملت الآية الكريمة على نوع من الجمل ذات المحل الإعرابي وهي الجملة الواقعة "حالا" بعد معرفة في ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ﴾، ففيه دليل لقاعدة "الجمل بعد النكرات صفات وبعد المعارف أحوال".

٣٣٢. اختيار المجيء ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ﴾فيها إشارة إلى مشاعر الشوق، والقلق عند أبيهم الذي ينتظر عودتهم بلهفة.

٣٣٣. فيها: أنّهم جمعوا بين حيلتين؛ الأولى: البكاء، الثانية: المجيء متأخراً عن عادتهم.

٣٣٤. في الآية الكريمة، منقبة للأخوات، فلو كان ليوسف أخت واحدة لاقتصت أثره حتى تعيده، كما فعلت أخت موسى عليه الصلاة والسلام، فالأخوات لا يعرفن طريق المؤامرة والجبّ، ولكن يعرفنّ طريق الوفاء والحب، ولهذا قال الشاعر:

أحبّ البنات وحبّ البنات فرض على كل نفس كريمة

فإنّ شعيبا من أجل البنات أخدمه الله موسى كليمه.

٣٣٥. فيها: البكاء لا يدل على صدق المقالة، أو الحجة.

٣٣٦. ولما كان البكاء عملية تشترك فيها عضلات الوجه، ووضع العيون إضافة إلى الدموع والصوت فإنّ إخوة يوسف جاءوا عشاء حتى لا يستطيع أبوهم أن يرى تلك الملامح المرئية، والتي سيستدل بها أبوهم على كذبهم.

٣٣٧. فيها: إتيانهم لأبيهم في الليل أدعى للستر والقبول.

٣٣٨. في الآية أنّ من النّاس من يصطنع البكاء لتضليل النّاس واستغلال عواطفهم.

٣٣٩. مجيئهم عشاء دلالة على فراسة يعقوب، وأنّه يستطيع تفسير تعبيراتهم دون عباراتهم.

٣٤٠. البكاء من التعبيرات الوجهية التي تدل على الحزن.

٣٤١. تفيد: تنبيه المؤمنين عامة والقضاة على وجه الخصوص على "عدمُ الاغترارِ ببكاءِ الخصمِ وزخرفِ القولِ".

٣٤٢. يفيد: قوله تعالى: ﴿يَبۡكُونَ﴾ بصيغة المضارع، إشارة إلى تكلفهم البكاء حال حضورهم بين يدي أبيهم، كما يلمح منها المبالغة في البكاء بتكراره، وهذه من مؤشرات التصنع والكذب.

٣٤٣. فيها: تأكيد على رحمة الأبّ بأبنائه، ونادوه بأبوته لهم يستجدون رحمته قبل أن يفجعوه بخبر يوسف عليه الصلاة والسلام.

٣٤٤. فيها: أنّ من عقوبة السيئة السيئةَ بعدها[١].

٣٤٥. تفيد: الحذر من شؤم المعاصي، والذنوب.

٣٤٦. فيها: أنّ اللعب من أسباب ضياع المهمات وفواتِها لذلك جعلوه عذراً لهم.

٣٤٧. فيها: من الطِّبِّ رياضةُ النَّفسِ والدوابِّ، وتمرينُ الأعضاءِ على التصَرُّفِ.

٣٤٨. فيها: مشروعية المسابقة وقد فعل هذا عليه الصلاة والسلام.

٣٤٩. تفيد: أنّ السباق رياضة قديمة ولها فوائد عديدة وما زالت من لعب أهل البادية.

٣٥٠. فيها: أنّ الكاذب لابد أنّ يترك خيطاً يدل على كذبه، فإخوة يوسف استعملوا لفظة الأكل مع الذئب مع أنّ الأصل أن يقولوا افترسه الذئب، ليتخلصوا من سؤال مقدّر هل بقي شيء من جسده؟!.

٣٥١. فيها: أنّ المجرم نقّاض للعهد: ودلالة ذلك عدم التزامهم بما تعاهدوا عليه من حفظه والترويح عنه باللعب: ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾فتركوه عند متاعهم، وكلّ ذلك من نقض العهد.

---

(١)الصفدية ١/٨٨.

٣٥٢. تفيد: التحذير من ترك الصغير وحيدا في الأماكن التي تحيط بها المخاطر، وأسباب التهلكة.

٣٥٣. فيها تكذيب أنفسهم قبل سماع الرد من يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾.

٣٥٤. تشكيكهم في تصديق أبيهم مما يدل على أنّ في كلامهم ريبة.

٣٥٥. فيها: تنوّع أساليب الحيل: ففي قولهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾تلطف منهم للوصول لما يريدون، وهو نوع من الحيلة والمكر.

٣٥٦. فيها: شهادتهم على أنّفسهم أنّهم ليسوا بأهل للتصديق، والثقة.

٣٥٧. تفيد: أنّ المجرم تجد عنده عدم ثقة فيما يقدمه من أدلة ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾.

٣٥٨. في الآية الكريمة: الدقة في استعمال الكلمات، التي يؤدي المعنى الذي سيقت له، ولا يترتب، تفويت لغرض قُصد، إثباته، فقد كان من الممكن أنّ يقولوا: وما أنّتَ بمصدّقٍ لنا وأنّ كنّا صادِقين، فيصنَعُوا جناساً، لكن هذا الجناس يفوت معنى قصدوا التعبير عنه، وهو أن أباهم غير مطمئن لمشاعرهم تجاه أخيهم، إذ هو يعلم حسدهم له، فلو كانوا صادقين حقاً، وصدقهم لما وصل تصديقه إلى درجة الإيمان الذي يحدث في القلب الطمأنّينة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يوسف: [١٨].

٣٥٩. تفيد: أنّ الشيطان يتسلل إلى قلوب العباد، ويغويهم، ولو كانوا أبناء أنبياء، فلا يأمن أحدنا نفسه، وليحذر من أن يتسلل الغل، أو الحسد والحقد على الناس، وخاصة القربات لكثرة ذلك في هذا الزمن.

٣٦٠. تفيد: أنّ خلق الحسد يدعو صاحبه إلى المكر بمن يحسده.

٣٦١. فيها: أنّه مهما تفنن الكذابون، وأجادوا ترتيب أفعالهم، فإنّهم سيتركون ثغرة تكشف عن مكر أفعالهم، فإخوة يوسف لطخوا قميصه بدم كذب، ولم يمزقوه.

٣٦٢. تفيد أنّ كل القرائن تؤكد على كذبهم، ﴿عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾وكأنّه اعتلى الدم ظاهر القميص، والدم في حال اعتداء المفترسات -إن سلمنا بسلامة القميص- يصله من الباطن الملاصق لجسم الضحية.

٣٦٣. فيها: حرصهم على نيل رضاء والدهم بالكذب عليه، ونسيانهم خالق الأرض والسماء ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾.

٣٦٤. فيها: تجرد إخوة يوسف من كل معاني الرحمة حتى قميصه جردوه منه، ولكن لطف الله أعظم كساه قميص العزة، والنبوة، والعلم.

٣٦٥. حرصهم على الظهور بمظهر المخلص الصادق لوالدهم مع ظلمهم البغيض له، ولأخيهم الصغير.

٣٦٦. تفيد أهمية تميز الدماء، وهو من العلوم التي تساعد في كشف الجرائم.

٣٦٧. في الآية استدلال على أنّ من أوجه اللغة النعت بالمصدر، وله شرطان، الإفراد والتذكير، لقوله تعالى﴿بِدَمٍ كَذِبٍۚ﴾قال ابن مالك في الخلاصة:

ونعتوا بمصدر كثيراً فالتزموا الإفراد والتذكيرا

٣٦٨. فيها: أنّ الأحكام مبناها كذلك على الظن الغالب إذا تعذر اليقين ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ﴾.

٣٦٩. فيها: التحذير من شرور النفس، وتسويلها.

٣٧٠. فيها: أنّ النفس بطبيعتها أمّاره بالسوء، وأنّها من ألدّ أعداء الإنسان أن لم تزكي بالأخلاق الفاضلة.

٣٧١. في الآية من أساليب المواجهة الإيجابية لمواجهة المواقف، والحوادث الصادمة أولاً: التحقق من الحادث بالأدلة، والشواهد الموضوعية، ثانياً: الدم الكذب، ثالثاً: السلوك الإجرامي (تسويل النفس)، رابعاً: الثبات والصلابة النفسية (الصبر الجميل)، خامساً: اللجوء لله سبحانه وتعالى، والاستعانة به (والله المستعان).

٣٧٢. فيها: الصبر الجميل أعلى مرتبة من الصبر الملازم للشكوى.

٣٧٣. فيها: أنّ الصمت في بعض الأمور –مع حسن التفويض لله– خير وأنفع من البحث فيها، لما يترتب عليه من شرور أعظم.

٣٧٤. تفيد: عظم مكانة خلق الصبر في أمر مخالطة الناس والترغيب في ذلك.

٣٧٥. فيها: أنّ الحكمة وتمام الرحمة تظهر عند النازلة التي يتساوى فيها الطرفان، فيعقوب عليه الصلاة والسلام لم يصدر أيّة ألفاظ، أو عبارات تشير إلى نبذه لأبنائه على الرغم من جرمهم العظيم.

٣٧٦. في الآية مثال فيما إذا دار الأمر بين أنّ يكون المحذوف المبتدأ، أو الخبر، فقيل يكون المبتدأ، وقيل يكون الخبر، لقوله﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾فهل يقدر : فصبري صبر جميل، أو يقدر" فصبر جميل" أمثل من ضده؟ قولان.

٣٧٧. فيها: العبد محتاج إلى الاستعانة به سبحانه في جميع أحواله.

٣٧٨. فيها: الاستعانة بالله عز وجل على تحمّل المصائب والنكبات؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾.

٣٧٩. في الآية إشارة أنّ الأنبياء لا يعلمون الغيب، فمع شكه وارتيابه لم يجزم نبي الله يعقوب بما ظهر له من دلائل الاعتداء.

٣٨٠. تفيد أهمية الاستعانة بالله تعالى في كشف مستور الجرائم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يوسف: [١٩].

٣٨١. تفيد حسن مناسبة النظم، فبعد ذكر مشهد الحزن ظهر لطف الله وجميل رعايته.

٣٨٢. تفيد: أهمية التنظيم، وتقسيم الأعمال في الجماعة خاصة في السفر ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾.

٣٨٣. فيها: علم الله تعالى التام بما يعمله إخوة يوسف عليه السلام، والذين اشتروه منهم، وأنّ ذلك كله بعلم الله تعالى، وتقديره، ابتلاءً وامتحاناً ليوسف عليه الصلاة والسلام، ثمّ تكون له العقبى، وفي هذا تعريض لنبينا صلى الله عليه وسلم وإعلام له بأنّه عز وجل عالم بتكذيب قومه وأذيتهم له، وأنّه سيملي لهم ثم يجعل العاقبة له صلى الله عليه وسلم، كما جعل ليوسف العقبى على إخوته، لقوله تعالى ﴿عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

٣٨٤. تفيد: العناية الربانية والحفظ الإلهي ليوسف عليه الصلاة والسلام، حيث جاءت السيارة في هذا الوقت، وباعوه لعزيز مصر، كل ذلك تقدير إلهي عجيب.

٣٨٥. تفيد: أنّ من تولى الله تعالى حفظه، ورعايته أتاه التدبير متسارعاً، فانظر إلى سرعة الإرسال﴿فَأَرْسَلُوا۟﴾وإلى سرعة الإدلاء ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾كل ذلك من كمال اللطف الرباني، فالألفاظ تبين أنّ كل أسباب نجاته كانت تتسارع نحوه.

٣٨٦. فيها: أنّه قد تتنوع أسباب النجاة، وتبقى الحكمة لله في ذلك.

٣٨٧. فيها: سنة الله جارية في نصر رسله وأولياءه.

٣٨٨. من سبق في علمه تعرضك للمهالك سهل لك النجاة، أو سخر من ينجبك.

٣٨٩. تفيد: أنّ من كمال عناية الله بيوسف عليه الصلاة والسلام استبشار صاحب الدلو به، وإلا كان يمكن رميه مرة أخرى في البئر.

٣٩٠. فيها: الاستبشار، وإظهار السرور عند المنح خُلق محبب للنفوس.

٣٩١. فيها: قوله﴿غُلَٰمٌ﴾ أي أنّه صغير، والصغير كان له قيمة في وقته.

٣٩٢. ما بين قوله ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ وقوله ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ تتجلى رحمة الله، وقدرته في تصريف قلوب عباده، كانوا يرونه عدواً يريدون قتله، وآخرين يرونه بشرى تتمثل في شخصه.

٣٩٣. فيها: من حسن تدبير الله تعالى ليوسف عليه السلام اعتباره بضاعة وعبداً آبقاً لكي يبيعوه.

٣٩٤. فيها: أنّ التجار طبعهم الإخفاء، والاحتكار ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ﴾.

٣٩٥. فيها: المؤمن الحق قد يضيق عليه وقد يبتلى رفعة له، فعلى قدر إيمان الشخص يكون الابتلاء.

٣٩٦. فيها: عِظم البلاء الذي تعرّض له يوسف عليه الصلاة والسلام حيث بيع رقيقا، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم.

٣٩٧. تفيد: أنّ الرقّ كان مباحاً في ذلك الزمان.

٣٩٨. تفيد: أنّ الله تعالى محيط بكل مكر، ومتولي عباده بكمال علمه ورحمته﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾.

٣٩٩. فيها: بلاغة القصص القرآني في اختصاره، واقتصاره على الأحداث الكبرى، ومواطن العبرة في القصة.

٤٠٠. تفيد كمال علمه تعالى بكل ما يدور ويجري في الكون.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ يوسف:[٢٠]

٤٠١. فيها: إفادة اختيار مفردة ﴿وَشَرَوۡهُ﴾وإن كانت تعني باعوه، إلا أنّ فيها إشارة إلى أنّ إخوته هم الذين باعوه وزهدوا به أيما زهد!!

٤٠٢. فيها: دقة اللفظة القرآنية، في قوله﴿بِثَمَنِۭ﴾ولم يقل بقيمة ح وذلك أنّ القيمة هي المساوية لمقدار المثمن من غير نقصان، ولا زيادة، وأما الثمن قد يكون بخساً وقد يكون وفقاً وقد يكون زائداً، قد صرحت به الآية: في قوله﴿بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾.

٤٠٣. ليس شرطا أن يكون كل ما قلّ ثمنه رديئاً.

٤٠٤. فيها: أنّ لفظة الشراء، وكذا البيع من الأضداد، ويطلقان على كل من المتعاقدين، أنّه بائع ومشترٍ لكن إذا أطلق البائع فالمتبادر للذهن أنّه باذل السلعة، والمشتري هو باذل الثمن، قال طرفة في معلقته:

ويأتيك بالأنباء من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

أي: لم تشتر له زاداً.

٤٠٥. تفيد: قدم نظام التعامل بالدراهم في الأمم في مسائل البيع والشراء.

٤٠٦. فيها: أنّ البيع، والشراء قديم بقدم البشر، وفي هذا إشارة إلى أهمية معرفة أحكامه لكثرة وقوعها.

٤٠٧. فيها: أنّ الإنسان قد يبتلى بمن يجهل قدره، كما الكليم، قد رُفضت ضيافته، من أهل القرية، وكما أُخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة، وكانوا فيه من الزاهدين، وكما رد من أهل الطائف وكانوا فيه من الزاهدين، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

٤٠٨. فيها: قصور نظرة الإنسان، وقلة علمه، ومعرفته، فها هم السيارة يبيعون يوسف عليه الصلاة والسلام سليل الأنبياء بثمن بخس.

٤٠٩. فيها: أنّ الموازين الأرضية هي ميزان الناس تتقلب حسب مصلحتهم بخلاف الموازين السماوية فهي ميزان الله تكمن في قرب العبد من ربه.

٤١٠. فيها: أنّه ينبغي على العبد أن يوطن نفسه على البلاء، والصبر على أقدار الله، وأنّ الله قد يبتلي أحبّ الناس إليه بمثل هذا البلاء العظيم، فقد سُلط على هذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم، من يبيعه بيع العبد.

٤١١. فيها: أنّ الإرادة إرادة الله، فقد باعوه ليكون عبداً فصار ملكاً.

٤١٢. تفيد زهد الناس في البضاعة التي لا يشرونه بثمن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هود: [٢١].

٤١٣. فيها: أنّ البيوت كانت على الفطرة السليمة من حيث ظهور قوامة الرجل على البيت وأهله وحسن الامتثال من المرأة.

٤١٤. فيها: حثُّ الرجل أهل بيته إكرام الضيف والإحسان للغير وتوجيههم لذلك.

٤١٥. تفيد: أثر الأم خاصة والمرأة عامة فيما يتعلق بتنشئة الأجيال وتربيتهم وحسن رعايتهم.

٤١٦. تفيد: أنّ العبرة بالمعاني لا بالألفاظ والمباني، فالعبرة هنا ليس باسم حاكم مصر، وعزيزها وإنّما العبرة بالدروس المستخلصة، والعبر والمواعظ والحكم من وراء الأحداث ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾.

٤١٧. فيها: فضل مصر، ولذلك سميت هنا (الأرض) بالتعريف، وقد استفاد العلماء من ذلك في الجواب عن الإشكال في قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما قال لسارة فإنّي لا أعلم في الأرض مؤمن غيري، وغيرك، وهو في الصحيحين، فقيل: أراد بالأرض مصر وهو أحد الأجوبة لما استشكل قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع وجود لوط عليه الصلاة والسلام، وقول الله تعالى ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾.

٤١٨. تفيد: أنّ الله قد يسخر لك من ينفعك، وإن أراد وراء ذلك كسب دنيوي، وكل ذلك تسخير رباني، فاحمد الله عليه.

٤١٩. فيها: من ألطاف الله بيوسف عليه السلام في هذه الآية أنّه تعالى عطف قلب العزيز إليه بمحبته، وحسن رعايته، وإذا أحبك الله قذف محبتك في قلوب عباده.

٤٢٠. فيها: رعاية الله، وحفظه لأنبيائه ورسله، وأوليائه حتى لو عاشوا في بيت كفر، وبطش.

٤٢١. فيها: عناية الله ولطفه عز وجل في اختيار بيئة التنشئة، والمحضن ليوسف عليه الصلاة والسلام فمن نشأ في بيئة منعة، وقوة وعز ليس كمن نشأ ببيئة ذل، وهوان.

٤٢٢. فيها: الحث على العناية بأمر الضعيف، وعابر السبيل، واليتيم لاسيّما صغير السن.

٤٢٣. فيها: فراسة عزيز مصر، وتفاؤله بيوسف عليه السلام فلم يعامل معاملة الرقيق، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ وكان نبينا صلي الله عليه وسلم يحبُّ الفأل الحسن، فقد تحقق النفع لكل مصر من نبيّ الله يوسف صلي الله عليه وعلي نبينا وسلم.

٤٢٤. فيها: أنّ التبني (تبني الأولاد)، سنة قديمة، وقد أبطلها الإسلام؛ كما قال: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۖ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥﴾ الاحزاب: [٤-٥].

٤٢٥. تفيد: أنّ على الحكومات، وسائر الناس، أن يكرموا مثوى أطفال الملاجئ، ونحوهم؛ عسى أنّ ينفعوا البلاد، والعباد، والعكس؛ فإنّ إهانتهم وتضييعهم، سبب في الضرر للبلاد، والعباد.

٤٢٦. فيها: فراسة العزيز حيث نوى الاحتفاظ بهذا الصبي ليستقر عنده، ولم ينوي بيعه، أو استغلاله في الرق بل أمر بإكرامه فالمثوى هو المستقر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (أفرس الناس ثلاثة: العزيز، حين قال لامرأته: أَكْرِمِي مَثْواهُ عَسى أنّ يَنْفَعَنا وبنت شعيب التي قالت: يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ أنّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأمِينُ، وأبو بكر، حين تفرَّس في عمر رضي الله عنها وولاه من بعده"[(١)].

٤٢٧. فيها: العناية بالغريب، وما يعينه على استقراره في البلد؛ لقوله: ﴿مَثۡوَىٰهُ﴾ مقامه ومستقره.

٤٢٨. فيها: حسن سياسية الرجل في بيته من تعليل إكرام الرقيق بعسى أنّ ينفع.

٤٢٩. المربي إذا تفرّس من ابنه، أو تلميذه، النجابة حرص عليه، وبذل له كل ما ينفع لينفعه وينتفع ببره.

---

(١) الطبراني والحاكم { (٣٣٢٠) الذي صححه على شرط الشيخين}.

٤٣٠. فيها: أنّ صناعة الرجال منذ الصغر، فإنّ تهيئة البيئة مهمة من البيت الذي ينشأ فيه الولد، فينشأ على الإكرام والعزة فيهدف دوما إلى العلياء وليس على الإزلال فيركن إلى سفاسف الأمور.

٤٣١. تفيد: مظهرا آخراً من العناية الإلهية ليوسف عليه الصلاة والسلام؛ فالعادة أنّ من شُري بثمن بخس يهان، ويحتقر، ولا يجعل له قيمة، لكن كل ذلك من عناية الله تعالى به.

٤٣٢. فيها: أنّ التمكين لا يخلع خلعاً، ولا ينزع بالقوة؛ بل هو هبة من ربّ العالمين يهبها لمن شاء من عباده.

٤٣٣. منها: عدم السعي للتمكين بالمحارم وإراقة الدماء.

٤٣٤. فيها: تعبير الرؤى علم، إن كان وفق الضوابط الشرعية.

٤٣٥. فيها: أنّ العلم هبة من الله عز وجل، فعلى من أراد العلم أن يسأل الله تعالى أن يعلّمه.

٤٣٦. فيها: أنّ بعد كل ذلك المكر، يطمئن الله تعالى المسلمين بقوله، والله غالب على أمره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون.

٤٣٧. فيها: تنبيه أولى الألباب لأمر مهم وهو النصر مع الصبر، وعلى المؤمن أنّ يلزم جانب الحق، وإن تكاثرت المصائب والمحن لقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

٤٣٨. قوّة التوكل، ونبذ كل خوف من غير الله، لأمر من يغلب أمره على كل أمر جل في علاه، يعزّ من يشاء ولو اجتمع العالم على إذلاله.

٤٣٩. فيها: حسن الظن بالله والتوكل عليه، فهو قاهر وغالب لا راد لأمره ولا معقّب لحكمه.

٤٤٠. فيها: أنّ الغالب على الناس الجهل بالله، وعظمته، وأسمائه، وصفاته، ودينه.

٤٤١. يؤخذ منها: وجوب العلم عن الله وأسمائه وصفاته؛ لقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾، ثم قال – على سبيل الذم – : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

٤٤٢. تفيد منزلة ومكانة العلم وأهميته ودوره في استقامة الأمور.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يوسف: [٢٢].

٤٤٣. فيها: أنّ بلوغ الأشدّ أن يؤنس الرّشد، في تصرفاته، وعكسه السفيه، ولو كان بالغاً كبيراً.

٤٤٤. فيها: التنكير في (حكماً وعلماً) للتفخيم.

٤٤٥. فيها: الإفادة بالعناية الفائقة بمرحلة بلوغ الأشدّ والانشغال فيها بالعلم والحكمة.

٤٤٦. تفيد: أنّ العلم، والحكمة، فضل من الله تعالى يختص بهما من يشاء من عباده.

٤٤٧. فيها: أهمية الفهم مع العلم؛ لقوله: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾.

٤٤٨. فيها: تقديم الحكم على العلم؛ لأنّ الفهم، والعمل أولى من علم بلا فهم ولا عمل.

٤٤٩. فيها: أنّه بسبب إحسانه عليه الصلاة والسلام أحسن الله إليه بالنبوة، والحكمة والعلم.

٤٥٠. فيها: أنّ الله يجازي المحسنين بخير الدنيا، والآخرة، ومن ذلك أنّه جازى نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام بإعطائه العلم، والحكمة، فنصيبك من العلم، والحكمة بقدر إحسانك لله.

٤٥١. فيها: حثّ على الاتصاف بالإحسان، وهل أضيق الدوائر الثلاث، أكبرها الإسلام، ثم الإيمان، ثم الاحسان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ الزمر: [٣٢].

٤٥٢. فيها: أنّ الإخلاص، مفتاح الفهم؛ لقوله: ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾والمخلص، محسن؛ بل أعلى درجات الإحسان؛ لقوله: "تعبد الله كأنك تراه، فأن لم تكن تراه فإنّه يراك"(١).

٤٥٣. ومنها: من عاجل ثواب الإحسان علو الشأنّ، وبلوغ لذة العلم والزيادة.

٤٥٤. فيها: تقرير لقاعدة (صورة السبب قطعية الدخول) فكلّ من أحسن كافأه الله بإعطائه العلم، والحكمة، ويوسف عليه الصلاة والسلام داخل في الآية دخولاً أولياً، وليس خاصة به؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) أخرجه البخاري ١/١٩، ومسلم ١/٣٦.

٤٥٥. فيها: تصديق الله لأنبيائه، وأوليائه؛ حيث أخبر يعقوب – عليه الصلاة والسلام – قائلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾.

٤٥٦. فيها: أنّ يوسف وفّى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس، والعلم الكثير والنبوة"(١).

٤٥٧. فيها: أنّ من أعظم ما يرقي الإنسان لمرتبة الإحسان صبره على الابتلاءات.

٤٥٨. فيها: إشارة لسنته تعالى في جزاء كل محسن صابر، وكأنها إشعار للنبي ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٤٥٩. فيها: أنّ من ثمرات الإحسان المِنح الربانية العظيمة حكمةً، أو نبوةً أو فقهاً.

٤٦٠. فيها من مظاهر رحمة الله البِدارُ إلى الإعْلامِ بِنَتائِجَ صَبْرِ يُوسُفَ، وثَمَراتِ مُجاهَداتِهِ، وعَجائِبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعالى في مُراداتِهِ، إذْ طَوى لَهُ المِنَحَ في تِلْكَ المِحَنِ، وذَخَرَ لَهُ السِّيادَةَ في تِلْكَ العُبُودِيَّةِ"(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يوسف: [٢٣].

٤٦١. فيها: أنّ الله عز وجل يوصد الأبواب في وجه الوسواس الخناس ويناي عن العبارات الفاضحة، والألفاظ الخادشة للحياء، ويوصل المعلومة، والتوجيه الرباني بأقرب طريق، وأيسر سبيل.

٤٦٢. فيها: صيانة القرآن من ذكر ما يثير الغرائز، لأنّ ذكر هذه الأمور قد يفتح باب النفس البشرية شيئاً من التصورات مما يتوجب على الأسلوب الحكيم أنّ يطمس هذه التصورات، ويسد هذه المنافذ حتى لا تؤثر في النفس أثرها السيئ، وهذا هو ما صنعه القرآن الكريم حيث سارع

(١) تفسير السعدي١/٣٩٥.
(٢) محاسن التأويل٦/١٦٤.

بإيراد موقف يوسف بعد إيراده موقف امرأة العزيز بدون فصل، وفي آية واحدة، في هذه الجمل الثلاث التي تحمل معاني الخشية من الله، والأمانة على العرض، والحذر من الهلاك.

٤٦٣. تفيد: عفة، وطهر يوسف عليه الصلاة والسلام من أوّل كلمة في الآية ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾.

٤٦٤. فيها: ضعف المرأة أمام الحب، والعشق.

٤٦٥. فيها: شدّة تأثير الجمال على المرأة.

٤٦٦. كما يستفاد من الاستعاضة عن اسمها بالاسم الموصول ﴿ٱلَّتِي﴾الإشارة للحث على الستر، والعُدُولُ عَنِ التَّصْرِيحِ بِاسْمِها لِلْمُحافَظَةِ عَلى السَّتْرِ ما أمْكَنَ، أوْ لِلِاسْتِهْجانِ بِذِكْرِهِ"[(١)].

٤٦٧. فيها: ذلّ وهوان العاصي يُصيّر نعته بعمله لا اسمه ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾.

٤٦٨. تفيد: أنّ من يكون همه قضاء الشهوة لا يفكر إلا في كيفية الوصول إليها، ولو كان ذلك على حساب جاهه ومكانته.

٤٦٩. تفيد: أنّ المعصية تذل صاحبها، وأنّ الطاعة تعزُّ صاحبها، موقفاً ومالا فقد ذلت امرأة العزيز، وآل أمر يوسف عليه الصلاة والسلام ليكون عزيز مصر.

٤٧٠. ﴿هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾استحضار لمعنى السلطان والجاه، وهو من عظيم الفتنة للرجال؛ ولذا قال "ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال.."[(٢)] فقدم المنصب على الجمال لأثره على الحال والمآل بخلاف الجمال الوقتي، ففي المنصب اطمئنان ونجاة.

٤٧١. ذكر بيتها يفيد استحكام الخطر، والفتنة، لأنّه كان في بيتها ومحل سطوتها وهي ذات منصب وجمال.

---

(١) الألوسي١٢/١٣٤.

(٢) أخرجه البخاري ١/١٣٣، ومسلم٢/٧١٥.

٤٧٢. تفيد أن المرأة مكانها ومقرها الأساسي البيتن فالعَرَبَ تُضِيفُ البُيُوتَ إلى النِّساءِ بِاعْتِبارِ أنَّهُنَّ القائِماتُ بِمَصالِحِهِ أوِ الملازِماتُ لَهُ، وخُرِّجَ عَلى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[١].

٤٧٣. تفيد شدة المكر الذي وقع على يوسف عليه السلام فتَضْعِيفُ غَلَّقَتْ لِإفادَةِ شِدَّةِ الفِعْلِ، وقُوَّتِهِ، أيْ أُغْلِقَتْ إغْلاقًا مُحْكَمًا"[٢].

٤٧٤. تفيد أن الإنسان بفطرته يريد الستر، فغلقت الأبواب حباً للستر، ثم خوفا من الافتضاح، وزيادة في الرغبة.

٤٧٥. يفيد كثرة أبواب البيت عظم اتساعه، وكبر مساحته، مما يدل على الرفاهية، والنعيم الذي كانت عليه امرأة العزيز.

٤٧٦. في قوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ وهكذا أهل الشر، والفتن يُحكمون خططهم ويُجوّدون عملهم ويتواصون ببعضهم.

٤٧٧. قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ غلّقت الأبواب الأرضية المادية عن أبصار البشر، لكنّ المؤمن يراقب الله ويستحيي منه تعالى، الذي لا تغلق دون علمه وبصره الأبواب. ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ وهذا مقام الإحسان الذي حققه يوسف عليه الصلاة والسلام، والذي أشارت إليه الآية السابقة.

٤٧٨. لما أعطي يوسف الجمال ابتلي بالنساء فاستعصم فعصمه الله ومن أعطي نعمة ابتلي بها.

٤٧٩. فيها: التنبيه على عدم مخالطة النساء الأجنبيات.

٤٨٠. تفيد أهمية الاستعانة بالله تعالى في مواجهة الفتن فاستعاذ بالله لأنّه مُنْكَرٌ هائِلٌ يَجِبُ أنْ يُعاذَ بِاللَّهِ جَلَّ وعَلا لِلْخَلاصِ مِنهُ.

---

(١) الألوسي٦/٤٠٢.

(٢) التحرير والتنوير١٢/٢٥٠.

٤٨١. تفيد: أنّ من عظم الله في قلبه لا يستجيب لدعوة مخلوق مهما عظم إذا خالف أمر الله.

٤٨٢. فيها: الاستعاذة، والاعتصام بالله عند الدعوة إلى المعصية من الشيطان، وأعوانه من شياطين الإنس والجن، والنفس الأمّارة بالسوء.

٤٨٣. تفيد: عظم الفتنة التي تعرض لها يوسف عليه الصلاة والسلام، وتتمثل في الخلوة، وإغلاق الأبواب، وتجمّل المرأة، وطلبها مع الإصرار.

٤٨٤. فيها: عبرة عظيمة من العفاف، والتقوى، وعصمة الأنبياء قبل النبوة من الكبائر.

٤٨٥. الخلف في قراءة (هيت) إشارة كثرة المراودة، وتعدد أشكال التأثير والإغراء، ولكن يأبى ثبات الأصفياء الأنقياء!!

٤٨٦. فيها: التربية الإيمانية الأسرية في حصانة الأبناء ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، وحسن الرعاية المنزلية والإكرام ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾.

٤٨٧. تفيد أهمية معرفة عواقب المعصية ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٤٨٨. فيها: أنّ من الخلق الكريم معرفة فضل من أحسن إليك، وأنّ تحفظ له حقه.

٤٨٩. فيها: لا يجوز مقابلة الإحسان بالإساءة؛ بل يجب مقابلة الإحسان بالإحسان لقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ولقوله صلى الله عليه وسلم "من صنع إليكم معروفا فكافئوه"(١).

٤٩٠. فيها: أنّ الاستعاذة عبادة، ولا تكون إلا بالله عز وجل، وأنّها من العبادات التي كان يحرص عليها الأنبياء؛ قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، وقالت امرأة عمران: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ وغيرها من الآيات.

٤٩١. فيها: أنّ الاستعاذة بالله ملجأ العارفين، وملاذهم كما قال الله على لسان مريم ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾.

---

(١)قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٠٢١ في صحيح الجامع

٤٩٢. فيها: أنّ في مقدور العبد، اجتناب المعصية مهما زينت له، ودعي إليها، وعليه، ففيها: رد على الجبرية.

٤٩٣. فيها: أنّ صنائع المعروف تقي مصارع السوء؛ من قبل يوسف -عليه الصلاة والسلام- وسيده أيضاً؛ حيث أحسن إلى مملوكه، فانصرف عن تدنيس فراشه.

٤٩٤. يظهر في القصة الفرق الكبير بين سلوك من يراقب الخلق، وبين من يراقب ربّ الخلق.

٤٩٥. فيها: مشروعية الاستعاذة بالله عز وجل عند الدعاء إلى المعصية ليعصمه الله من الفتنة.

٤٩٦. ذَكَرَ يُوسُفُ عليه الصلاة والسلام في الجَوابِ عَنْ كَلامِها ثَلاثَةَ أشْياءَ: أحَدُها: قَوْلُهُ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ والثّاني: قَوْلُهُ تَعالى عَنْهُ: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾. والثّالِثُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ هَذا التَّرْتِيبُ في غايَةِ الحُسْنِ، ففي قَوْلُهُ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ إشارَةٌ إلى أنّ حَقَّ اللَّهِ تَعالى يَمْنَعُ عَنْ هَذا العَمَلِ، وفي قوله﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ ، أيضاً حُقُوقُ الخَلْقِ واجِبَةُ الرِّعايَةِ، فَلَمّا كان هَذا الرَّجُلُ قَدْ أنْعَمَ في حَقِّي يَقْبُحُ مُقابَلَةُ أنْعامِهِ وإحسانِهِ بِالإساءَةِ، وقوله﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وهَذِهِ اللَّذَّةُ لَذَّةٌ قَلِيلَةٌ يَتْبَعُها خِزْيٌ في الدُّنْيا، وعَذابٌ شَدِيدٌ في الآخرة، واللَّذَّةُ القَلِيلَةُ إذا لَزِمَها ضَرَرٌ شَدِيدٌ، فالعَقْلُ يَقْتَضِي تَرْكَها والاحْتِرازَ عَنْها، فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [(١)].

٤٩٧. تفيد ثلاثة أسباب مهمة تقي من الوقوع في المعصية، فقد امتنع يوسف – عليه الصلاة والسلام– من امرأة العزيز لثلاثة أسباب : الخوف من الله (معاذ الله)، تعظيم خيانة من ائتمنك على بيته وأهله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ خوف العاقبة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٤٩٨. أنّ من أحسن إلى أحد في بيته فخانه فإنّه لا يفلح في أمره وعاقبته.

٤٩٩. تفيد: أنّ الزنا، يجلب الحزن والغمّ والضيق؛ لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، لا يفوز، ولا يسعد.

٥٠٠. تفيد: أنّ العفة، من أسباب الفلاح.

---

(١) تفسير الرازي١٨/٤٣٩.

٥٠١. فيها: ذكر الربّ، أي: الله، أو السيد. وهذا من كمال أخلاق الأنبياء الثناء، والشكر للمنعم.

٥٠٢. هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجراً، لأنّه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبّة الله عليها، وأمّا محنته بإخوته فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها(١).

٥٠٣. فيها: استشعار النفس للإحاطة الإلهية، والمراقبة الربانية، والتخوف من الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ومن الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

٥٠٤. القصة تسلية، وتخفيف لنبينا ﷺ ببيان شدة الابتلاء الذي واجهه يوسف ﷺ؛ والمسلم تخف مصيبته إذا رأى من هو أشدّ منه بلاء.

٥٠٥. ومنها: هذه الآية سوط تأديب لكل من يتعلق بقوة الفتن من الشباب وغيرهم.

٥٠٦. تفيد هدياً قويماً في لتصدي لفتنة النساء، والتحذير منها، وبيان أنّه لا عذر لأحد في التنازل فيها مهما كانت المغريات.

٥٠٧. تفيد أن الطهر والاعتصام بالله تعالى هي بداية الفرج والفرج، والخروج من بيت الرق، والفرج يكون بعد شدّة وابتلاء.

٥٠٨. تفيد أهمية الشجاعة في مواجهة الفتن، وعدم الاستسلام لها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾يوسف: [٢٤]

(١) السعدي١/٣٩٦.

٥٠٩. تفيد الفرق الواسع والشاسع بين هم امرأة العزيز وهم يوسف، ومن العلماء من ينفي حتى عن يوسف عليه الصلاة والسلام مجرد الهم؛ بدلالة الوضع اللغوي لـ: ﴿لَوْلَآ﴾، فلرؤيته عليه الصلاة والسلام لبرهان ربه لم يهم بها.

٥١٠. ليس في نسبة الهمّ إلى يوسف عليه الصلاة والسلام قدح في عفته، وديانته بل هو ظاهر القرآن وهو منقبة له عليه الصلاة والسلام حيث توافرت له أسباب الفاحشة مع وجود الرغبة، والميل الفطري للنساء إلا أنّ داعي التقوى، والإيمان كان في قلبه أكبر من كل شيء.

٥١١. فيها: أنّ لا عصمة لأحد من الناس إلا ببرهان، ونور من الله، ويعظم هذا النور والبرهان بقدر قرب العبد من ربّه.

٥١٢. فيها: أنّ الهم الذي يؤاخذ عليه العبد، ويلام ما كان عزماً على الفعل.

٥١٣. فيها: أنّها همّت به عزماً بدلالة قد ولام القسم، وهمّ بها خشية لله وإيماناً به.

٥١٤. فيها: أثر الإيمان في صرف الإنسان عن السوء، والفحشاء؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ وهو برهان الإيمان الذي حصل في قلبه فصرف الله به ما كان هم به، وكتب له حسنة كاملة ولم يكتب عليه خطيئة إذ فعل خيرا ولم يفعل سيئة"(١).

٥١٥. فيها: الوقف الحسن بعد همّت به حتى يعطي المعنى الصحيح لاختلاف الهمين، وهو من لطيف الأداء في الوقف، والابتداء، الوقوف على همها ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾للتأكيد على أنّ همه لم يكن كهمها.

٥١٦. إخلاص العبد لله تعالى من أكبر أسباب عناية الله به وحمايته له.

٥١٧. فيها: القلب إذا ذاق طعم العبودية، والمحبة لله لم يكن هناك شيء أهم من رضا الله، والجنة.

---

(١)مجموع الفتاوى ١٠/ ١٠١- ١٠٢.

٥١٨. من علامات الاصطفاء الرباني انصراف العبد عن المعصية، وانشغاله بالطاعة، وليس المراد عصمته من الخواطر الواردة.

٥١٩. فيها: الإيمان، والإخلاص من أسباب الوقاية من الذنوب والمعاصي، ودفاع الله عن عبده.

٥٢٠. ومنها: تقديم محابّ الله على محابّ النفس شأنّ المخلصين.

٥٢١. فيها: صرف السوء والفحشاء عنه، وأنّه من المخلصين دليل على عصمته.

٥٢٢. والتَّعْبِيرُ عَنِ العِصْمَةِ بِالصَّرْفِ يُشِيرُ إلى أنّ أسْبابَ حُصُولِ السُّوءِ والفَحْشاءِ مَوْجُودَةٌ ولَكِنَّ اللَّهَ صَرَفَهُما عَنْهُ"(١).

٥٢٣. قِيلَ: أنّ كُلَّ مَن لَهُ دَخْلٌ في هَذِهِ القِصَّةِ شَهِدَ بِبَراءَتِهِ عليه الصلاة والسلام. فَشَهِدَ اللَّهُ تَعالى بِقَوْلِهِ: ﴿لِنَصْرِفَ﴾إلخ، وشَهِدَ هو عَلى نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي﴾[يوسف: ٢٦] ونَحْوِهِ، وشَهِدَتِ امْرَأةُ العَزِيزِ بِقَوْلِها: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[يوسف: ٣٢] وسَيِّدُها بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[يوسف: ٢٩] وإبْلِيسُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾[ص: ٨٢-٨٣] فَتَضَمَّنَ إخْبارُهُ بِأنَّهُ لَمْ يُغْوِهِ"(٢).

٥٢٤. تفيد:أنّ السوء، والفواحش، تنافي العبودية؛ لقوله: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

٥٢٥. فيها: تشريف ليوسف عليه الصلاة والسلام؛ حيث ضمه إلى جملة عباده، وهذا يدلك على أنّ العبودية، أعظم المراتب، وأشرفها، وحيث وصف بها رسله.

٥٢٦. تفيد: على القراءة الثانية فضل الله تعالى على من يصطفيهم من عباده، فيتولاهم بحفظه ورعايته.

---

(١) التحرير والتنوير.١٢/٢٥٥.

(٢) محاسن التأويل٦/١٦٩.

٥٢٧. وفيها: أنّه لا يكون المؤمن عبدا لله حقاً أو كاملاً، إلا إذا ترك السوء والفحشاء.

٥٢٨. تفيد: أنّ صرف الإنسان عن السوء والفحشاء نعمة تستوجب الشكر.

٥٢٩. فيها: معيّة الله عز وجل للصالحين من عباده وحفظه لهم معنوياً وحسياً.

٥٣٠. تفيد: أنّ الإخلاص المتضمن لصدق النية وحسن الطوية من أجل أسباب التوفيق.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾يوسف: [٢٥].

٥٣١. فيها: البعد عن مواطن الفتن.

٥٣٢. فيها: شدّة فرار يوسف –عليه الصلاة والسلام– من المعصية.

٥٣٣. تفيد: أنّ من الناس من يفرّ من المعصية، ومنهم من يفر إليها؛ فالأول مؤيد من الله.

٥٣٤. كلاهما استبق، لكن شتان بين المقصدين فهو للهرب وهي للطلب، حتى الخطى مكتوبة.

٥٣٥. فيها: أنّ الأعمال وإن تشابهت فمدارها على النيات وإنّما لكل امْرِئٍ ما نوي.

٥٣٦. زيادة المبني في الفعل ﴿وَٱسْتَبَقَا﴾زيادة في المعني وذلك يدل على الحرص الشديد لكل منهما على مراده.

٥٣٧. تفيد: التنبيه لخطورة فقه أعمال القلوب ومكانتها (واستبقا الباب) (من تأمّل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنّها لا تنفع بدونها، وأنّ أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميّز المؤمن من المنافق إلا بما في قلب كل واحد من الأعمال التي ميّزت بينهما ؟"[١].

٥٣٨. منها: الكل مسابق فمسابق لطاعة الله ومسابق لطاعة هواه فشتان بين السباقين.

٥٣٩. وتفيد مسابقة يوسف عليه الصلاة والسلام أهمية وفقه المسارعة، والمسابقة في محاب الله، وطاعته.

---

(١) بدائع الفوائد ٣/ ١٩٣.

٥٤٠. تفيد: أنّ الإنسان لا يعذر نفسه، بأدنى سبب، فهذا يوسف عليه الصلاة والسلام، يعلم أنّ الباب مغلقا، وهو يحاول الهرب من المعصية، وإن كان الأمل في الخروج ضعيفاً إن لم يكن مستحيلاً، وامرأة العزيز كذلك تعلم أنّه لا يستطيع الخروج، لكنها تحاول أيضاً ولم تتركه، لئلا يجد خلاصاً، ومخرجاً، وإن كان في ظنها أنّ ذلك بعيداً، ولذا فإنّ الفقهاء اشترطوا في مسالة الإكراه أنّه يكون ملجأً لا مجرد تهديد ممن يظن أنّه غير قادر على إيقاع ما توعد به.

٥٤١. فيها: وجوب العمل، وبذل السبب حتى لو كان ظاهرياً ليس له ثمرة، كسبق يوسف إلى أبواب أبلغته صاحبة القصر أنّها غلّقتها، ومثله ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ ومعلوم صلابة جذع النخلة، وضعف المرأة التي على وشك الولادة.

٥٤٢. تفيد: أنّ هروب يوسف عليه الصلاة والسلام منها فيه منجاة لها، وله.

٥٤٣. فيها: قدّ القميص من الدبر دليل عليها.

٥٤٤. فيها ﴿وَقَدَّتۡ﴾ شدّة وحرص وقوة وحماس وعزيمة أهل الشر والباطل على ضلالهم، فقد قال عمر "عجباً لجلَد الفاجر وعجز الثقة"

٥٤٥. فيها: أنّ يوسف –عليه الصلاة والسلام– كان أسبق للباب؛ بقرينة: ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾.

٥٤٦. فيها: جواز إطلاق السيد على المخلوق، فهو سيد فيما يقدر عليه.

٥٤٧. فيها: أنّ الزوج، سيد المرأة، وفي صحيح مسلم، أنّ زوجة أبي الدرداء قال: "حدثني سيدي"(١)، تعني زوجها، رضي الله عنهم.

٥٤٨. ومنها: أنّه مهما حرص العاصِ على التخبي يفضح، فرغم حرصها على تغليق الأبواب فضحها الله، فلا يغتر بستر الله إلا الغرور.

---

(١) أخرجه مسلم٤/٢٠٩٤.

٥٤٩. لا يوثق بصاحب المعصية مهما كان حبّه لك، فامرأة العزيز رغم حبها ليوسف استثارة غضب زوجها عند أول موقف.

٥٥٠. تفيد أن الحب الذي ينبغي أن تطمئن عليه هو ما كان لله وليس لمصلحة معينة.

٥٥١. فيها: سرعة البديهة عندها، وكأنّ الكلام كان مرتّباً عند لقائها بزوجها، ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾.

٥٥٢. تفيد: هيبة الموقف، وعظم المفاجأة فتنتهي الشهوة ويبدأ المكر.

٥٥٣. فيها: البدء بالهجوم، وقوّة الحجة تجعل القاضي يميل إلى الألحن بحجته، وتجعل البريء في خانة المدافع.

٥٥٤. المعصية تجر إلى معصية أخرى، فمع المراودة كذبت على يوسف عليه الصلاة والسلام.

٥٥٥. تفيد: الآية التبرئة من الفعل لها وليوسف عليه الصلاة والسلام لأنّها عبرت بالإرادة، ولم تقل: من فعل.

٥٥٦. يفيد: قولها ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ نسبت نفسها للعزيز وأنّي أنا أهلك، وذلك لاستثارة كامل غيضه وغيرته ونقمته.

٥٥٧. فيها: الاندفاع من طبيعة غالب النساء ﴿وَرَٰوَدتُّهُۥ﴾﴿وَٱسْتَبَقَا﴾﴿وَقَدَّتْ﴾﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾.

٥٥٨. لَمّا شاهَدَتْ مِن يُوسُفَ عليه الصلاة والسلام أنّهُ اسْتَعْصَمَ مِنها مَعَ أنّهُ كان في عُنْفُوان العُمُرِ وكَمالِ القُوَّةِ ونِهايَةِ الشَّهْوَةِ، عَظُمَ اعْتِقادُها في طَهارَتِهِ ونَزاهَتِهِ فاسْتَحْيَتْ أنْ تَقُولَ أنّ يُوسُفَ عليه الصلاة والسلام قَصَدَنِي بِالسُّوءِ، وما وجَدَتْ مِن نَفْسِها أنْ تَرْمِيَهُ بِهَذا الكَذِبِ عَلى سَبِيلِ التَّصْرِيحِ بَلِ اكْتَفَتْ بِهَذا التَّعْرِيضِ"[1].

(١) الرازي١٨/٤٤٥.

٥٥٩. يفيد: قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾والمرادُ أنّ يُسْجَنَ يَوْمًا أوْ أقَلَّ عَلى سَبِيلِ التَّخْفِيفِ، فَأمّا الحَبْسُ الدّائِمُ فَإنّهُ لا يُعَبَّرُ عَنْهُ بِهَذِهِ العِبارَةِ، بَلْ يُقالُ: يَجِبُ أنّ يُجْعَلَ مِنَ المَسْجُونِينَ، إلا تَرى أنّ فِرْعَوْنَ هَكَذا قالَ حِينَ تَهَدَّدَ مُوسى عليه الصلاة والسلام في قَوْلِهِ: ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ الشعراء: [٢٩].

٥٦٠. فيها: أنّه ليس كل من دخل السجن مجرماً.

٥٦١. وَهَذِهِ الآية تَقْتَضِي تَعْظِيمَ مَوْقِعِ السِجْنِ مِنَ النُفُوسِ لا سِيَّما بِذَوِي الأقْدارِ؛ إذْ قَدْ قُرِنَ بِأَلِيمِ العَذابِ"(١).

٥٦٢. ومنها: المحب لا يسعى في إيلام المحبوب، فحبها الشديد ليوسف حملها على أنّها بدأت بذكر السجن، وأخرت ذكر العذاب"(٢).

٥٦٣. تفيد صور الظلم التي تقع على بعض الأبرياء في الدنيا من أصحاب السلطة والجاه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ﴾ يوسف: [٢٦-٢٧].

٥٦٤. فيها: أنّ الصراع بين الحق والباطل سنه كونية.

٥٦٥. فيها: أنّ الحق واحد لا يتعدد.

٥٦٦. فيها: مشروعية الدفاع عن النفس.

٥٦٧. فيها: أنّ الإثبات أقوي حجة من مطلق النفي فيوسف عليه الصلاة والسلام لم ينفي التهمة الباطلة عنه فحسب، وإنّما أثبتها على الخصم.

---

(١) ابن عطية٣/٢٣٥.

(٢) الرازي١٨/٤٤٥.

٥٦٨. فيها: كذلك في منهج ردّ التهم أنّ التخصيص ﴿هِيَ﴾أقوي حجة من مطلق التعميم ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾فيوسف عليه الصلاة والسلام خصص في ردّ اتهامه وهي عممت ولم تقوى على الاتهام المباشر.

٥٦٩. ومنها: حسن الخلق، والحياء لا ينافي أخذ الحق، والذب عن النفس.

٥٧٠. ومنها: رجاحة العقل، وعفت اللسان تظهر عند الخصام.

٥٧١. فيها: أنّ على من اتُّهِم بغير وجه حق أنّ يسعى في نفي التهمة عنه.

٥٧٢. فيها: أنّ الحياء من الإيمان فلم يواجه يوسف عليه الصلاة والسلام امرأة العزيز بالرد بل قال ﴿هِيَ﴾ بضمير الغيبة.

٥٧٣. فيها: من فقه الرد على المخالف الاختصار في الرد إذا اقتضت الحكمة ذلك فتأمل الإيجاز بقوله: ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾.

٥٧٤. فيها: حبّ الأنبياء للقميص دون غيره من اللباس؛ ولما فيه من التستر.

٥٧٥. فيها: أهمية تربية الأبناء على لبس القميص، وترغيبهم فيه؛ لأنّه أسهل من غيره من ذلكم اللباس المستحدث، وقد كان يلبسه يوسف -عليه الصلاة والسلام- في الصغر ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ومن شبّ على شيء، شاب عليه، وقد كان أيضاً لباسه حتى في آخر حياته ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾فهو لباسه صغيراً وكبيراً وبين ذلك.

٥٧٦. فيها: دقّة الشهادة، وفطانة الشاهد؛ لقوله: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ فبدأ بها أولاً دون يوسف، ثم أخرّ يوسف ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

٥٧٧. فيها: أنّ العفيفة، تدفع عن نفسها المعتدي عليها بكل قوة؛ لقوله: ﴿مِن قُبُلٍ﴾، قرينة على صدقها.

٥٧٨. فيها: عنايه الله بيوسف عليه الصلاة والسلام إذ كونه من أهلها أقوى في إقامة وإثبات الحجة عليها، ورد التحامل على يوسف.

٥٧٩. تفيد: أهمية الشهادة في إقامة الحق، والعدل، ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾البقرة: [٢٨٣].

٥٨٠. فيها: عناية الله عز وجل بعبده، ونبيه يوسف عليه الصلاة والسلام، وتكريمه له حيث أنطق الشاهد له وهو طفل صغير في المهد.

٥٨١. فيها: تقديم الشاهد أمارة على صدقها على أمارة صدقه في الذكر إزاحة التهمة ووقوفا بأنّ الإمارة الثانية هي الواقعة فلا يضره تأخيرها"(١).

٥٨٢. فيها كذلك: تقديم الشاهد أمارة على صدقها على أمارة صدقه؛ لأنّ الأصل في المرأة أنّها مطلوبة لا طالبة، ومرغوبة لا راغبة.

٥٨٣. ومنها: كون الشاهد من أهلها وبدأ بتكذيب يوسف عليه الصلاة والسلام فكأنّه أراد الدفاع عنها، ولكنّ الله جلّ في علاه تكفّل بنصره، وإظهار الحق.

٥٨٤. تفيد: أنّه من مأمنه يؤتى الحذر، ومن مخبئه تكتشف الأدلة وتظهر البراهين، فامرأة العزيز استطاعت بجبروتها وطغيانها أن تغلق الأبواب المشرعة في وجه يوسف عليه الصلاة والسلام المظلوم المغلوب على أمره ولكنّها عجزت أنّ تغلق الأفواه وتخرس الألسنة في الدفاع عنه حتى من أقرب الأقربين إليها، وهذه هي سنّة الله تعالى في نصرة المظلومين.

٥٨٥. فيها: اعتبار القرائن عند فقدان الشهادة.

٥٨٦. فيها: أنّ الله، قد يخلق لعبده ما لا يرغب فيه لحكمة ومصلحة له في العاجل، أو الآجل؛ لأنّ الله قدر شقّ القميص، ليبرئ عبده يوسف عليه الصلاة والسلام، وتصديق ذلك، قول الله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف: ٧٩].

---

(١) تفسير القاسمي لا يوجد ترقيم للجزء ولا الصفحة بالشاملة.

٥٨٧. فيها: أنّه مهما عظم حرص المجرم على إخفاء الجريمة لو أراد الله كشفه لترك أثرا يدل عليه فيفيد أنّ لا ييأس أصحاب القضايا العدلية من التقصي، والبحث عن الأدلة.

٥٨٨. تفيد أن من وراء كل مكر وخيانة تدبير ولطف إلهي عجيب بأوليائه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ﴾ يوسف: [٢٩].

٥٨٩. تفيد: قلة غيرة العزيز من عدة وجوه: طلبه من يوسف الإعراض من أحل كتم الأمر حتى لا يشاع، طلبه فقط من زوجته الاستغفار، جعلها من جملة الخاطئين يعني هم كثر، وأنّت واحدة منهن.

٥٩٠. فيها: أنّ دياثة الرجل، وضعف غيرته من أسباب فساد المرأة وتساهلها.

٥٩١. فيها: براءة يوسف عليه الصلاة والسلام، وأنّ الله نفعه بشهادة الشاهد.

٥٩٢. تفيد: أنّ الفضائل تقرّ بها حتى مجتمعات الجاهلية، وقد قالت هند في البيعة مستنكرة: (أو تزني الحرة).

٥٩٣. تفيد: أنّ من عادة الناس لا يحبون ذكر الفعل القبيح ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾.

٥٩٤. فيها: خلق من أخلاق الناس قديماً، وحديثاً في الاهتمام بما لا فائدة منه من حياة الساسة، والوجهاء، والتطلع لما يحرص الساسة على ستره كما قال العزيز ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾.

٥٩٥. فيها: أنّ النفوس مفطورة على محبّة الستر وأن كانت كافرة.

٥٩٦. فيها: أنّ من كمال العقل كتمان ما لا يليق نشره.

٥٩٧. فيها: أهمية الإعراض عن الأمور غير النافعة.

٥٩٨. فيها: أهمية الإعراض عن التصريح بما يسوء إذا أدى مؤداه التلميح كما في قوله ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾.

٥٩٩. نفيد أن الذنب علاجه الاستغفار والتوبة والانابة.

٦٠٠. فيها: تغليب الذكور على الإناث في الخطاب؛ لقوله: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩﴾، ولم يقل: "من الخاطئات".

٦٠١. فيها: أنّ الخاطئ هو الآثم بخلاف المخطئ من الخطأ.

٦٠٢. فيها: أنّ البلاء قد ينزل بالصالحين وإن كانوا أبرياء كيوسف عليه الصلاة والسلام، وقد يرتفع عن المجرمين، وإن كانوا مخطئين كامرأة العزيز.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾ يوسف: [٣٠].

٦٠٣. فيها: مثال لما هو من سنن العرب، من تذكير المؤنث، وتأنّيث المذكر في الجمع ففي هذه الآية، مثال للأوّل قال تعالى﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ومثال الثاني قوله تعالى﴿۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ﴾الحجرات: [١٤].

٦٠٤. تفيد: سرعة انتشار الأخبار السيئة، لا سيّما أخبار الوجهاء لقوله:﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾.

٦٠٥. تفيد: الآية الكريمة، ما قرره أهل اللغة من تجريد الفعل من التثنية، والجمع، وذلك لدفع توهم أنّ الاسم الظاهر مبتدأ مؤخر وما قبله فعل وفاعل خبر مقدم، وكذا في تثنية الوصف وجمعه، فالتزم توحيد المسند دفعًا لهذا الإيهام، وهذا هو الفرق بين التثنية والجمع، وبين التأنّيث حيث ألحقوا علامة للتأنّيث دون علامتي التثنية والجمع؛ لأنّ علامة التأنّيث ليست بعلامة إضمار فلا تلتبس بعلامة الإضمار، ولغة التوحيد هي الفصحى، وبها جاء التنزيل كما في هذه الآية الكريمة وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

وجرد الفعل إذا ما أسندا لاثنين أو جمع كفاز الشهداء.

٦٠٦. اشتملت هذه الآية على مثال لما لا واحد له من لفظه، مثل قوم، ورهط، وهو كثير في اللغة، وهنا في الآية الكريمة: كلمة ﴿نِسۡوَةٞ﴾.

٦٠٧. تفيد: أنّ نقل الكلام والخوض في الأعراض تقع فيه النساء أكثر من الرجال.

٦٠٨. تفيد: أنّ مجالس النساء على الأغلب يجري فيها كشف للسوءات، فلتجتهد المؤمنة على ضبط اللسان وصون الأعراض.

٦٠٩. فيها: شيوع، وانتشار خبر امرأة العزيز وسط بعض نساء المدينة رغم التكتم، ومحاولة العزيز ضبط الأمر وحصره.

٦١٠. تفيد: أنّ النساء يتحدث غالباً في مجالسهن عمن فوقهن رتبة دنيوية غيرة وحسداً.

٦١١. فيها: أنّ الفضائح لا تخفيها الجدران، ولا تردها ستور.

٦١٢. تفيد: أنّ الشقي من كشف الله ستره وسلّط الله تعالى ألسنة خلقه عليه.

٦١٣. تفيد: أنّ الناس ينتظرون من قادتهم سلوكاً سوياً وإن لم يكونوا هم كذلك.

٦١٤. فيها: أنّه كلما كان الإنسان صاحب منزلة رفيعة، كلما ازداد اهتمام الناس به، فجعلوه تحت المراقبة، وهو أكثر عرضة للانتقاد من غيره.

٦١٥. تفيد: عدم كمال الدنيا فالملك فيها يسوس الرعية ويبتلى في داخل بيته.

٦١٦. تفيد: إذا أضيفت المرأة إلى زوجها فتحت التاء رسماً كما رسم في هذه الآية، وإذا لم تضف إلى زوجها جاءت التاء مربوطة.

٦١٧. قوله تعالى: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾إشارة إلى ما يلحق الرجل من العار في مثل هذه الأفعال الشنيعة، لذلك كانت عقوبة المحصنة أعظم من البكر.

٦١٨. تفيد: تبرئة يوسف عليه الصلاة والسلام على لسان النسوة، وهذا من كمال حفظ الله لعرض يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾.

٦١٩. يفيد مجيء ﴿تُرَٰوِدُ﴾بصيغة المضارع مع كون المراودة مضت لقصد استحضار الحالة العجيبة لقصد الإنكار عليها في أنفسهنّ ولومها على صنيعها.

٦٢٠. فيها: نكارة الفاحشة في سائر الأوطان، والأزمان، والأديان.

٦٢١. فيها: ﴿فَتَىٰهَا﴾ليس لها ولاية عليه وإنّما بالتتبع فهو غلام لسيّدها.

٦٢٢. تفيد: أنّ القلوب الخاوية من محبة الله يبتليها الله تعالى بمحبة الصور التي تعذّب بها.

٦٢٣. فيها: أنّ من أحبّ غير الله عذّب به، فقد كان هذا الشغف وبالا عليها.

٦٢٤. فيها: التحذير من المحبّة التي قد تجلب الأضرار.

٦٢٥. فيها: تنبيه على خطورة إطلاق النظر، والمبالغة في الاختلاط ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾.

٦٢٦. تفيد: أنّ الشغف في الحب يدلّ على حالة غير سوية وغير مقبولة، وذلك لأنّه يكون حبا من أجل الشهوة العارمة المستمرة، فهي ليست شهوة عارضة، ويدلّ على ذلك الفعل المضارع ﴿تُرَاوِدُ﴾، ويدل على ذلك انتشار خبرها بين النسوة.

٦٢٧. فيها: ضعف عقل المرأة ودينها؛ أمّا عن العقل، فلقوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾، بقرينة ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾وأمّا عن الدين، فلأنّها فضحت نفسها، وفضحها من أسرت إليهنّ من النسوة!.

٦٢٨. تفيد: أنّ الحب قد يتطور إلى مستويات اضطرابية، فيصبح شغفا، والشغف في الحبّ يشير إلى حالة غير سوية.

٦٢٩. تفيد: أنّ المجتمعات وإن خلت من الدين لن تخلو من قيم تتحاكم إليها في التحسين والتقبيح، ومن الأهمية بمكان معرفة أديان وعادات وتقاليد الشعوب.

٦٣٠. يفيد: قولهنّ: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾هو قول حَقٍّ أُريد به باطل، ولذلك يقول الحق سبحانه بعد ذلك ما يفضح مَقْصِدهن: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾[1].

٦٣١. فيها: إطلاق الضلال على الخطأ؛ وليس الضلال الديني.

٦٣٢. في قولهنّ: ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾تبرئة لأنفسهن من مثل هذا الفعل وترفّع بها عنه، وهو من كيد النساء العظيم، استغلال مصائب الغير –خاصة أنّ الغير من علية القوم، وممن يحسد على منصبه– لإثبات فضلهن بتنزههن عنه.

٦٣٣. فيها: أنّ الخبر إذا شاع يزيد عليه كلّ من نقله ما يوافق هواه.

---

(١) تفسير الشعراوي١١/٦٩٣٢.

٦٣٤. فيها: أنّ علية القوم، ونساؤهم عرضة للشائعات، فكيف إذا وقع منهم ما يشين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ يوسف: [٣١].

٦٣٥. فيها: أنّ لكل فعل ردة فعل ومن شدة الموقف تكون ردة الفعل بالقول، والعمل.

٦٣٦. فيها: مقدرة الساسة للوصول إلى أخبار الناس من قديم الزمان.

٦٣٧. فيها: جرأة نساء الأكابر.

٦٣٨. فيها: أنّ الأمر بالشيء كفاعله ﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾.

٦٣٩. فيها: قلة ورع النساء، واجتماعهن، وتكلفهن، وانشغالهن بما لا ينفع، فلا ينبغي إطلاق العنان للمرأة لعقد مجالس الترف، فتأمل: ﴿أَرۡسَلَتۡ﴾ "﴿وَأَعۡتَدَتۡ﴾﴿مُتَّكَـٔٗا﴾﴿كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾﴿ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ﴾.

٦٤٠. تفيد: بيان جلد الفاجر، حيث أنّ امرأة العزيز تولّت ترتيب هذه الأمور بنفسها حتى إنّها آتت كلّ واحدة منهن سكيناً لتتأكد من نجاح خطتها الإجرامية الفاجرة، وهكذا دأب الفاجر، وصدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: (أعوذ بالله من جلد الفاجر وعجز الثقة).

٦٤١. فيها: التنبيه عن عدم التعاطي مع الآلات الحادة، وموارد التهلكة عند الذهول، وعدم التركيز لخطورة ذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾.

٦٤٢. فيها: بلاغة القرآن في بيان غاية ذهولهن، فعبر عن قطع الأنامل بقطع الأيدي.

٦٤٣. تفيد: أنّه لأجل الهوى تبدد الأموال، وتهدر الأوقات.

٦٤٤. فيها: أهمية أن يحرص المسؤولون، والساسة على تفقد أخبار الناس، والاطلاع على أحوالهم الظاهرة لإصلاحها.

٦٤٥. فيها: أهمية معرفة طرق المكر، والشر لتوقيها، ومعرفة التعامل مع أصحابهما.

٦٤٦. فيها: تنبيه على ضرورة الحذر من دواعي الشهوة، وما يقرب منها.

٦٤٧. فيها: كثير من أحكام النظر، وعواقبه، وأثره على العقل، والقلب.

٦٤٨. تفيد: النظرة الخاطئة تورد صاحبها المهالك.

٦٤٩. فيها: أنّ داء العشق من أسباب سفول الهمة.

٦٥٠. فيها: أنّ التعبير بالخروج يحمل دلالة الإكراه.

٦٥١. فيها: أنّ إعجاب المرأة غالباً بشكل الرجل ومظهره، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥ﴾وأمّا إعجاب الرجل فالكلام وحسن المنطق ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾.

٦٥٢. فيها: ضرورة منع أصحاب الجمال من الفتنة بأنّ يَفتن، أو يُفتن.

٦٥٣. فيها: إطلاق "القطع" على "الجرح"، كما أنّه يطلق على "الإبانة" كذلك، وهو الأصل.

٦٥٤. تفيد: أنّ للجمال دهشة، ووقعا في القلب.

٦٥٥. تفيد: إثبات جمال خلقة الملائكة.

٦٥٦. تفيد: أنّ البشر أقلّ جمالاً من الملائكة.

٦٥٧. تفيد: أنّ الذهول يطيش بالعقول﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

٦٥٨. فيها: أنّ الأصل عند الناس تشبيه كل ما هو غاية في الجمال، والنقاء بالمَلَك والملائكة، وتشبيه ما هو غاية في القبح والشر بالشياطين –حتى وإن لم يروها.

٦٥٩. فيها: فقدان الإحساس الجسدي عند ذهول العقل.

٦٦٠. فيها: أنّ المذنب يحب أنّ يشاركه الآخرون الذنب.

٦٦١. فيها: أنّ النسوة فطرن على المبالغة، وهو أمر لا يتجاهل بل يصرف فيما ينفع.

٦٦٢. فيها: أنّ قلوب الخلق مفطورة على تنزيه الله عز وجل من النقائص، والمعايب سبحانه وتعالي﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾.

٦٦٣. يفيد: قوله:(كريم) هيبة الأنبياء، وشرف أصولهم، وكرم نفوسهم، وسماحتهم ونبل أخلاقهم، تظهر في محياهم قبل أنّ يتكلموا.

٦٦٤. فيها: لأولياء الله، وقار وهيبة يجعلها الله لهم في قلوب الناس﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾.

٦٦٥. فيها: أنّهن ذهلنّ من هول ما رأين من جلسة واحدة، فما بالك بمن ابتليت بطول الخلوة، ودوام النظر؟.

٦٦٦. تفيد: أنّه "ليس الخبر كالمعاينة"، وهو مروي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾يوسف: [٣٢].

٦٦٧. فيها: تأسي أهل الباطل ببعضهم البعض، وفي ذلك تشجيع لهم بالتمادي في باطلهم.

٦٦٨. فيها: أنّ الباطل الذي يتداول الناس خبره، وينتشر أثره يغري للوقوع فيه.

٦٦٩. فيها: في قولها ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾ ولم تقل (فهذا) إشارة إلى منزلته في الحسن، وأنّه لا يوجد مثله.

٦٧٠. في قولها: ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾، تثبت براءة يوسف.

٦٧١. تفيد أن أهل الباطل دائما يبررون لأفعالهم القبيحة بوجه قد يعذروا فيه.

٦٧٢. تفيد أثر اللوم على الإنسان وهو من الأساليب المؤثرة.

٦٧٣. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾، بل بالغ في الامتناع.

٦٧٤. تفيد: عزيمة وشموخ وطهر يوسف عليه الصلاة والسلام في قولها﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ حتى ان اللفظة تظهر كأنه جبل شامخ تتكسر فيه أمواج الفتن.

٦٧٥. فيها: أنّ الله، يبرئ عبده على لسان خصمه إن شاء.

٦٧٦. تفيد: تأكيد تبرئة أخرى ليوسف عليه الصلاة والسلام أمام حشد من النساء.

٦٧٧. فيها: الصبر على العفة، وعدم الرضوخ للإغراءات مهما كثرت، وفي هذا درس لمن يتساهلون بسبب كثرة الفتن في عصرنا.

٦٧٨. تفيد: عظم الابتلاء الذي تعرّض له يوسف عليه الصلاة والسلام، وهو صابر محتسب، فهو قدوة لكل شاب مسلم يتعرّض للإغراءات، والفتن.

٦٧٩. فيها: أنّ الجمال ظاهر وباطن، فلما رأين جماله الظاهر أخبرتهنّ بجماله الباطن.

٦٨٠. تفيد أن كمال النعمة استواء جمال الظاهر والباطن ولا يكن جمال الظاهر مدعاة لفساد الباطن.

٦٨١. فيها: أنّه لما رأين جماله الظاهر وأعجبنّ به، وأرادت إظهار جماله الباطن من العفة ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾.

٦٨٢. فيه دليل على مراودتها له بالأمر مرارا وتكرارا ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.

٦٨٣. تفيد: أنّ ألفاظ القرآن الكريم غاية في الرقي، والعفة، والبعد عما يخدش الحياء، ويثير الشهوة، لقوله تعالى على لسان امرأة العزيز: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ ولم يصرح القرآن الكريم بذلك الشيء التي تأمره به.

٦٨٤. تفيد: قوّة سلطة المرأة على يوسف عليه الصلاة والسلام وهي تقول ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ فهي ترى نفسها سيّدة لا ينبغي أن يعصى لها أمر.

٦٨٥. تفيد: خطورة تدخل نساء القصور في مسائل الحكم، والقضاء، وإصدار الأحكام دون رقيب.

٦٨٦. تفيد: أنّ المجرمين يسلكون سبل الإغراء، وسبل التهديد للوصول إلى أهدافهم السيئة.

٦٨٧. تفيد: أنّ الحبّ الذي يكون لغير الله ينقلب إلى عداء إذا لم تتحقق المصلحة، فلو كانت صادقة في حبه لما هددت بما هددت به.

٦٨٨. تفيد: أنّه لما لم ينكرنّ عليها فعلتها بعدما أبدين إعجابهن بفتاها بلساني الحال والمقال اعتبرتهنّ شريكات في المراودة.

٦٨٩. تفيد: نفسية صاحب الهوى المغرورة، التي لا تعرف شوامخ القيم، ولا حجم المعالي، والشيم.

٦٩٠. تفيد: من اللطائف: ليسجننّ بالنون المشددة؛ لأنّها قادرة على سجنه، أما وليكوناً مخففة، لأنّها لا تملك أنّ تجعله من الأذلاء.

٦٩١. فيها: لما كان العزم منها سجنه أتت النون التوكيدية﴿ لَيُسۡجَنَنَّ﴾.

٦٩٢. فيها: أنّ السجن من البلاء، ومما يخاف، منه ولذلك هددت به.

٦٩٣. تفيد كذلك قدم السجون في مصر، وقد جاء بعدهم فرعون فقال لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾.

٦٩٤. فيها: قد يكون إبعاده بالسجن أولى من تعذيبه أمامها وهي تحبه.

٦٩٥. المرأة خدّاعة فهي تعترف هنا أنّها راودته لكن بين صاحباتها، وتجحد ذلك، وتتهمه عند الباب لدى زوجها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ يوسف: [٣٣].

٦٩٦. تفيد: أنّ القوي من قوّاه الله، وأنّ قمم الإيمان لا يعبث بها الفساق.

٦٩٧. فيها تقرير: لقاعدة إذا قوي الداعي وتمّ الترك عظم الأجر، وإذا ضعف الداعي وتمّ الفعل عظم الوزر.

٦٩٨. فيها: الفرار من الفتن، وإيثار السجن، والبلاء على معصية الله جل في علاه.

٦٩٩. تفيد: استحباب الدعاء باسم الرب؛ لقوله: ﴿رَبِّ﴾، وحذف ياء النداء للدلالة على القرب.

٧٠٠. نداء الربوبية ﴿قَالَ رَبِّ﴾يفيد العناية، والحفظ، والتربية، والرحمة، والحكمة بما هو أصلح للعبد.

٧٠١. فيها: أنّ الميزان ميزان الآخرة ورضا الله عزّ جل، فكم من حر يقبع بين الجدران، وكم من عبدٍ للشهوات، والمغريات؛ يسرح ويمرح في الأرض طولا وعرضا.

٧٠٢. تهدي إلى: سلوى القوي بالله حال دعائه للفواحش-مسموعة ومقروءة ومنظورة- وهي قاعدة الإيمان النابض، منها غض البصر، وحفظ الفرج، والإعراض والتعفف، وإن كان في ظاهرها سجن، ولكنّها جنّة حقيقية ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾.

٧٠٣. فيها: أنّ تحمل الأذى في سبيل الله دليل على متانة الدين.

٧٠٤. فيها: اختيار العقوبة الدنيوية على المعصية دليل الإيمان.

٧٠٥. تفيد: أنّ الحرية الحقيقية، أن يتحرر العبد من قيد الشهوات.

٧٠٦. فيها: أنّ صيغة التفضيل قد تستعمل في غير بابها.

٧٠٧. تفيد: أنّه إذا كانت الدنيا كلها بالنسبة للمؤمن سجن، فما يقع داخلها من كبد، ونكد لا شيء أمام ما وعده الله من فسيح الجنات والخلود في الفردوس.

٧٠٨. فيها: أنّ قاعدة اختيار أدنى المفسدتين لدرء أعلاهما، وتحمّل أخفّ الضررين قاعدة شرعية عقلية، عمل بها الأولون، وحكاها القرآن.

٧٠٩. فيها: أنّ العذاب النفسي بالاستجابة للمراودة في الحرام أعظم من العذاب البدني في السجن عند الصالحين.

٧١٠. تشير إلى: خطر الميل لأصحاب الشهوات؛ لقوله: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾.

٧١١. تفيد مدى الضعف البشري أمام هوة النساء وكيدهن.

٧١٢. تفيد: أهمية الاستعانة بالله في ترك المعاصي، والنجاة من الفتن كما أنّنا نستعين به في فعل الطاعات.

٧١٣. تفيد: استحضار معاني اللطف الخفي للطيف الخبير في قلب المؤمن ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

٧١٤. فيها: التجاء يوسف عليه الصلاة والسلام إلى ربه، وقت المحن، والمصائب بالشكوى إليه.

٧١٥. فيها: من كان همه الآخرة كفاه الله هم الدنيا، لا تعتمد على قوة إيمانك دون الاستعانة بالله وحده، لأن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

٧١٦. تفيد: أنّ من أقرّ بشيء، أو دعا إليه، فله حكم الفاعل؛ لقوله: ﴿كَيْدَهُنَّ﴾، فأشرك النسوة مع امرأة العزيز في الخطاب.

٧١٧. فيها: خطورة مجالس أصحاب المنكر، ألا ترى أنّ النسوة بدأن منكرين، وانتهين مقرين مفتونين مشاركين.

٧١٨. فيها: أنّ مجالسة أصحاب الأهواء، والمنكرات تكسر حاجز الحياء، وتجرأ على المجاهرة بالمنكرات، وتسقط ستار الهيبة إلى الجرأة بالقبائح علناً.

٧١٩. فيها: أنّ الزنا، جاهلية؛ لقوله: ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾بل مجرد إظهار المرأة لمحاسنها، جاهلية؛ فما الظن بالزنا؟ وقول الله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾.

٧٢٠. فيها: أنّ المعصية، جهالة؛ وتصديقه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء: ١٧].

٧٢١. فيها الحث على العلم والبقاء في زمر العلماء، والبعد عن الجهل والجاهلين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾يوسف: [٣٤].

٧٢٢. فيها: سرعة تفرج الله تعالى لكرب الصالحين الصادقين، فالعطف بفاء التعقيب يفيد أنّه سبحانه عجّل إجابة دعاءه.

٧٢٣. تفيد: كمال رحمته، وعنايته جلّ وعلا بأوليائه، والمصطفين من خلقه﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ﴾.

٧٢٤. تفيد: بإشارة لطيفة إلى خطورة تأثير بعض الأطراف الفاعلة في حياة الإنسان على عقله الباطن، لقول امرأة العزيز ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾فقال يوسف عليه متأثراً بهذه المقولة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾.

٧٢٥. تفيد: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام دخل من باب الافتقار فقال﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾فجاءت النتيجة ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾تعقيب مع السرعة، لإفادة الفاء هذا المعنى، كما قال ابن مالك في الخلاصة:

والفاء للترتيب باتصال وثم للترتيب بانفصال.

٧٢٦. فيها: أنّ أوّل باب للهروب من الفتن هو الانكسار بين يدي الله، وإظهار الضعف، وقلة الحيلة.

٧٢٧. فيها: أهمية التسلسل في رواية القصص بذكر النتائج بعد أسبابها، فلمّا ذكر الله جل وعلا الدعاء وهو سبب ذكر نتيجته.

٧٢٨. فيها: الرد على من عطّل الأسباب.

٧٢٩. فيها: إثبات كرم الله جلّ جلاله ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾.

٧٣٠. تفيد: مكانة يوسف عليه الصلاة والسلام عند ربّه حيث أضافه إليه إضافة تشريف، وعناية.

٧٣١. فيها: أنّ استجابة الدعاء من لوازم الربوبية ولذلك قال: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾.

٧٣٢. فيها: أهمية أن يدعو المسلم الله بصرف الفتن، والمصائب.

٧٣٣. ومنها: المحسن لله يخرج من الفتن أقوى وأرسخ مما كان عليه.

٧٣٤. فيها: أنّ كيد النساء يصرف بالدعاء.

٧٣٥. تفيد: أنّ كل ضعيف بالله قوي، وكلّ قوي بغيره ضعيف﴿فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ﴾.

٧٣٦. فيها: أنّ الدعاء من آثار صفتي السمع، والعلم لله جلّ وعلا.

٧٣٧. تفيد: أنّ السميع لكل صوت، والعليم بكل شيء هو الذي ينبغي التوجه إليه، وليس من لا يسمع، ولا يعلم من الأموات، والأصنام.

٧٣٨. تفيد: أنّ الله تعالى يسمع كل من لجأ إليه، ويعلم بحاله، وهو القادر على استجابة دعائه.

٧٣٩. فيها: بيان هذا التحدي العظيم من النبي الكريم؛ لهذه البيئة الملتهبة بالشهوة.

٧٤٠. فيها: من فقه الثبات، والاستقامة هجر أماكن الفتن.

٧٤١. فيها: عظمة الله عز وجل، وكمال قدرته في صرف كل كيد يكاد به أهل الإيمان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ يوسف: [٣٥].

٧٤٢. يستفاد من التراخي والله أعلم أنّ القرار الذي ينبني على الهوى، وضعف البصيرة بعيد عن الصواب، وتسبقه حيرة واضطراب.

٧٤٣. تهدي إلى: أسباب الانحراف عن الحق ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ نظير: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ وجميع ذلك هو ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ وليس الأمر كان ملتبسا، ولكن هكذا تكيف الأمور.

٧٤٤. فيها: أنّ شؤون الحكم، والسياسة لا بد لها من التشاور، والتفكير، والتروي في الأمر، وهذا ما يدل عليه قوله ﴿ثُمَّ﴾.

٧٤٥. فيها: أنّ من السياسة غير الرشيدة تقلب أحوال المسؤول حسب المصالح الشخصية، ولا يراعي العدل، والظلم ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾.

٧٤٦. فيها: أنّه لا اجتهاد مع وجود النص، فظهور الآيات- متلوة أو مرئية- بمثابة النص، وإعمال الرأي بوجودها إبطال لها.

٧٤٧. تفيد: أنّ جمع الآيات يدل على كثرتها، وأنّ براءة يوسف عليه الصلاة والسلام كانت واضحة وضوح الشمس في كبد السماء.

٧٤٨. فيها: خطورة أن يساس الناس بما يبدو للمسؤول، وبما يشتهي.

٧٤٩. فيها: أنّ سائر أحوال يوسف عليه الصلاة والسلام لطف في عنف، ونعمة في طي مصيبة، ويسر في عسر، ورجاء في يأس.

٧٥٠. فيها: أنّ العقاب للبريء بعد ظهور الأدلة على براءته من الظلم البيّن.

٧٥١. تفيد: أنّ دخول السجن دون تحديد نهاية للمدة، أو سبب الذنب من الظلم العظيم.

٧٥٢. فيها: بيان أنّ الحروف تنوب عن بعضها، ومثالها في هذه الآية ﴿حَتَّىٰ﴾فهي بمعنى "إلى".

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾يوسف: [٣٦].

٧٥٣. دخول السجن ليس دائماً دليلاً على أنّه بيت المجرمين والمنحرفين؛ إذ دخله صفيٌ لله تعالى يوسف عليه الصلاة والسلام.

٧٥٤. فيها: أهمية التركيز على مواطن الفائدة، ففي الآية عدم تسمية السجينين إذ الفائدة حاصلة بدونها.

٧٥٥. فيها: أنّ الرؤيا الصادقة تكون للمؤمن كما تكون للكافر.

٧٥٦. فيها: التوجيه الي إدارات، ومسؤولي السجون لرعاية النزلاء والعمل على تغيير هؤلاء الأفراد الذين فيهم الاستعداد والقابلية إلى عناصر صالحة، ومفيدة، وبنّاءة ولا سيما الشباب لقوله: ﴿فَتَيَانِۖ﴾.

٧٥٧. تفيد: أنّ الخبر من أقدم ما يقتاته الناس.

٧٥٨. فيها: حاجة الناس بعضهم لبعض.

٧٥٩. فيها: اختيار الرفقة الطيبة، ولو في أصعب الأماكن كالسجون.

٧٦٠. تفيد: سؤال واستفسار أهل العلم لقوله ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾.

٧٦١. تعبير الرؤى تابع لصفاء الروح، وقوة الفراسة، وهي في يوسف علم خاص، وهبه الله له.

٧٦٢. فيها: الاهتمام بتأويل الرؤيا المهمة في حياة الإنسان.

٧٦٣. فيها: أنّ الناس تحب أن تسأل من تثق بدينه وخلقه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٧٦٤. فيها: أنّ الداعية المصلح يدعو بالأفعال قبل الأقوال، فيدرك من حوله صلاحه من لحظه لا من لفظه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ﴾.

٧٦٥. فيها: نفع الناس والإحسان إليهم من أوجه عدة من أعظم الأبواب لكسب قلوب الناس، وتليين قلوبهم لقبول الحق.

٧٦٦. فيها: أنّ المحسن محسن في كل زمان ومكان، والإحسان له علامات يعرف بها.

٧٦٧. فيها: حسن الظنّ بالناس لقوله ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٧٦٨. المحسنون مؤتمنون يشعّ نورهم حيثما حلوا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يوسف: [٣٧].

٧٦٩. فيها: معرفة أنّواع الطعام قبل مجيئه من معجزات يوسف عليه الصلاة والسلام.

٧٧٠. تفيد: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام كان نبياً يوحى إليه عند دخوله السجن؛ لقوله: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ﴾.

٧٧١. تفيد: أنّ تعبير يوسف عليه الصلاة والسلام للرؤيا مما علمه له الله، وليس هو من قبيل التخمين، أو التنجيم، ولا يتطرق إليه الخطأ ولا حتى احتمال الخطأ؛ لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ﴾.

٧٧٢. فيها: أنّ الرسالات تخرج من مشكاة واحدة، ولذلك لما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش لتبليغ الرسالة قال لهم موثقاً نفسه: لو أخبَرْتُكم أنّ خَيلًا بسَفْحِ هذا الجبلِ تُريدُ أنّ تُغِيرَ عليكم أصدَّقْتُموني؟ قالوا: نَعم قال: فأنّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"(١).

٧٧٣. فيها: أنّ الإنسان إذا تحدث عن فعله من باب الاقتداء به لم يكن تزكية، أو رياء.

٧٧٤. تفيد: أنّ تأويل الرؤيا من فضائل الله يؤتيه من يشاء.

---

(١) أخرجه البخاري ١١١/٦، ومسلم ١٩٣/١.

٧٧٥. فيها: أهمية التثبت في الجواب، وعدم التسرع فيوسف عليه الصلاة والسلام، وعدهما بالإجابة ولم يتسرع في الإجابة.

٧٧٦. فيها: أنّ من صفات الكريم أنّه إن لم يعط في الحال وعد بالعطاء.

٧٧٧. يفيد: قوله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ إثبات الفضل لصاحب الفضل جلّ وعلا، وافتقار يوسف عليه الصلاة والسلام لربه عز وجل مع ميزة العلم التي ليست لأحد ممن معه وهكذا خُلق الصالحين.

٧٧٨. فيها: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام أراد أنّ يعلّق قلبيهما بالله رب العالمين ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

٧٧٩. فيها: ﴿ذَٰلِكُمَا﴾ اسم إشارة للبعيد للدلالة على علو مكانته ودرجته ومنزلته.

٧٨٠. تفيد: عظم وتنوّع نعم الله على يوسف عليه الصلاة والسلام.

٧٨١. فيها: العلم بتعبير الرؤيا من علم الله.

٧٨٢. تفيد: أنّ من أهم مقومات النجاح في الدعوة إلى الله إظهار الافتقار إلى الله.

٧٨٣. فيها: أنّه تتجلى صفة الربوبية في العناية والتأييد ﴿عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾.

٧٨٤. فيها: عظم أدب يوسف عليه الصلاة والسلام مع ربه، وعظم ذكره لنعمه، ورد الفضل له جلّ وعلا في كل آن وحين.

٧٨٥. تفيد: أهمية أنّ يقدّم العالم -إذا استفتاه أحد الإرشاد والنصيحة أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به، وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه.

٧٨٦. تفيد: مبدأ الولاء والبراء ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

٧٨٧. في قوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ فيه أنّ الداعية لا يذكر الأسماء إلا للحاجة.

٧٨٨. تفيد: أنّ ترك الشيء لا يعني التلبس به سابقا؛ لقول يوسف عليه الصلاة والسلام﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ والمراد بتركه هو عدم التلبس بذلك من الأصل، لا أنّه قد كان تلبس به، والدليل على ذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾.

٧٨٩. فيها: أنّ كمال الإيمان فعل، وترك ولا يغني أحدهما عن الآخر.

٧٩٠. فيها: أهمية انتهاز الفرص للنصيحة بأعظم الأوامر، وهو التوحيد.

٧٩١. الداعية المشفق يستغل كل فرصة لنشر دعوة التوحيد، والتذكير بحق الله على العباد.

٧٩٢. فيها: أنّ سلامة المعتقد تفتح للمسلم أبواب العلم، وينشرح صدره لمزيد من الفهم ويدرك ما لا يدركه غيره ببركة التوحيد.

٧٩٣. فيها: أنّ الدعوة تكون في كل وقت، وفي كل مكان ومع كل أحد.

٧٩٤. تفيد خطورة الكفر بالله تعالى وعدم الإيمان باليوم الآخر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾يوسف: [٣٨].

٧٩٥. استغلال يوسف -عليه الصلاة والسلام- قمة استعدادهم للسماع لحاجتهم لتأويل رؤياهم، فقدّم عرضه على ما ينتظرونه منه، وهذا من حكمة الداعية.

٧٩٦. فيها: أنّ تحقيق الكمالات، والفوز بالكرامات يكون باتباع الرسل.

٧٩٧. فيها: أنّ قول يوسف عليه الصلاة والسلام لصاحبيه﴿وَاتَّبَعْتُ﴾ترغيباً لهما، ودعوة للتوحيد، وأنّ التوحيد سجيّة لهم.

٧٩٨. تفيد: من قوله (آبائي) إشعار لهم أنّه من بيت نبوة، وحثّ لهم على استماعه.

٧٩٩. تفيد: أنّ الأمر بالاتباع من أصول دعوة الرسل.

٨٠٠. فيها: أنّ القرآن يصدق بعضه بعضاً، حيث لم يكتف بمجرد اتباعه للآباء، بل ذكر عدم إشراكهم.

٨٠١. فيها: أنّ الإسلام، لا يدعو إلى ملة الآباء لأعيانهم، بل يأمر بالاقتداء بالآباء ما أطاعوا الله.

٨٠٢. فيها: أنّ أعظم إرث يورثه الآباء والأجداد هو الإيمان بالله.

٨٠٣. صلاح الأجداد يورث العزة، والتقوى للأبناء.

٨٠٤. تفيد: أنّ الرسول، والمرسل إليه مطالبان بالاتباع، والإخلاص وأنّه ليس هنالك درجة للكمال البشري من يبلغها ترفع عنه التكاليف.

٨٠٥. فيها: مكانة القدوة كوسيلة في تعليم الدين، والفضائل، والتمسك بها، ووجود القدوة الحسنة دعم لانتشار الخير.

٨٠٦. فيها: جواز الافتخار بالنسب الصالح، وبالآباء والأجداد الصالحين، والاعتزاز بطريقتهم، ومنهجهم وثباتهم على الحق المبين"[1].

٨٠٧. تفيد: أنّ الجدّ أبّ لقوله آبائي إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب.

٨٠٨. تفيد: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام حقق، وصية أبيه وجده ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ﴾.

٨٠٩. تفيد: الثناء على إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾.

٨١٠. تفيد: توجيه الداعية للبداية بالأهم، ثم المهم، فبدأ بالدعوة إلي التوحيد، ثم تأويل الرؤيا الخاصة بهم.

٨١١. فيها: أهمية الجمع بين ترك الباطل، واتباع الحق.

---

(١) رحم الله عضو هذه المجموعة المباركة الشيخ الدكتور سعد العثمان، فقد كانت هذه آخر مشاركاته، رحمه الله رحمة الأبرار.

٨١٢. فيها: النهي عن الشرك بأنواعه؛ لقوله: ﴿مِن شَيۡءٖۚ﴾.

٨١٣. فيها: أنّ مجرد ترك الباطل من غير التمسك بالحق لا ينفع.

٨١٤. تهدي إلى: منزلة الاعتراف بالمنّة، والفضل لواهبه سبحانه، تخصيصا وتعميما﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

٨١٥. فيها: أنّ اتباع ملّة الإسلام، فضل من الله على العبد.

٨١٦. فيها: شكر الله على نعمة الإسلام؛ لأنّه محض فضل من الله على العبد.

٨١٧. فيها: قلّة الشكر في البشر عموما؛ (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفار).

٨١٨. نفيد سعة فضل الله تعالى ومنته على الناس جميعاً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾يوسف: [٣٩].

٨١٩. فيها: مناداة القريب لشد انتباهه لما يقال، وتنبيهه لعظم ما سيقال.

٨٢٠. فيها: أنّ من كان ملازماً لشيء صار صاحباً له.

٨٢١. تفيد: الياء المخففة في ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾ ظرفية، تلطف معهم بما يمكن، فلم ينسب صحبتهم إلى شخصه الكريم عليه الصلاة والسلام، لكنّه نسبها للمكان (السجن الذي جمعهم) ولو شددت الياء لأصبحت ياء الإضافة للمتكلم.

٨٢٢. فيها: تذكيرهم بوضعهم ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ فإنّ الانقطاع عن الناس، والعالم الخارجي أدعى للتفكير، وأصفى للذهن.

٨٢٣. تفيد: أنّ من لزم شيئاً، عُرف به؛ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾.

٨٢٤. تفيد: أنّ الداعية يتلطف مع المدعوين بدون تنازلات، ولا مبالغات، ويراعي في دعوته الأولويات، ويستغل الفرص، والمناسبات.

٨٢٥. فيها: التلطف بالمدعويين، ومناداتهم بما يقربهم وهذا من أخلاق الأنبياء، ومنهاجهم في الدعوة إلى الله عز وجل.

٨٢٦. فيها: تذكير بالظرف المشترك، والمحنة الواحدة تجعل أصحابها يحس كلّ منهم بالآخر، ويحمل همه وبالتالي يقبل نصحه.

٨٢٧. فيها: جواز مصاحبة غير المسلمين ابتغاء هدايتهم.

٨٢٨. تفيد: أهمية البدء بالتوحيد في الدعوة إلى الله تعالى.

٨٢٩. فيها: أنّ التوحيد هو الأساس، واللب، والخلاصة التي يسعى إليها الأنبياء، والمرسلين ومن تبعهم من الدعاة العارفين.

٨٣٠. فيها: أهمية (السؤال) وأثره في استثارة انتباه المتلقي، ودفعه للتفكير.

٨٣١. تفيد: الانطلاق في الإقناع -عن طريق المقارنة والمفاضلة- بالبدء من واقعهم المعاش، والمجرب ﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾.

٨٣٢. فيها: أهمية إلزام الحجة.

٨٣٣. تفيد: لا ضير في الانطلاق في الدعوة من قناعاتهم -على بطلانها- واستخدامها بالمقارنة مع الحق لإثبات ضلالها.

٨٣٤. تفيد: أنّ إفراد الله تعالى بالوحدانية، به تتحقق وحدة الأمة، وعبادة غير الله سبب للتفرق والنزاع، لأنّ من يعبدون غيره لا يجتمعون على معبود واحد﴿مُّتَفَرِّقُونَ﴾.

٨٣٥. تفيد: عدم ذم عقيدة المدعو بشكل مباشر حتى لا ينفر.

٨٣٦. فيها: جواز التنزل مع الخصم فيما لا يقر به المتنزل؛ لإلزام وإفحام الخصم؛ لقوله: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾، مع أنّ يوسف -عليه الصلاة والسلام- لا يقر إلا برب واحد وهو الله- جل ذكره.

٨٣٧. فيها: دليل عقلي، وبرهان ساطع على بطلان الشرك، ووجوب عبادة الله تعالى وحده.

٨٣٨. تفيد: أنّ أمر الشرك، والمشركين، في تفرّق، وتذبذب؛ وتصديقه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

٨٣٩. تفيد: أنّ أصحاب السجن هؤلاء، كانوا على الشرك.

٨٤٠. فيها: الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى في السجن ووقت المحنة.

٨٤١. فيها: أنّ الاختلاف والتفرّق ضعف، والوحدة قوة.

٨٤٢. فيها: تمهيد لنتائج تأويل الرؤيا، وأنّ الله تعالى هو القهّار.

٨٤٣. أهمية تهيئة المدعو إلى قبول الدعوة، والتوطئة قبل الدخول إلى لبّ الموضوع.

٨٤٤. قد يكون في تخيّر اسم الله القهار، تذكيرهم وهم في وضع قهر واستضعاف بأنّ الله هو القهّار الحقيقي.

٨٤٥. فيها: تعليم أسماء الله وصفاته: لقوله: ﴿ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾.

٨٤٦. تفيد: أهمية اختيار الداعية الأنسب من أسماء الله الحسنى في الدعوة إلى الله.

٨٤٧. فيها: إثبات اسمين من أسماء الله الحسنى وهما الواحد والقهار.

٨٤٨. تفيد: كمال صفاته جلّ وعلا لتفرده بالوحدانية، والقهر، وهذا يستلزم توحيده، وخشيته ومحبته.

٨٤٩. في الآية دليل على تفرده تعالى بالوحدانية، ونفي الشريك ولذا ناسب أنّ يختم الآية بهذين الاسمين الكريمين المناسبين للموضوع ﴿ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾.

٨٥٠. تفيد: الرد على عقيدة اليهود والنصارى، وكلّ من يدعي تعدد الآلهة، وهو الواحد الذي لا إله معه، ولا شريك له.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يوسف: [٤٠].

٨٥١. فيها: بيان مدى تأثير الآباء على الأبناء على مرّ العصور.

٨٥٢. فيها: أنّ عامة الضلال ممتد من الآباء، والتمسك بالمعتقدات، وصعوبة تغيير الموروثات.

٨٥٣. فيها: أهمية تعميم الخطاب في الدعوة الى الله تعالى، فهنا عمم يوسف عليه الصلاة والسلام الخطاب بعد توجيهه للسجينين ليشمل كل من يتصف معهم بنفس الصفة.

٨٥٤. فيها: أنّ عبادة غير الله عبادة أهواء.

٨٥٥. فيها: أنّ التلاعب بالمصطلحات الشرعية ينجم عنه فساد الأديان، وتبدّل الشرائع، والأحكام، واضمحلال الإسلام.

٨٥٦. فيها: أنّ التلاعب بالمصطلحات الشرعية من أعظم ما يسعى إليه أعداء الدين.

٨٥٧. فيها: أنّ العبرة بالحقائق لا بالمسميات ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾.

٨٥٨. تفيد: أنّ العبرة بالمسمى لا الاسم، وبالمعني لا المبني.

٨٥٩. فيها: أهمية التصريح بضلال العقيدة الباطلة بعد التلطف، والتدرج.

٨٦٠. في قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ تشبه (لا إله إلا الله)، فكلاهما فيه (نفي) و(إثبات) و(حصر) و(قصر) وهذا من تشابه القرآن.

٨٦١. فيها: أنّ الحاكمية تدخل في توحيد الربوبية لقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

٨٦٢. فيها: أنّ كل بدعة ضلاله لأنّها (ما أنزل الله بها من سلطان) فلا يجوز التعبّد بها؛ ولأنّ الحكم لله وحده، فالتشريع حق خالص له تعالى فلا يعبد إلا بما شرع.

٨٦٣. فيها: أنّ التحاكم إلى ما أنزل الله داخل في التوحيد، والتحاكم إلى غيره من أنواع الشرك.

٨٦٤. فيها: أنّ الحكم يشمل: الحكم الكوني القدري، ويشمل: الحكم الديني الشرعي. فالخلق خلقه والأمر أمره وهو معنى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الأعراف: [٥٤].

٨٦٥. فيها: أنّ التصريح أو التلميح في الدعوة ينبغي أن يكون وفق مقتضى الحكمة.

٨٦٦. فيها: أنّ آلهتهم التي يدعون من دون الله لن تنجيهم من عذاب الله.

٨٦٧. فيها: انتقال من أدّلة إثبات إفراد الله بالألوهية إلى التعليم بامتثال أمره ونهيه﴿أَمَرَأَلَّاتَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾.

٨٦٨. فيها: الأمر الصريح بتوحيد العبادة ﴿أَمَرَأَلَّاتَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾.

٨٦٩. فيها: تفسير كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) يعني (لا تعبدوا إلا الله).

٨٧٠. فيها: الدين القويم هو القائم على عبادة الله، وهو التوحيد الخالص له سبحانه.

٨٧١. فيها: أنّ التوحيد هو الدين القيم، ومما يدل على شرفه، ورفعته من الآية الكريمة الإشارة إليه بإشارة البعيد ذلك.

٨٧٢. فيها: الاستطراد في أمور الاعتقاد لأهميتها، والاستدلال النقلي، والعقلي، والقياس لإثبات الحجة، وتوضيحها.

٨٧٣. فيها: عظم المسؤولية على الموحدين بنشر العقيدة الصحيحة بين الناس ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

٨٧٤. تفيد أن الكثرة ليت دليلاً على الحق والهدى.

٨٧٥. تبين الآية أنّ (العبادة) ضرورة لكل نفس بشرية، فلما لم يهتدوا لله عبدوا الأسماء الباطلة، وقد صدق ابن القيم رحمه الله إذ قال:

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلو برق النفس والشيطان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾يوسف: [٤١].

٨٧٦. فيها: تأكيد على أنّ وصفهم بالصحبة نوع من التلطف بالدعوة، لكنه تلطف لا مجاملة فيه على حساب المبادئ، فيوسف عليه الصلاة والسلام على التوحيد وهما على الشرك، فنسب الصحبة للمكان لا للنفس.

٨٧٧. فيها: أهمية قضاء نهمة السائل بالجواب عن مسألته بعد الاستطراد بالنصيحة.

٨٧٨. فيها: أمانة المفتي بالجواب بما يعلمه، وأن كان الجواب يسوء المستفتي.

٨٧٩. فيها: جواز تسمية الراعي، أو ولي الأمر ربّاً لكن مع الإضافة لا التعريف.

٨٨٠. فيها: أنّ عقوبة الصلب قديمة في تاريخ البشرية.

٨٨١. فيها: بلاغة القرآن العالية بحيث أنّ قوله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ذهبت مثلا لفض النزاع وقطع الخلاف.

٨٨٢. فيها: أنّ التعبير يدخل في الفتوى، فلا يجوز التخرّص فيه، والقول بلا علم.

٨٨٣. فيها: أنّ تأويل الرؤى من الفتوى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾يوسف: [٤٢].

٨٨٤. فيها: كلّ علم بالنسبة إلى علم الله عدماً، فعبر عن علمه بالظن"(١).

٨٨٥. فيها: يقين يوسف عليه الصلاة والسلام بنجاة هذا الناجي.

٨٨٦. فيها: أنّ الظن يأتي أحيانا بمعنى العلم واليقين، والعكس صحيح، ولكل أمثلة من دلائل الكتاب والسنة.

٨٨٧. فيها: جواز الاستعانة بمن يقدر على تخليصه، أو الاخبار بحاله إذا وقع في مكروه.

٨٨٨. فيها: جواز طلب الواسطة في عمل الخير إذا لم يتضرر منها الآخرون.

٨٨٩. تفيد: مشروعية الأخذ بالأسباب، ولا ينافي هذا التوكل، ولا يلزم من الأخذ بها تحقيق المراد الذي لا يكون إلا بتقدير الله تعالى﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.

٨٩٠. فيها: جواز إطلاق اسم الرب مع الإضافة لغير الله.

٨٩١. فيها: أنّ الحرية، والتخلص من السجن هي غاية جليلة، ولذلك بادر يوسف عليه الصلاة والسلام بالسعي للتخلص من السجن.

---

(١) البقاعي ٤/٤٣.

٨٩٢. فيها: مع أنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً إلا أنّ له مداخل فلنحذره، ولنكثر من التعوذ من الشيطان الرجيم في جميع تفاصيل حياتنا.

٨٩٣. تفيد: خطورة الشيطان على قلب، وعقل الإنسان.

٨٩٤. فيها: أنّ للشيطان أثراً في النسيان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ الكهف: [٦٣].

٨٩٥. فيها: لزوم ذكر الله، والإكثار منه من دواعي رفع البلاء.

٨٩٦. تفيد: ثقل شؤون الحكم حيث نسي العزيز أمره، وكذلك الذي نجا من السجن.

٨٩٧. فيها: أنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء، فهذا نبي كريم لبث في السجن بضع سنين.

٨٩٨. فيها: تأديب الله أولياءه بصدق اللجوء، والاعتماد على الله وحده.

٨٩٩. فيها: وجوب تأهيل الدعاة إلى الله بشتى الطرق من تعلم العلوم، والفنون المختلفة التي لا تتنافى مع الشريعة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ يوسف: [٤٣].

٩٠٠. تفيد: أنّ الله إذا أراد سبحانه شيئاً هيأ له أسباباً.

٩٠١. فيها: جواز تسمية الكافر ملكاً.

٩٠٢. فيها: تسمية الله لذلك الرجل بالملك، وهو ملك مقيد، وإلا فالملك المطلق التام، هو ملك الله تعالى.

٩٠٣. من هدايات الآية: أنّ أسماء الله تعالى تكون خاصة به جل جلاله، وتكون عامة له، ولخلقه من البشر كالعظيم، والرؤوف، والرحيم، والملك، والعزيز، والكريم، وغيرها من الأسماء.

٩٠٤. فيها: حكمة الله تعالى، ورحمته بخلقه أن أرى هذا الملك الرؤيا وهو رأس الدولة ليأخذ للأمر أهبته، ويستعد لمواجهة الجدب.

٩٠٥. فيها: جواز التعبير بالمستقبل عن الماضي لقوله ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ كما يجوز التعبير بالماضي عن المستقبل كما في قوله تعالى ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ النحل: [١]، ولك ذلك لأغراض بلاغية، ظاهرة.

٩٠٦. فيها: جواز حذف ما يعلم اختصاراً وتفادياً للتكرار؛ لقوله: ﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾، يريد: سبع بقرات عجاف.

٩٠٧. فيها: التغاير بين المعطوفات في العلامة لسبب، وهو لفظ ﴿وَأُخَرَ﴾ فهو معطوف على سبع" ولكنه منع من الصرف، وجر بالفتحة نيابة عن الكسرة كما قال ابن مالك:

وجر بالفتحة ما لا ينصرف ما لم يضف أو يك بعد أل ردف

وذلك لأنّه معدول من لفظ آخر

٩٠٨. تفيد: أنّ تعبير الرؤى من الفتوى؛ لقوله: ﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ﴾.

٩٠٩. فيها: أنّ سلطان العلم أرفع قدراً وأعظم جاهاً من سلطان الملك ﴿أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ﴾.

٩١٠. تفيد: أنّ في نداء الملك لقومه قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ﴾ تشريف لهم، وحض على استعمال عقولهم، وعلومهم في تفسير هذه الرؤيا التي أزعجته(١).

٩١١. فيها: أنّ من هدايات الآية أنّ شئون الشعوب يديرها العقلاء منهم، فإنّ ملك مصر، وملكة سبأ لم يركنوا إلى آرائهم، بل طلبوا من الأعيان (الملأ) أنّ يطرحوا آراءهم، واجتهاداتهم.

٩١٢. فيها: التواضع، وتأدّب السائل، والطالب بين يدي المسؤول، والمطلوب؛ مهما بلغ السائل من جاه وسلطان.

٩١٣. يفيد: فعل الأمر أفتوني يستعمله الكبراء في الأمور المهمة العظيمة المتعلقة بشئون الدولة، ولكلّ حادثة لفظ يليق بها.

٩١٤. فيها: أنّ أهل الشورى في الأمور المهمة والخطوب المدلهمة إنّما هم أهل الحل، والعقد ﴿ٱلۡمَلَؤُاْ﴾ من أصحاب الخبرة والدراية ورجاحة العقل وتحمّل المسئولية والقدرة على اتخاذ القرار.

---

(١) تفسير الطنطاوي ٣٦٨/٧.

٩١٥. فيها: أنّ هذه الآية أصل في التعبير.

٩١٦. فيها: التحريج على المسؤول أن يفتي بعلم يقيني.

٩١٧. فيها: الحذر من تأويل الرؤيا بغير علم.

٩١٨. فيها: شك الملك في قدرتهم على تعبير رؤياه لذلك قال: ﴿إِن﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ يوسف: [٤٤].

٩١٩. تفيد: أنّ علم الرؤيا أمره قديم، وقد كان معروفاً عند الأمم السابقة من المؤمنين، والكفار.

٩٢٠. تفيد: أنّ الملاء في القرآن غالباً ما يتحدثون طبقا لأهوائهم، ومصالحهم.

٩٢١. فيها: أنّ أضغاث الأحلام لا يبحث عن تأويلها؛ وفي جابر بن عبدالله: جاءَ أَعْرابِيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، رَأَيْتُ في المنامِ كان رَأْسِي ضُرِبَ فَتَدَحْرَجَ فاشْتَدَدْتُ على أَثَرِهِ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِلأَعْرابِيِّ: لا تُحَدِّثِ النّاسَ بتَلَعُّبِ الشيطان بكَ في مَنامِكَ وَقالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ بَعْدُ، يَخْطُبُ فَقالَ: لا يُحَدِّثَنَّ أَحَدُكُمْ بتَلَعُّبِ الشيطان به في مَنامِهِ"(١).

٩٢٢. قد تفيد: أنّ من قواعد تأويل الرؤى المتعارف عليها من قديم: الإعراض عما كان من قبيل الأضغاث، وعدم تفسيره، وأنّ قواعد التأويل لا يمكن إعمالها في هذا الجنس من الرؤى.

٩٢٣. تفيد: أنّ من أقسام الرؤيا ما يكون أضغاثاً مختلطة لا تتميز، وهذه قد يدخل فيها ما كان من الشيطان، وما كان من حديث النفس، وما كان ناتجا عن العلل، والأمراض.

٩٢٤. يفيد: قولهم هذا اعتذار عن جهلهم بمعرفة تفسير رؤيا الملك، ويبدو أنّ الملك كان يتوقع منهم هذا الجهل كما يشعر به قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ٤٣﴾ فقد أتى ب (إن) المفيدة للشك"(٢).

---

(١) أخرجه مسلم ١٧٧٦/٤.

(٢) الوسيط في التفسير ٣٦٩/٧.

٩٢٥. فيها: إعجاب بالنفس فلم يقولوا: لا نعلم تأويلها وإنّما ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ وهذا لا ينبغي لأهل الدين، فيها من قلة عقل الإنسان جزمه بما لا يعلم.

٩٢٦. فيها: اعتراف، وجزم منهم بأنّهم لا يعلمون، واعتذار، وفي ذلك جمع بين الجزم والجهل.

٩٢٧. فيها: أنّهم لم يأنفوا مع أنّهم الملاء من الإقرار بعدم العلم، وعليه فينبغي لمن لا يعلم أنّ لا يتردد من قولها فهو العلم قال الشاعر:

من كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدري أصيبت مقاتله

وقال صاحب المراقي:

فالكل من أهل المناحي الأربعة يقول لا أدري فكن متبعه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ يوسف: [٤٥].

٩٢٨. فيها: أنّ الإنسان يُعرف بعلمه، ومواقفه، وسلوكه ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾؛ لا بمجرد النسب، والتسمية.

٩٢٩. فيها: وجوب تذكر نِعم الله ومنته، وشكره على الدوام ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾.

٩٣٠. فيها: تقلّب حال الإنسان في هذه الدنيا، فهذا الساقي كان سجينا، ثم صار من حاشية الملك الناصحين له.

٩٣١. تفيد: أنّ حياة القصور، والملوك، والقرب منهم، والاختلاط بهم تلهي، وتنسي ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

٩٣٢. فيها: أنّ الإنسان غالباً ينشغل بمصالحه عن مصالح الآخرين إلا أصحاب المبادئ والخلق الرفيع.

٩٣٣. فيها: أنّ التذّكر، والنسيان من الإنسان يرتبطان بحكمة الله في أقداره، فتذكر الساقي بعد قدر الله بما أرى الله الملك الرؤيا.

٩٣٤. فيها: أنّ استعمال لفظة ﴿أَنَا﴾بمجردها لا محذور فيها، وبيان خطأ من يتعوذ منها كل ما تلفظ بها.

٩٣٥. فيها: التأصيل لمفهوم الشجاعة في المبادرات ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾لا سيّما إذا غلب عليها النفع العام.

٩٣٦. فيها: بيان طاعة ولي الأمر الحاكم، فرغم ثقته بمهمته إلا أنّه طلب الإذن، والسماح بالقيام بها﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾.

٩٣٧. فيها: جواز صحة الادعاء بالأداء لمن لا يملك إذا أحال فيه إلى مليء (العلماء والخبراء) دلّ عليه قوله ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ أي إلى أهل العلم والخبرة في الشأنّ والمجال.

٩٣٨. فيها: فائدة لأهل الحديث أنّه لا فرق لغوياً بين أخبرنا، وأنبأنا، وهم يفرقون بينهما في الاصطلاح، ولا مشاحة فيه.

٩٣٩. فيها: دليل على جواز الإرسال للفتيا، أو للسؤال عن الأخبار.

٩٤٠. تفيد: أنّ الأفضل والأولى لإتمام المهام أن يتعامل الإنسان مع من يعرف.

٩٤١. ترشد: إلى أنّ صاحب الرؤيا ينبغي أنّ يلتمس لتأويلها العالم الحاذق، وإن اقتضى الأمر أنّ يرسل الرسائل، ويبذل الوسائل.

٩٤٢. فيها: أنّ التجربة برهان.

٩٤٣. فيها: من أساليب البلاغة حذف ما يدل عليه المقام، فقد حذف من هذا الكلام عدة جمل، لا يستقيم المعنى إلا بها، والتقدير: فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه، وقال له: يا يوسف ودليل هذه المحذوفات: هو أنّ نداء يوسف يقتضي أنّه وصل إليه، والوصول إليه متوقف على فعل الإرسال، والإرسال إنّما كان للاستعبار.

٩٤٤. فيها: ثقة الساقي المطلقة بيوسف عليه الصلاة والسلام فقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾.

٩٤٥. فيها: أنّ ثمار الإحسان إلى الناس تظهر، ولو بعد حين.

٩٤٦. تفيد: أنّ العالم هو ملجأ الناس في الملمات، يبحثون عنه حيث ما كان.

٩٤٧. تفيد: أنّ العالم مرفوع المكانة، ولو كان داخل السجن بشرط أنّ لا يغير، أو يتغير ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٩٤٨. تدلّ على قدر العلم، وأهله، فإنّهم مفزع الناس في مدلهمات الأمور، وعند الفتن وعند ورود المسائل المعقّدة، وهذا ظاهر في الحاجة لعلوم يوسف عليه الصلاة والسلام في تأويل الرؤيا.

٩٤٩. فيها: تعضيد لدلالة حديث "الرؤيا على جناح طائر، إذا أوّلت وقعت"(١)، وهذا ظاهر في نجاة أحد صاحبي يوسف عليه الصلاة والسلام، والحديث محمول على وقوع الرؤيا إذا كان تأويلها على وجه صحيح، وإنّ كان محتملاً.

٩٥٠. فيها: صدق نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، وعلمه، وحذقه في تأويل الرؤيا، وهذا ظاهر من نجاة هذا الرجل، وفقا لتأويل الرؤيا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: [٤٦].

٩٥١. فيها: أنّ من عظم في أفعاله، وسيرته لا يحتاج إلى الألقاب الفخمة لتبين حاله، ومكانته ﴿يُوسُفُ﴾.

٩٥٢. فيها: التصريح باسم المخاطب ﴿يُوسُفُ﴾ للدلالة على المعرفة به؛ لإزالة الوحشة وإشاعة الأنس، والمودة قبل الطلب، لا سيما إذا وجدت الصحبة السابقة ﴿يَٰصَاحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾.

٩٥٣. فيها: المقارنة بين أسلوب الساقي في حديثه مع الحاشية: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾، مع أسلوبه في مخاطبة ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾، ﴿لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

٩٥٤. تفيد: أنّ العالم ينال من الهيبة والجمال مالم يناله غيره وإن كان من الملوك.

(١) لم أقف عليه في دواوين السنة.

٩٥٥. تفيد: حذف أداة النداء من المنادى ﴿يُوسُفُ﴾ للدلالة على قرب المكان، والمكانة منه، ويدخل خفض الصوت عند العالِم في هذا ضمناً.

٩٥٦. فيها: أنّ حذف حرف النداء كثير في كلام العرب، والشاهد في هذه الآية ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾وقد مرّ في ذات السورة قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾.

٩٥٧. فيها: بين قوله ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ إلى قوله ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾حذف من القصة ما لا حاجة له من حشو القول، وتفصيلات القصة، وكان التركيز على اللب، وما فيه فائدة ظاهرة.

٩٥٨. فيها: الترغيب في إنزال الناس منازلهم، فيها مدح الصدق والصديقين﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾.

٩٥٩. تفيد: أنّه ينبغي للجاهل، والمستفتي أنّ يعظّم ويحترم العالم والمفتي، لقوله ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾.

٩٦٠. فيها: أنه إنّما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل، وفي الحديث "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"(١).

٩٦١. تفيد: أهمية ورفعة مرتبة الصديقية وهي: كمال الانقياد للرسول، مع كمال الإخلاص للمرسل.

٩٦٢. فيها: أنّ من براعة الاستهلال الثناء قبل الكلام.

٩٦٣. فيها: جواز المدح، والثناء بالوجه إذا كان هناك مصلحة، ولم يخش تحقق مفسدة.

٩٦٤. يفيد: أفتنا، لم يقل أفتني، لم ينسب الفتوى لنفسه بل لمن أرسلوه للفتوى، وفي هذا إشارة إلى الأمانة في الأقوال والأفعال.

٩٦٥. فيها: أن ليس كل من تكلم بصيغة الجمع ﴿أَفۡتِنَا﴾أراد تعظيم نفسه، بل قد تكون لمعنى آخر كالإشارة بأنّ الرؤيا ليست له.

---

(١)قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٦٦٠١ في صحيح الجامع

٩٦٦. تهيئة العالِم لما هو مطلوب منه، وبما يدل على حاجة السائل له ﴿أَفْتِنَا﴾ لا سيما إذا جاء الطلب بصيغة الجمع للدلالة على عموم البلوى، أو الحاجة إلى ما هو مطلوب منه.

٩٦٧. فيها: وجوب إنزال الناس منازلهم فالرجل لما علم من يوسف عليه الصلاة والسلام الصدق أضاف هذه الصفة له بعد مناداته باسمه.

٩٦٨. تفيد: عظيم خلق النبي يوسف عليه الصلاة والسلام فلم يوبخه على تأخيره بضع سنوات، فما أكرم خلق الأنبياء عليهم السلام.

٩٦٩. فيها: أنّ الرسول نقل الرؤيا بلفظها لا بمعناها لتعلق التعبير بالألفاظ مع المعاني، وأهمية الألفاظ، ودلالاتها في التعبير.

٩٧٠. فيها: أنّه قد يكون للكلمة جمع تكسير مستعمل ولكن يعدل عنه إلى التصحيح لمجاورته ما أهمل تكسيره في الكلام؛ كما في هذه الآية في قوله ﴿سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾فإنّه مجاور في الآية الكريمة "سبع بقرات" فجاءت لمراعاة التنسيق: ﴿وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ﴾بدل "سنابل"؛ لمناسبة: "بقرات" التي ترك جمع تكسيرها في الآية.

٩٧١. فيها: أنّ تأويل الرؤى علم، ويحتاج إليه الناس لذلك قال: ﴿لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾.

٩٧٢. فيها: أنّ الرؤيا قد تصدق من أي شخص، فرؤية صاحبي السجن، ورؤية الملك وقعت جميعها.

٩٧٣. فيها: أنّ الإحسان لمن أساء إليك يشمل المؤمن والكافر، ويوسف قدّم منفعة لساجنيه برغم ذلك، وارتد إليه إحسانه بما لا يحتسب.

٩٧٤. فيها: حجّية خبر الواحد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ يوسف: [٤٧].

٩٧٥. تفيد: كريم خلقه عليه الصلاة والسلام إذ لم يستغل حاجة الملك، والناس لتعبير الرؤيا خصوصاً مع الخطر القادم الذي تحمّله، فلم يطلب إخراجه مقابل التفسير مثلاً، أو غيره.

٩٧٦. فيها: أنّ هذه الآية أصل في التخطيط بعيد الأمد.

٩٧٧. فيها: العمل الدائب وإن كان قليلًا إذا قُرن بالإخلاص نفع، وأينع.

٩٧٨. فيها: الدلالة على الخير ديدن أهل العلم الناصحين.

٩٧٩. فيها: ما كان عليه الأنبياء عليهم السلام من سياسة حكيمة، وإصلاح للدين، والدنيا.

٩٨٠. تفيد: تكشف عن جوانب من شخصية يوسف عليه الصلاة والسلام المبادرة والإيجابية، والصدق في النصيحة، وحبه الخير لمجتمع لم يكن على دينه بل وآذاه وظلموه.

٩٨١. تفيد: أنّ من مقاصد الشريعة مراعاة مصالح الناس، وإرشادهم إلى ما فيه مصلحتهم في الدارين.

٩٨٢. فيها: أنّ هذه الآية أصل في القول بالمصالح الشرعية، أو الضرورات الخمس.

٩٨٣. فيها: أنّ فعل الأسباب لا ينافي التوكل على الله بل هو من التوكل عليه سبحانه.

٩٨٤. فيها: أنّ جباية الأرزاق، وادخارها لمصلحة الناس في المستقبل، من غير احتكار، أو تضيق عليهم؛ أمر لا بأس به، وليس مناقضاً للتوكل، بل هو من فعل الأسباب مع التوكل؛ لفعل يوسف عليه الصلاة والسلام؛ حيث ادخر من السنين المخصبات للسنين المجدبات.

٩٨٥. فيها: صحة رؤيا الكافر.

٩٨٦. فيها: جواز طلب تعبير الرؤيا، خاصة إذا كانت رؤيا حسنة، ومشروعية تأويلها، وتعبيرها.

٩٨٧. ترشد إلى خلق كريم من أخلاق المعبرين للرؤى وهو التلطف في الأخبار عن التأويل، والمآل، حتى وإن كان في الأمر وجه من وجوه الشر.

٩٨٨. تفيد: أهمية، وبركة الزراعة لأنّه مورد اقتصادي مباشر تقوم عليها حياة الناس ﴿تَزْرَعُونَ﴾، خلافا لبعض الموارد الأخرى التي تحقق الكفاية من خلال ما توفره من موارد مادية يتم بها شراء المواد الغذائية.

٩٨٩. تفيد: أهمية توجيه طاقة الأمّة للإنتاج والعمل وإتقانه وإصلاحه، ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾.

٩٩٠. فيها الحض على الاجتهاد في العمل، والأخذ بالأسباب الدافعة للبلاء، وهذا على قول من زعم أنّ ﴿تَزْرَعُونَ﴾تجري مجرى (ازرعوا) أي هو أمر.

٩٩١. تفيد: العناية بجودة عملية الحصاد﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾.

٩٩٢. فيها: أهمية تعاون جميع الناس فيما يعود بالخير لهم ﴿تَزْرَعُونَ﴾بصيغة الجمع مما يشير بأهمية تعاون الجميع.

٩٩٣. فيها: العلم بخصائص المزروعات، والمحافظة عليها في سنابلها.

٩٩٤. تفيد: أهمية الحملات الإعلامية، وتوعية عموم الناس بأهمية الاجتهاد في الإنتاج، والمحافظة عليه.

٩٩٥. تفيد: أهمية توجيه فائض الإنتاج، وعدم الإسراف في أوقات الرخاء ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

٩٩٦. فيها أصل من أصول التدبير، وهو أنّه ينبغي الأخذ من الغذاء بقدر ما يحتاجه الإنسان ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾.

٩٩٧. تفيد: أهمية الزراعة في تحقيق الأمن الغذائي، والاهتمام بمسائل التخزين والاحتياط.

٩٩٨. فيها: أنّ من لم يملك الصوامع لحفظ غلاله يتركها على سنبلها؛ فهو لها حافظ.

٩٩٩. فيها: أهمية الجدية، والاجتهاد في تحصيل المصالح الدنيوية كالادخار ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾.

١٠٠٠. فيها: أنّ الآية أصل في الادخار، وحفظ المال لنوائب الدهر.

١٠٠١. تفيد: عدم دقة ما تذهب إليه الدراسات الاجتماعية من أنّ ما يتعرض إليه الطفل من صدمات نفسية أو ضغوطات حياتية يجعل منه مجرماً مستقبلاً، أو ضحية أمراض نفسية، فها هو

يوسف – عليه الصلاة والسلام– مر بطفولة عصيبة، وما بعدها كان أصعب، ومع ذلك نراه صديقاً مبادراً محباً للخير عليماً بأمور دنياه، وداعياً لدينه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف: [٤٩-٥٠].

١٠٠٢. فيها: أنّ دوام الحال من المحال، فلا رخاء يدوم ولا شدّة تستمر.

١٠٠٣. فيها: أنّ أوقات الشدّة تقضي على ما إدخرته الدول، أو الأفراد من أموال في أوقات الرخاء.

١٠٠٤. فيها: أنّ وصف الزمن بحاله وما هو عليه لا يدخل في سبّ الدهر المنهي عنه ﴿شِدَادٌ﴾ بل إنّما النهي إذا كان على سبيل السب والتضجر.

١٠٠٥. فيها: أنّه ينبغي للعاقل أن ينفق في أوقات الشدّة ما إدخره في وقت الرخاء، ولا يبخل.

١٠٠٦. فيها: فعل الأسباب لا ينافي التوكّل على الله.

١٠٠٧. فيها: التنبيه على وجوب الاحتياط في الكوارث، وعدم استهلاك جميع المخزون، ومن ذلك: العناية باستبقاء البذور التي يستعان بها على الزراعة مستقبلاً.

١٠٠٨. فيها: أنّ فعل المضارع في ﴿تُحْصِنُونَ﴾ يفيد الاجتهاد، والاستمرار في العمل حتى يكلّل بالنجاح، ولكل مجتهد نصيب.

١٠٠٩. تفيد: أهمية التخطيط للمستقبل، ووضع الخطط الواضحة للاستفادة من الموارد.

١٠١٠. فيها: أنّ الغيث، والفرج يأتي من عند الله.

١٠١١. فيها: أنّ الله يفرّج عن الناس بعد جوعهم، وجدبهم.

١٠١٢. فيها: أن يوسف عليه الصلاة والسلام مع لبثه في السجن لم يخفى عليه تعبير الرؤيا.

١٠١٣. فيها: الحيطة، والحذر مطلب يأخذ به كل عاقل.

١٠١٤. فيها: أنّ اليسر يأتي بعد العسر، وبعد الجدب يأتي الخصب.

١٠١٥. فيها: البشارة مطلب شرعي.

١٠١٦. فيها: بثّ الأمل، والتفاؤل بعد المحن والكرب.

١٠١٧. فيها: دقة تعبير المفردات القرآنية، والتفريق بين المترادفات، فجاء بلفظ (السنة) لما فيه القحط والجدب، وجاء بلفظ (العام) لما فيه الخير والأنعام.

١٠١٨. فيها: زيادة يوسف على ما جاء في الرؤيا؛ تبشيراً لهم بعام يأتي بعد السبع يكثر فيه الخصب، والخير.

١٠١٩. فيها: جواز الزيادة على تفسير الرؤيا بما فيه بشارة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾يوسف: [٥٠].

١٠٢٠. فيها: جواز تسمية الكافر بالملك، وإنزال الناس منازلهم.

١٠٢١. فيها: أنّ العلم كان خلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من محنته، والجمال الظاهري كان سبب فتنته ودخوله للسجن.

١٠٢٢. فيها: أهمية التفرّس في الناس، والعقل الوافر للساسة، والمسؤولين.

١٠٢٣. وفيها ما يدل على عقل الملك، حيث سار بطلب مقابلة يوسف عليه الصلاة والسلام.

١٠٢٤. فيها: أهمية تقريب أهل العلم، والفهم لمن ولي أمر الناس ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾.

١٠٢٥. فيها: من حسن السياسة الاستفادة من العلماء الحكماء، لقوله: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾.

١٠٢٦. فيها: إطلاق لفظ: "الرسول" على المبلغ.

١٠٢٧. فيها: أهمية عزّة النفس، وحفظ الكرامة ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾.

١٠٢٨. فيها: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام عزيز، فلم يرفع حاجته للملك على ظلمه.

١٠٢٩. فيها: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهتم بأمر نفسه بل اهتم بأمر دعوته، ودينه فرغم قساوة السجن، ومرارته إلا أنّه لم يستعجل بالخروج منه فأراد أولاً تبرئة نفسه حتى يسهل منهم تصديقه إذا نادى بالحق كما فعل نبينا الكريم.

١٠٣٠. فيها: أنّ من السياسة الحكيمة في تبرئة النفس أن تجعل الناس يتوصلون إلى براءتك بأنفسهم.

١٠٣١. فيها: أنّ من طُرق التعليم التي ترسّخ العلم عند الطلاب أن تجعلهم يتوصلون للجواب بأنفسهم.

١٠٣٢. فيها: سماحة الستر، فإنّ السؤال عن النسوة، ولم يكن عن امرأة العزيز، ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾.

١٠٣٣. تفيد: مشروعية استئناف الحكم، وطلب النظر في القضايا بعد الحكم على المتهم بالسجن.

١٠٣٤. فيها: أنّ الأفعال الشائنة لا تمحى، ولا تنسى بسهولة: ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

١٠٣٥. فيها: أنّ البريء ستظهر براءته ولو بعد حين.

١٠٣٦. فيها: أنّ من الأدب البعد عن تسمية الأشخاص بأعينهم في معرض الذم.

١٠٣٧. فيها: الإيماء، والتعريض بدل التصريح، صنع الشريف من الرجال.

١٠٣٨. فيها: صاحب المروءة يصون حق أصحاب الفضل حتى وإن صدر منهم ما يؤذي.

١٠٣٩. يفيد: اقتران الكيد بنون النسوة دلالة كثرته بينهن إلا من رحم الله.

١٠٤٠. فيها: العناية بترسيخ أسماء الله وصفاته في القلوب﴿عَلِيمٌ﴾.

١٠٤١. الثقة بالله تعالى التي تظهر من كلام نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، وذلك في قوله﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾مفهوم هذه الجملة أنّ الله سيظهر الحق، فعلى الدعاة، والمصلحين، عدم الاستعجال، والنظر إلى النتيجة الآنية، بل يعمل ويترك الأمر لله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ يوسف: [٥١].

١٠٤٢. فيها: أهمية الإيجاز في رواية القصص، والتركيز على مواطن العبر، الشاهد استجابة الملك لطلب يوسف عليه الصلاة والسلام.

١٠٤٣. فيها: إنصاف هذا الملك حيث قام بالتحقيق بنفسه في هذه القضية، ولم يكلف بها غيره، وفي هذا توقير ورد اعتبار ليوسف عليه الصلاة والسلام.

١٠٤٤. فيها: البراءة ليوسف جاءت من أعلى سلطة، ونستفيد من ذلك (رد الاعتبار للسجين المظلوم) وإشهار براءته على المجتمع.

١٠٤٥. فيها: الورع، والعدل، والإنصاف في الحكم على الأشخاص.

١٠٤٦. فيها: من كمال عدل القاضي، والتقاضي سماع جميع أطراف القضية إظهاراً للحق ومنافاة للظلم.

١٠٤٧. فيها: عدم التواني عن شهادة الحق، فقد تكون سبباً في النجاة أو النصر.

١٠٤٨. فيها: الحث على فضيلة التروي، والتأنّي في الأمور التي تحتاج إليه، ففي الآية ما يبين عدم تسرع الملك بالحكم بل سأل النسوة ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾.

١٠٤٩. فيها: أنّ المعاون على الفعل له نصيب من الجزاء ﴿رَاوَدتُّنَّ﴾.

١٠٥٠. فيها: شهادة النسوة بحسن خلقه وبراءته: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾.

١٠٥١. تفيد: أنّ المراودة، والمعاكسة تدخل في السوء، والفعل القبيح.

١٠٥٢. فيها: لطف الله عز وجلّ في نصرته لأوليائه، ورد كيد أعدائهم ودفع الشر.

١٠٥٣. فيها: شحذ همم صاحب الحق لكيلا يفتر، ولا تلين له قناة في المطالبة بحقه.

١٠٥٤. فيها: أنّ بعض الذنب أخفّ من بعض، فصدق يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وعفته كان من أسباب تخفيف جريمة امرأة العزيز.

١٠٥٥. فيها: أنّ أهل العفة، والطهر ينشر الله لهم ذكراً حسناً بين الناس فيشهدون بطهرهم وعفتهم.

١٠٥٦. فيها: أنّ الحق مرتفع، ومن تعلق به ارتفع، وأنّ الله مظهرٌ هذا الحق ولو بعد حين.

١٠٥٧. تفيد: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام نال على مستوى من البراءة.

١٠٥٨. تفيد: قوة بعد نبي الله يوسف عليه السلام عن الفاحشة، فعلى الرغم من فطنة امرأة العزيز، وتنوّع حيلها إلا أنّها لم تنال منه ما أرادت.

١٠٥٩. تفيد: فطنة يوسف عليه الصلاة والسلام العالية، وحرصه على ستر امرأة العزيز، وجميل سوقه للملك لما يريد أنّ يصل إليه.

١٠٦٠. فيها: أنّ الصدق يهدي إلى السلامة، والعاقبة الحسنة.

١٠٦١. فيها: أنّ النجاة في الصدق وإن تأخرت أسبابها.

١٠٦٢. فيها: تبيان حرص الإسلام على عدم نشر أخبار الفاحشة حتى لا تصير كالمعروف ثم يجهر بها الناس، ولا يبالون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ يوسف: [٥٢].

١٠٦٣. تفيد: أهمية إقامة البينات الكافية التي تزيل الظن، وتحقق العلم الذي لا تبقى معه مظنة تهمة في المستقبل ﴿لِيَعْلَمَ﴾.

١٠٦٤. تفيد: منزلة، وأهمية رعاية الأمانات كالأعراض، والأموال، والوظائف، وغيرها.

١٠٦٥. تفيد: فطنة، وذكاء امرأة العزيز حيث إنّها أضمرت المقصود ولم تذكره باسمه الظاهر في قولها ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ليصح عود الضمير إلى الشخصيتين اللذين كانا في حياتها (زوجها وفتاها).

١٠٦٦. فيها: حسن الاعتذار فإنّ هذه المرأة اعترفت بالخطأ الذي وقع منها أولاً ثم اعتذرت ليوسف عليه الصلاة والسلام ثانياً، وهذا يدل على عقل وفطنة.

١٠٦٧. تفيد: فطنة وذكاء يوسف عليه الصلاة والسلام حين اختار الغيبة، وعدم الحضور أمام امرأة العزيز، والنسوة اللاتي قطعن أيديهن حال استجوابهن أمام الملك، وذلك قطعاً ودرءاً للفتنة عن نفسه وعن امرأة العزيز، والنسوة اللاتي قطعن أيديهن.

١٠٦٨. فيها: أهمية تبرئة النفس من الخيانة، ومن سيء الأخلاق على قول أنّ القائل هو يوسف عليه الصلاة والسلام.

١٠٦٩. فيها: التحذير من خيانة الأمانة بكل صورها.

١٠٧٠. فيها: أنّ خيانة فراش الزوج من أعظم المعاصي.

١٠٧١. فيها: عدم اعتبار مفهوم المخالفة في قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾.

١٠٧٢. فيها: أنّ أمر القلوب بيد علام الغيوب: فالتي اتهمته واجتهدت في إثبات التهمة بالأمس، هي ذات التي تدافع عنه، وتبرئه اليوم.

١٠٧٣. تفيد: أنّ الخيانة من موانع الهداية.

١٠٧٤. تفيد: عظم جريمة الخيانة إذا كانت مقترنة بالكيد، والمكر؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾، دون قوله: (لا يهدي الخائنين).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يوسف: [٥٣].

١٠٧٥. الآية: أصل في التواضع، وكسر النفس، وهضمها"(١)

١٠٧٦. فيها: أنّ الإقرار بالذنب مع الانكسار، وهضم النفس من أعظم أسباب حصول المغفرة واستمطار رحمه الله، فبقدر الكسر يكون الجبر، وبقدر الخفض يكون الرفع.

١٠٧٧. فيها: صحة حصر النحويين لهمزات القطع المضمومة: والتي توجد في أربعة مواضع منها ما في هذه الآية في قوله﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ وهو: الفعل المضارع من الثلاثي المضعف، والثاني: الفعل المضارع من الثلاثي المزيد كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾البقرة: [٢٥٨]. والثالث: الفعل الماضي

(١)ينظر: الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي، (ص: ١٥٥).

الثلاثي المبني لما لم يسم فاعله كما في أُمِرَ من قوله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾التوبة: [٣١].

والرابع: الفعل الماضي الرباعي المبني للمعلوم: قوله تعالى: ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾.

١٠٧٨. فيها: الإشارة إلى علم النفس، والحث على دراسته.

١٠٧٩. فيها المبالغة في حديث النفس، فالنفوس لا تفتأ عن الأمر والنهي: ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾.

١٠٨٠. فيها: فضيلة الصدق، وقول الحق، ولو على النفس، على القول بأنّ الآية من قول امرأة العزيز.

١٠٨١. فيها: أنّ الأصل في النفس الجحود، والعناد، وحبّ الشهوات، والميل للمعاصي، والمنكرات.

١٠٨٢. فيها: أنّ على الإنسان أنّ لا يبرئ نفسه من الخطأ؛ لأنّ للنفس أثراً في الحث على السوء.

١٠٨٣. فيها: أنّ القصور، والتقصير، والخطأ، والزلل من سمات النفوس البشرية، ولا كمال إلا لله.

١٠٨٤. فيها: جواز تأكيد الجملة بأكثر من مؤكد.

١٠٨٥. فيها: وصف المعاصي بالسوء تنفيراً لارتكابها، وإشارة إلى قبحها وشينها.

١٠٨٦. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، فالنفس لها إرادة، وفي قوله: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾، رد على القدرية والمعتزلة؛ فكونه يعصمها برحمته، دليل على علمه بما سيصدر منها، فمرد أفعالهم في الخير والشر إلى الله.

١٠٨٧. تشير إلى: المواظبة، والحرص على التعوذ بالله من شر النفس وذلك لدلالة التشديد في قوله: ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾، والتأكيد في: ﴿إِنَّ﴾.

١٠٨٨. يفيد: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾التحفيز لمجاهدة النفس، وليس للاعتذار عن الوقوع في الخطاء.

١٠٨٩. فيها: أنّ من رحمة الله بعبده أن يقيه شرّ نفسه، ويصرفه إلى طاعته.

١٠٩٠. تفيد: أنّه لولا عناية الله بالعبد لما سلم أحد من نفسه بدلالة ﴿رَبِّي﴾.

١٠٩١. فيها: ما كان في النفوس من السلامة فهو من رحمة الله ﴿رَحِمَ رَبِّيَ﴾.

١٠٩٢. تفيد: أنّ النفس إذا أمرت بالخير، فهذا من رحمة الله بالعبد.

١٠٩٣. فيها: من براعة اللغة أنّ حروف المعاني يقوم بعضها مقام بعض، فقامت ما في ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ مقام من.

١٠٩٤. فيها: أنّ العصمة، بيد الله، وليس ذلك بقوة العبد، وقدرته.

١٠٩٥. تفيد: كلمة ﴿غَفُورٌ﴾ كثرة غفرانه لذنوب عباده.

١٠٩٦. فيها: استحضار اسم الرب، يدعو لالتزام السلوك الذي يرضيه، وباستشعار قربه ﴿رَبِّي﴾ مدعاة للاستحياء منه!!

١٠٩٧. في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ التوسل بربوبية الله والاعتراف بآلائه، ونعمه.

١٠٩٨. تفيد: محبّة الله تعالى لما له من صفات الكمال والجمال ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ يوسف: [٥٤].

١٠٩٩. فيه: أهمية اتخاذ البطانة الصالحة، واتقاء البطانة السوء.

١١٠٠. فيها: بيان فضل العلم وشرفه؛ إذ حصل ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا العز، والشرف والرفعة بسبب علمه.

١١٠١. فيها: أنّ حسن الاختيار والتدبير دليل رجاحة العقل، وصحة النظر، والفكر.

١١٠٢. فيها: (استخلصه) مبالغة كناية عن شدة اتصاله به ﴿أَسْتَخْلِصْهُ﴾.

١١٠٣. تفيد: أنّ من مكارم الأخلاق أن يذكر الداعي مناسبة الدعوة لمن يدعوه إلى بيته، أو مجلسه، وأنّ لا يترك الأمر ملتبسا عليه من أجل أنّ يتهيأ لذلك فكرياً، ونفسياً، وجسديا، وخصوصاً إذا كان الداعي ممن تغلق الأبواب دونه، أو يخشى بوادره، وبطشه؛ لقول الملك: ﴿وَقَالَ

﴿ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾، ويلاحظ الفرق بين هذه العبارة، والعبارة السابقة للملك في المرة الأولى، حيث لم يذكر الملك، وظيفة الاستخلاص ليوسف عليه الصلاة والسلام بل اكتفى بقوله: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾.

١١٠٤. تفيد: نبل ورقي أخلاق الملك حيث لم يرسل فرداً واحدا للإتيان بيوسف عليه الصلاة والسلام، بل طلب من مجموعة من حاشيته وعلية القوم أن يأتوه به، إكراماً له وتعظيماً لمقامه، وجبراً لخاطره؛ لقوله: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ﴾ .

١١٠٥. تفيد: أنّ من نبل، وكرم الملك، ورقي أخلاقه أن يقوم باتخاذ القرارات التوظيفية التي يرى أنّها في صالح المجتمع لبعض الأشخاص حتى، ولو لم يتقدموا بطلبها، أو يسمع منهم ذلك؛ تقديراً لمكانتهم، وجهودهم؛ لقوله: ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾.

١١٠٦. يفيد: أمر الإتيان بيوسف عليه الصلاة والسلام، قوّة الاصطفاء.

١١٠٧. فيها: القرب، والالتصاق بأهل الأمانة، والعفة.

١١٠٨. فيها: أنّ المرء مخبوء تحت لسانه.

١١٠٩. تفيد: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام قد جمع كل الفضائل، والمناقب؛ إذ جماع ذلك في العلم والقدرة والأمانة.

١١١٠. فيها: إشارة إلى إجراء المقابلات الشخصية للتعرف على مكنونات الشخص ومؤهلاته.

١١١١. تفيد: أنّ الخبر ليس كالمعاينة، فرُب شخص تسمع عنه من بعيد فتعجب به فإذا رأيته وحدثته واقتربت منه أكثر وجدت أنّه أجمل بكثير مما كنت تتصور، وربما أقل بكثير مما تتوقع.

١١١٢. فيها: بالصبر، واليقين والتقوى تنال الإمامة بالدين.

١١١٣. فيها: بقدر شدة البلاء وتعسر الأمور يأتي فرج الله وتمكينه.

١١١٤. فيها: العناية بأهل العفة، والأمانة، وتوليتهم وتمكينهم.

١١١٥. تفيد: مع ما بعدها أهمية الاستفادة من فرص الحياة، وضرورة استغلال الأحداث، والوقائع بالطريقة الصحيحة المناسبة، والحذر من تفويت ذلك، أو تأجيله إلى وقت آخر؛ لقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝٥٤ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ﴾.

١١١٦. فيها: فضل الكلام على السكوت قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾.

١١١٧. فيها: فضل اللسان، وعظم شأنّ البيان، قال زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول فقد كان كلامه عليه الصلاة والسلام سببا لرفع منزلته، وعلوّ مرتبته، وعلّة لمعرفة فضيلته، ووسيلة لتفضيل العزيز إيّاه.

١١١٨. فيها: أنّ الله اصطفى يوسف لبيانه لا لجماله: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

١١١٩. تفيد: دهاء وفطنة الملك، وكرم أخلاقه ونبل صفاته، حيث اكتفى بذكر مقام يوسف عليه الصلاة والسلام عنده ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾؛ وذلك من أجل أنّ يعطيه كامل الحرية في اختيار الوظيفة المناسبة له في دولته؛ وكانه يقول له: (إنّك اليوم لدينا مكين أمين فاطلب ما شئت من الوظائف والأعمال في مملكتي).

١١٢٠. تفيد: أنّ إعطاء الصلاحية الكاملة للمسؤول التي تمكنه من ممارسة عمله﴿مَكِينٌ﴾ والأمان الوظيفي الذي لا يشعر بالخوف، والوجل﴿أَمِينٌ﴾من أعظم أسباب نجاحه بعد حسن اختياره.

١١٢١. تفيد: أهمية الاعتناء بأحوال نزلاء السجون حال انتهاء محكوميتهم، أو حصولهم على البراءة أو العفو، وذلك من خلال السعي إلى خلق الوظائف المناسبة لهم، ودمجهم في مجتمعاتهم ليكونوا نواة خير، وصلاح ونفع للمجتمع، وعدم تركهم يعانون من أعباء الحياة، وقساوة الظروف، فيصبحوا فريسة سهلة للمجرمين، وأصحاب الأغراض الدنية، والمآرب الفاسدة.

١١٢٢. تفيد سرعة تحول الأحوال في الحياة من سجين متهم إلى عزيز ممكن له في الوزارة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف: [٥٥].

١١٢٣. فيها: أنّ مجالس الملوك تستلزم كياسة وفقه، فانظر إلى يوسف عليه الصلاة والسلام مع ظهور دلائل أمانته، وتواتر نبوغِه، وأهليته، غير أنّه لم يسأل الولاية حتى أمَّنَه الملك بقوله: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ فكان تصريحه بطلب الوزارة بقدر تصريح الملك في تأمينه وتمكينه، مثلًا بمثل، مبالغة منه عليه الصلاة والسلام في تقرير مكانته، وتحرير أمانته.

١١٢٤. فيها: أنّ هذه الآية أصل في عرض الإنسان نفسه لأي عمل، أو ولاية إذا كان يعلم أنّه لا يصلح له غيره، وهذا من النصح للأمة.

١١٢٥. الآية أصل في اغتنام الفرص وشغل الولايات بالصالحين لإصلاح شؤون الناس في دينهم، ودنياهم.

١١٢٦. ومِن هَذِهِ الآية أخَذَ فُقَهاءُ المذْهَبِ جَوازَ طَلَبِ القَضاءِ لِمَن يَعْلَمُ أنّهُ أهْلٌ وأنّهُ إن لَمْ يُوَلَّ ضاعَتِ الحُقُوقُ، قالَ المازِرِيُّ: يَجِبُ عَلى مَن هو أهْلُ الاجتهاد والعَدالَةِ السَّعْيُ في طَلَبِ القَضاءِ إن عَلِمَ أنّهُ أنّ لَمْ يَلِهِ ضاعَتِ الحُقُوقُ أوْ ولِيَهُ مَن لا يَحِلُّ أنّ يُوَلّى. وكَذَلِكَ أنّ كان ولِيَهُ مَن لا تَحِلُّ تَوْلِيَتُهُ ولا سَبِيلَ لِعَزْلِهِ إلا بِطَلَبِ أهْلِهِ"[(١)].

١١٢٧. فيها: طلب معالي الأمور، وما يكون نفعه أعظم للمسلمين؛ إذا الأمر يتسع لذلك؛ لقوله: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾.

١١٢٨. فيها: إمكان الجمع بين نهي النبي ﷺ عن سؤال الإمارة في حديث عبد الرحمن بن سمرة "لا تَسْأَلِ الإمارة، فأنّكَ أنّ أُعْطِيتَها مِن غيرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عليها، وأنّ أُعْطِيتَها عن مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إلَيْها"[(٢)] وبين طلب نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ فلم يطلب نبي الله يوسف الولاية على خزائن الأرض ابتداء؛ وإنّما بعد إعطائها له من غير مسألة من الملك

(١) التحرير والتنوير

(٢) أخرجه البخاري ١٢٧/٨، ومسلم ١٢٧٣/٢.

بقوله ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾وهو إعطاء عام لكل المهام فاختار منها نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام أنفعها للناس.

١١٢٩. تفيد: مكانة أرض مصر، وعظم شأنّها، إذ يمكن اعتبارها سلة الغذاء العالمي إذا أحسن التصرف فيها؛ لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، ولم يقل: (خزائن مصر) أو (خزائن أرض مصر).

١١٣٠. فيها: علو همّت نبي الله يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبذله وعطائه؛ إذ كان بإمكانه أن يكون عالة على قصر الملك.

١١٣١. تفيد: جواز تولي الوزارة في حكومة كافرة إذا كان يترتب على ذلك مصالح، ويدفع عن الأمّة مفاسد.

١١٣٢. فيها: الرد على الجماعات التكفيرية التي تكفر من يعمل مع الحاكم الكافر، ومن ثم تكفير من يتعامل مع موظفيه.

١١٣٣. ويستدل بذلك على أنّه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنّه يصلح بعض الأحوال"[(١)].

١١٣٤. تفيد: أنّ الحكيم يعرف متى تطلب الأمور من ذوي السلطان، ولأي هدف وغرض تطلب.

١١٣٥. : تفيد: أنّ طلب الولاية إذ كان من أجل تحقيق مصالح الناس، والدنيا لا حرج فيه، وإنّما الحرج لمن يطلبها لحظ نفسه، يجوز طلب الولاية إذا كان من أجل النفع العام.

١١٣٦. تفيد: أنّ من سنن أهل الفضل، والصلاح أنّهم لا يطلبون من ذي سلطان مصالح لأنفسهم بل يطلبون ما فيه صلاح، ومصلحة لغيرهم، ومن يسعون للسلطان لتحقيق مصالحهم الخاصة غير مؤهلين لخدمة دينهم وأمتهم.

---

(١) ابن جزي ١/٣٩٠.

١١٣٧. تفيد: أنّ تولية الرجل المناسب في الزمان، والمكان المناسب يكون سببا لإنقاذ أمة، وجهل البعض بهذه السنن من أسباب تأخّر وفساد الأمة.

١١٣٨. تفيد: أهمية الجانب الاقتصادي في الاستقرار والنهوض بالأمم والمجتمعات.

١١٣٩. تفيد: أنّ من تحكم في القوت وهو الطعام المدخر، والنقود وهو فائض الأموال تحكم في حياة الناس، والخزائن تشمل هذا وهذا والعبارة هنا دقيقة ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ فهي تشمل خزائن الطعام، والأموال.

١١٤٠. تفيد: أنّ الابتعاد عن شؤون الناس، وما يصلحهم ليس من هدي الأنبياء.

١١٤١. مما يستنبط من الآية الكريمة التقعيد الفقهي المتعلق بتزاحم المصالح، والمفاسد كما يقول أئمة الفقه: "يحتمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام"، فيوسف عليه الصلاة والسلام أقدم على مدح نفسه، ومدحه كان خالياً من الاستطالة والبغي، صيانة للمستقبل الغذائي في أمة تقف على حافة الإفلاس، ومما يعضد هذا المدلول قوله وهو ينافح عن نفسه، ويدرأ عنها كدر التهمة يوم رمته المرأة بدائها وأنسلّت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؟ فقال ﴿قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ولم يزد كان يسترسل قائلا: "أنّي شريف عفيف" لأنّ القضية تعلّقت بنفسه لا ببني جنسه.

١١٤٢. فيها: الإشارة إلى سياسة التوفير وترك التبذير ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾.

١١٤٣. فيها: أنّ وفرة الموارد، وملء الخزائن لا يكفي للنماء، والرخاء، والاستقرار ما لم يتول إدارتها أكفاء.

١١٤٤. فيها: جواز ذكر المرشح للعمل كحذق الصنعة، ونحوه ولا يعدّ تزكية للنفس"[(١)].

١١٤٥. تفيد: جواز تزكية النفس إذا ترتب على ذلك مصلحة عظمى.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري٢/ ٦٢٤.

١١٤٦. تفيد: أنّه لا حرج أن يعرف الإنسان بنفسه ومؤهلات للمنصب الذي يريد أنّ يتقدم إليه خاصة إذا جهل حاله.

١١٤٧. تفيد: أنّ العبرة بالأعمال لا بالأحساب، والأنساب؛ فيوسف عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

١١٤٨. تفيد: أنّ الوظيفة تكليف لا تشريف، فلا تصلح فيها المحسوبية، ولا الوساطة.

١١٤٩. تفيد: ضرورة الاهتمام بالمعايير في الاختيار للمهام، والوظائف الكبرى، ولذلك نجد أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام قدّم عرضه لاستلام المهمة من خلال معيار مهم جداً وله مكونان رئيسيان متكاملان وهما: أولاً: معيار الأخلاق والنزاهة، والمحافظة على ما سيؤتمن عليه، وهو ما تدل عليه كلمة ﴿حَفِيظٌ﴾ولننتبه لتقدم هذا المكون من معايير الاختيار على غيره، ثانيا: معيار الكفاءة المهنية القائمة على العلم، والذي تمثله في أعلى مستوياته صيغة فعيل وذلك في قوله ﴿عَلِيمٌ﴾.

١١٥٠. تفيد: منزلة، ومكانة العلم، وأهميته في رفع الإنسان، وتقديمه على غيره من أهل بلده التي يعيش فيها.

١١٥١. تفيد: أنّ العلم الحقيقي في إدارة المال تقوم على حفظه من الضياع، وحفظه حتى يصرف في أوجهه المشروعة التي ترضي الله، وتحقق العدل بين الناس، فكل من يدعي العلم بالاقتصاد اليوم وهو جاهل بما شرعه الله تعالى في الأموال فهو ليس بحفيظ، ولا عليم، وفي من يؤت بهم كخبراء اقتصاد هم جهلاء بالشرع يفسدون، ولا يصلحون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: [٥٦].

١١٥٢. فيها: أنّ المقادير بيد الله؛ لقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يريد: كما مننا عليه بالبراءة، وخروجه من السجن، مننا عليه بهذا التمكين.

١١٥٣. فيها: أنّ الأجر، يكون في الدنيا قبل الآخرة.

١١٥٤. فيها: أنّ من ثمرات وآثار الإحسان التمكين في الأرض لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

١١٥٥. فيها: أنّ التمكين لا يكون إلا بعد المحنة.

١١٥٦. فيها: أنّ العلم من أعظم أسباب التمكين.

١١٥٧. تفيد: أنّ التمكن من أي وظيفة من الله وهي نعمة تستوجب الشكر.

١١٥٨. تفيد: أنّ ما يحصل للعبد من توظيف في أي منصب فإنّه هبة من الله، ساقها وقدر الأسباب الموصلة إليها، وليس للبشر فيها غير التسخير.

١١٥٩. فيها: أنّ التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكّن"[١].

١١٦٠. فيها: أنّ المظلوم المحسود إذا صبر، واتقى فله العقبى الحسنة.

١١٦١. تفيد: أنّه لا يجب على الله شيء؛ مهما بذل، وفعل الناس من أوجه البر والطاعات؛ لقوله: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾.

١١٦٢. فيها: أنّ العبد مهما فعل الخير، والإحسان، فهو من توفيق الله له ورحمته به؛ بقرينة: ﴿مَن نَّشَآءُ﴾.

١١٦٣. فيها: أنّ مشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله تعالى.

١١٦٤. فيها: ملمح جميل في أنّ الإصابة تطلق على الخير ﴿نُصِيبُ﴾.

١١٦٥. تفيد: إثبات صفة الرحمة لله سبحانه، وتعالى والرد على المعطلة.

١١٦٦. تفيد: أنّ رحمته تعالى في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن، وكافر، ومطيع، وعاص، وأنّ المحسن لا بدّ له من أجره في الدنيا وأجره في الآخرة بدلالة العموم والسياق"[٢].

---

(١) فاده صاحب الاحياء عن الشافعي. ٥٣/١.

(٢) ابن جزي ٣٩٠/١.

١١٦٧. فيها: بيان فضيلة الإحسان، ومنزلته، وأنّ من لوازمه إحسان العبادة لله جل وعلا، والإحسان إلى مخلوقاته.

١١٦٨. فيها: أنّ درجة الإحسان لا تنال إلا بالصبر والتقوى؛ كما في الآية الأخرى.

١١٦٩. فيها: أنّ مدح الله ليوسف عليه الصلاة والسلام قد تكرر في مواضع مختلفة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ يوسف: [٥٧].

١١٧٠. فيها: أنّ من رحمة الله بعباده تسميته الثواب أجراً؛ لأنّه سبحانه وتعالى التزم على نفسه أنّ يجزي به كالتزام المستأجر بدفع الأجرة للأجير، ولا يجب على الله شيء.

١١٧١. فيها: تحقق وتأكيد الأجر، والثواب، ومن ذلك ورود لام الابتداء ﴿وَلَأَجْرُ﴾.

١١٧٢. فيها: الإتيان بفعل التفضيل ﴿خَيْرٌ﴾لبيان فضل الآخرة على الدنيا.

١١٧٣. فيها: تنكير ﴿خَيْرٌ﴾للدلالة على كثرة أجر الآخرة وتنوعه.

١١٧٤. فيها: من مشوقات الثواب الإتيان بلام الملك والاستحقاق ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾الذي تفضل به ذو الفضل العظيم سبحانه وتعالى.

١١٧٥. فيها: أنّ الله عز وجل جمع ليوسف عليه الصلاة والسلام بين خيري الدنيا والآخرة.

١١٧٦. تفيد: أنّ الأجر، والعوض الحقيقي، ما أعده الله لعبده في الآخرة.

١١٧٧. تفيد: أهمية ملازمة التقوى لحصول الأجر في الآخرة؛ بدلالة الوضع اللغوي للفعل المضارع في قوله: ﴿يَتَّقُونَ ۝٥٧﴾.

١١٧٨. فيها: أنّ سبب خير الدنيا، والآخرة الإيمان والتقوى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ يوسف: [٥٨].

١١٧٩. تفيد: أنّ الآية الكريمة جاءت على اللغة الفصيحة، مقتضاها تجريد الفعل، ولو أضيف إلى اثنين أو أكثر، لقوله ﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾وقد أشار ابن مالك إلى هذه القاعدة بقوله:

وجرد الفعل إذا ما اسندا لاثنين أو جمع كفاز الشهداء

١١٨٠. تفيد: أنّ من آداب السفر السفر مع الجماعة؛ فذلك آمن للمسافر وأنس له، وأقطع لطمع قطّاع الطرق.

١١٨١. تفيد: ضرورة السعي لطلب الرزق، وأنّ طلبه لا ينافي التوكل على الله تعالى.

١١٨٢. تفيد: أنّ الأخوة رباط جليل يقتضي التقاضي عن الهفوات، والسيئات ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾.

١١٨٣. تفيد: مكانة يوسف حتى نُسب إليه الإخوة رغم أنّه لم يكن الأكبر سنًا لكن الأرفع مكانة وقدراً وهكذا أهل الفضل هم المقدمون.

١١٨٤. فيها: إشارة قوية إلى استقرار مصر، واستتاب الأمن والرخاء فيها؛ حتى صارت مأوى الناس، ومقصدهم من كل أنّحاء البلاد.

١١٨٥. تفيد: أنّ أرض مصر أصبحت آنذاك بسبب حنكة، وحكمة، وسياسة يوسف عليه الصلاة والسلام سلة الغذاء العالمي، حيث رحل إخوته من أرض الشام إلى أرض مصر للبحث عن الميرة، والغذاء.

١١٨٦. تفيد: أنّ وضع السياسات الاقتصادية الحكيمة، والرشيدة لدولة ما تؤدي بها إلى فرض نفسها كقوة إقليمية، ودولية يحتاجها المجتمع الدولي عاجلاً، أو آجلاً.

١١٨٧. تفيد: أنّ القحط ابتلاء من الله تعالى لعباده، وأنّ عليهم اتخاذ الأسباب المباحة لتخطي ذلك الابتلاء من حسن التدبير، وترك التبذير.

١١٨٨. تفيد: أنّ إكرام الضيف، وحسن وفادته من أخلاق الأنبياء، وسنن المرسلين.

١١٨٩. فيها: دليل على سهولة الوصول إلى العزيز يوسف عليه الصلاة والسلام؛ من جهة شخصه كمسؤول، ومن جهة ولاته، زمن سرعة قضاء حوائج الناس؛ للفاء في قوله: ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾، فكأنهم من أوّل ما حضروا، دخلوا عليه.

١١٩٠. فيها تمكن المسؤول من مهارات التعرف على المراجعين.

١١٩١. تفيد: دعوة إلى السعي في منافع الأمّة، وقضاء حوائج الآخرين، فما دخلوا على يوسف إلا لما عرف عنه من السعي في مصالح الناس.

١١٩٢. فيها: قوّة فراسة يوسف عليه الصلاة والسلام.

١١٩٣. فيها: دلالة على طول مدة البعد بينهم، حتى تغيرت الهيئة.

١١٩٤. فيها: قدرة الله على تغيّر، وتقلّب الحال.

١١٩٥. تفيد: أنّ الحوائج، والجوائح، والكوارث، تصيب كثيراً من الناس بالذهول وعدم الاستحضار، والتذكر السريع للأحداث، والوقائع الماضية.

١١٩٦. فيها: من بديع النظم في قوله سبحانه: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ذكر المعرفة بديلًا عن العلم، لأنّ المعارفَ تتناول الذوات، والعلومَ تتناول الأحوال، والصفات، تقول: عرفتُ أباك، وعلمتُكَ تقيًّا نقيًّا، لذلك لا يحتاجُ فعلها –المعرفة– مفعولًا، بينما يتعدَّى الفعلُ "عَلِمَ" إلى مفعولٍ، أو أكثر، والسياقُ هنا يشيرُ إلى تعلُّق الدراية بالذوات لا بالصفات، فالأنسب للسياق الإتيان بالمعرفة دون العلم.

١١٩٧. تفيد: أنّ كل ما وعد الله تعالى به عباده لابد من وقوعه، ولو بعد حين فهذه الآية هي مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾يوسف: [١٥]؛ ولذا قال هنا ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾، فثق بوعد ربك.

١١٩٨. تفيد: بدلالة الجُمْلَةِ الاسمية عَلى أنّ عَدَمَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ أمْرٌ ثابِتٌ مُتَمَكِّنٌ مِنهم، وفي الأخبار عَنْ مَعْرِفَتِهِ إيّاهم بِالجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ المفِيدَةِ لِلتَّجَدُّدِ الدَّلالَةِ عَلى أنّ مَعْرِفَتَهُ إيّاهم حَصَلَتْ بِحِدْثان رُؤْيَتِهِ إيّاهم دُونَ تَوَسُّمٍ وتَأمُّل"(١).

١١٩٩. تفيد: أنّ المظلوم يتذكر سريعاً من ظلمه، والأحداث التي أدّت إلى ظلمه بخلاف الظالم فإنّه سرعان ما ينسى من ظلمه، وتزول تلك الأحداث عن ذاكرته، وصدق الشاعر حين قال:

(١)التحرير والتنوير ١٢/١٣ بتصرف يسير.

تنام عيناك والمظلوم منتبه **** يدعو عليك وعين الله لم تنم.

١٢٠٠. تفيد: أنّ من نوى وقصد بمنصبه الرسمي نفع العامة نفع الله به الخاصة، والعامة.

١٢٠١. تفيد: أنّ من يراه الناس عقبة في طريقهم قد يحتاجون إليه يوماً من الدهر ليكون سبباً في إساعدهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ يوسف: [٥٩].

١٢٠٢. تفيد: حبّ الناس للخير، وتحمل مشقة السفر، للحصول على منافعهم.

١٢٠٣. تفيد: فضل إكرام المسافر؛ بدلالة ﴿جَهَّزَهُم﴾ لأنّ الجهاز: هُوَ فاخر الْمَتَاع الَّذِي ينْقل من بلد إِلَى بلد.

١٢٠٤. تفيد: أنّ كيل الطعام على البائع.

١٢٠٥. تفيد: أنّ الاستقرار والازدهار في بسط العدل، وإعطاء الناس حقوقهم وافية كاملة، وأنّ خراب الدول في الجور والظلم.

١٢٠٦. تفيد: الدقة في تعبير القرآن في العطف بالواو بخلاف الجمل السابقة التي فيها العطف بالفاء، ذلك يدلّ على الحوار والتعرّف على أحوالهم وأهل بيتهم.

١٢٠٧. في قوله تعالى ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾: فضل السعي للم شمل الأسرة والأقارب.

١٢٠٨. فيها: دلالة ظاهرة على أنّ يوسف وأخاه(بنيامين) أشقاء، بينما يوسف وباقي إخوته أبناء علات.

١٢٠٩. تفيد: مشروعية استغلال حاجات الآخرين للوصول إلى أهداف سامقة، ومقاصد سامية، وغايات عالية تعود – في آخر المطاف– آثارها النافعة ونتائجها المثمرة على الجميع دون استثناء؛ لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، فاستغل حاجتهم للعود إليه مرة أخرى بأنّ طلب منهم الإتيان بأخيهم.

١٢١٠. تفيد: أهمية قضاء حوائج الآخرين، وضرورة إنهاء معاملاتهم قبل عرض طلباتك الخاصة عليهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾.

١٢١١. فيها: أنّ أمد المجاعة طال، فكانت السبعُ العجاف ليحقق يوسف عليه الصلاة والسلام ما يريد، فسبحان من دقَّتْ في كل شيءٍ حكمتُه.

١٢١٢. فيها: أنّ من أدلى في النسب بجهتين أقوى ممن أدلى بجهة واحدة؛ ولذا قال: ﴿مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

١٢١٣. تفيد: أنّ أخا يوسف عليه الصلاة والسلام الشقيق (بنيامين) كان يعيش بينهم في تعاسة، ونكد، واضطهاد، لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، ولم يقل: (بأخيكم من أبيكم)، وذلك لأنّ لفظ الآية ﴿بِأَخٍ﴾نكرة، أما لفظة (أخيكم) فمعرفة، فكأنّه عليه الصلاة والسلام شعر بأنّه كان نكرة بينهم.

١٢١٤. فيها: حسن تدبير يوسف عليه الصلاة والسلام للإتيان بأخيه بنيامين تمهيداً للإتيان بالأسرة كلها.

١٢١٥. فيها: أنّ خُلُقَ الضيافة، وإغاثة الملهوف خلق قديم.

١٢١٦. تفيد ﴿أَلَا﴾: أهمية استخدام الأسلوب الأمثل، والجميل في الدعوة إلى الله.

١٢١٧. وقوله تعالى ﴿أَلَا تَرَوْنَ﴾يفيد الدعوة إلى إعمال العقل والفكر قبل اتخاذ القرار.

١٢١٨. تفيد: أنّ الاعتبار بالنظر، والأبصار أقوي، وأكمل من السمع والأخبار فإدراك البصر أقوي، وأكمل كما بين ابن تيميه وقال الأكثرون: "فليس المخبر كالمعاين "و" ليس من رأى كمن سمع.

١٢١٩. يفيد قوله: ﴿أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾جواز تزكية النفس من باب الإخبار، أو التحدّث بالنعمة، وأنّ ذلك ليس من تزكية النفس المذموم.

١٢٢٠. تفيد: أنّه ينبغي للعبد إذا أراد أنّ يثني على نفسه، ويمدحها أنّ يقدّم على يديه البراهين الحقيقية، والشواهد الواقعية الدالة على صحة ذلك الثناء، والمدح؛ لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

١٢٢١. فيها: دلالة على أوْضح حجةٍ على تزكية النفس عند الحاجة.

١٢٢٢. تفيد: أنّ صاحب الخلق الرفيع، والخصال الحميدة يحسن إلى من ظلمه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

١٢٢٣. تفيد: جواز ذكر الإنسان خصاله الكريمة بما يرغب في تلبية دعوته، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾؛ لأنّه ذكر ذلك ترغيباً لَهم في العودة إليه.

١٢٢٤. يفيد قوله تعالى ﴿أُوفِي﴾: فضل إيفاء الكيل في البيع، وفضل الوفاء في كل ما من شأنه أداء الحقوق.

١٢٢٥. تفيد: الترغيب قبل الترهيب، وتقديم العطاء، والفضل قبل القطع والمنع، لقول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ يوسف: [٦٠].

١٢٢٦. فيها: بلاغة القرآن في استخدام اللفظ الأمثل، يوسف عليه الصلاة والسلام غلّب جانب رجوعهم بأخيهم لذلك استعمل (إن) فمجيء إن بدل (إذا) لاحتمال أنّ أباهم قد لا يستأمنهم على ذهاب بنيامين معهم، فكانت مسألة إتيانهم به وعدم إتيانهم به مشكوكاً فيها، فاستعمل أداة (إن) التي هي للشك، والاحتمال.

١٢٢٧. تفيد: أنّ القائد الناجح يجمع بين الحلم، والحزم، ويراعي مقام كل منهما.

١٢٢٨. فيها: استعمال اللين في موضعه، والحزم في محله، وأنّ ذلك من حسن السياسة، وأمارة السداد في القيادة.

١٢٢٩. فيها: أنّ كريم الخصال لا يمنعه كرمه الحزم في القرار ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

١٢٣٠. تفيد: بيان رقة يوسف عليه الصلاة والسلام، وعظيم شفقته بإخوته حيث لم يكتف بقوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي﴾حيث خاف أنّ يتجشم إخوته عناء السفر، والمجيء إليه، والقرب منه مرة أخرى فيطردهم من عنده، ولا يكيل لهم ما عنده من البضاعة، لذا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

١٢٣١. تفيد: بيان كرم يوسف عليه الصلاة والسلام حيث طلب منهم عدم القرب منه بالمجيء إليه؛ وذلك لأنّ الكريم لا يرد من جاءه، ولا يخيب من قصده، ولا يغلق بابه أمام من احتاج إليه.

١٢٣٢. فيها: أنّ الأصل جواز الاشتراط في المعاملات ما لم يخالف الشرع، لقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

١٢٣٣. تفيد: أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام كان بارعاً في السياسة التسويقية التي تندرج تحت السياسة الاقتصادية الشاملة، ومن أهمّ أسس هذه السياسة التسويقية: العلم بالحاجات الأساسية للمستهلك، وعرض المنتج الرائج عنده؛ لقوله: ﴿جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾.

١٢٣٤. تفيد: جلب المستهلك إلى المنتج المعروض، وحثه على الشراء منه مرة أخرى بطريقة أخلاقية تنمّ عن احترام، وتقدير، وإكرام؛ لقوله: ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ يوسف: [٦١].

١٢٣٥. في قوله: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾بيان عزة المطلب، وصعوبة مناله؛ فإنّ تحقيقه بحاجة إلى المراودة والمحاولة.

١٢٣٦. فيها: من أدب الأبناء عدم القطع بالأمور إلا بعد الرجوع للأب، وبعد رضاه.

١٢٣٧. فيها: ولاية الآباء على الأبناء.

١٢٣٨. فيها: إشارة إلى تعلّق يعقوب عليه الصلاة والسلام بشقيق يوسف؛ وأنّه كان يسليه عن يوسف عليه الصلاة والسلام.

١٢٣٩. أنّ الوعد ما كان على سبيل التحقيق لا التعليق؛ فإخوة يوسف وعدوا بالمراودة، ولم يقطعوا بالإتيان.

١٢٤٠. فضيلة الوفاء لأهل الفضل، والإحسان؛ فقد أكدوا حرصهم على إحضار أخيهم وفاءً لإكرام يوسف عليه الصلاة والسلام إياهم، ورغبة في جلب الميرة لأهليهم.

١٢٤١. ومنها: الكثرة غالبًا تغلب.

١٢٤٢. فيها: العناية بالوعد؛ لقوله: ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يوسف: [٦٢].

١٢٤٣. فيها: أهمية العناية بالشباب في بناء الدولة، ونهضتها؛ يدلّ على ذلك لفظ الفتية في الآية.

١٢٤٤. فيها: قول الرجل لمملوكه: "فتاي وفتاتي".

١٢٤٥. تفيد: فضيلة الأخذ بالأسباب والحيل المشروعة.

١٢٤٦. تفيد: أنّ من سياسة التخطيط الإداري الحكيم إشراك من تحت إدارتك في تنفيذ بعض المهام الصعبة، والمفصلية، والتي تكون سببا رئيساً في نجاح أي مشروع، وضرورة تعريفهم بالأهداف المرجوة، والغايات المقصودة من وراء تنفيذ تلك الأعمال، والمهام، وذلك من أجل رفع نسبة نجاح ذلك المشروع، من خلال الإيعاز بأنّه مشروع يتشارك في تنفيذه الجميع، ويسعى الكل إلى نجاحه؛ لقوله: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

١٢٤٧. تفيد: جواز انتفاع الأهل من صاحب المكانة في حدود المشروع له.

١٢٤٨. فيها: الرحمة جبلة لعباد الله رغم ما كان في يوسف من حنق على إخوته غلبت رحمته بهم لما رأى عليهم من الضيق.

١٢٤٩. اتخاذ الخدم، والمساعدين في المهام العظام، والقضايا الجسام، وأهمية كونهم أقوياء وأمناء، ونظيرها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾.

١٢٥٠. منها: التفاؤل، والتعامل بحسن الظن ديدن الصالحين.

١٢٥١. تفيد: أنّ التاجر الناجح هو الذي يستميل الزبائن بحسن المعاملة، ولين الجانب، وتقديم أفضل الخدمات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ يوسف: [٦٣].

١٢٥٢. تفيد: التأدب، والتلطف مع الأب في الحديث، والمعاملة، والنداء.

١٢٥٣. فيها: حسن البلاغة في التعبير عن المعاني في قولهم لأبيهم: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ بدل منعنا من الكيل.

١٢٥٤. فيها: تفرّد لفظ الأب في القرآن الكريم بأسلوب النداء، ﴿يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ ولم يقع لفظ الوالد هذا الموقع في النداء، فإنّ لفظ الأب أوقر من لفظ الوالد.

١٢٥٥. فيها: أنّ من الجوانب التربوية المهمة عدم مناداة الأدب بألفاظ لا تليق بمقامه.

١٢٥٦. تفيد: تقديم الضمانات اللازمة لحفظ النفس والمال[١].

١٢٥٧. تفيد أهمية دعم الطلب بمبرراته ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾.

١٢٥٨. تفيد أهمية الضمانات فيما يخشى من فقده وضياعه وهلاكه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يوسف: [٦٤].

١٢٥٩. فيها: من فنون الحوار الاستفهام الإنكاري ﴿قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾.

١٢٦٠. فيها: الدعوة إلى قراءة التاريخ قراءة متأنّية والاستفادة من ذلك في استشراف المستقبل، ﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾.

---

(١) أفاده السعدي في: "دروس مستفادة من سورة يوسف"(ص:٣٨)..

١٢٦١. فيها: سماحة الحوار مع شدّة الفاقة والحاجة التي مر بها نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام.

١٢٦٢. فيها: تذكير المخطئ بما صنع، -وخاصة من الأبناء- وسيلة من وسائل التربية، والتعليم والتوجيه وعدم مدحه بما ليس فيه.

١٢٦٣. فيها: الحذر من تكرار الأخطاء، وفي الحديث: ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين))[١].

١٢٦٤. فيها: أنّ سوء الظن مع قيام القرائن الظاهرة الدالة عليه غير محرم، ولا ممنوع.

١٢٦٥. فيها: تنبيه الآباء إلى خطر بعض الأبناء على إخوتهم، وأنّ الأخوة لا تكفي أنّ يوثق بها.

١٢٦٦. فيها: إشارة إلى أنّ العذاب المعنوي أشدّ من العذاب الحسي.

١٢٦٧. فيها: تحميل الإنسان مغبة أفعاله، وعواقب تصرفاته.

١٢٦٨. فيها: أنّ من خالف الوعد مرة لا يوثق فيه بعد ذلك.

١٢٦٩. فيها: بيان ما للإيمان بالله عز وجل، ومعرفة أسمائه، وصفاته من عظيم الأثر في الرضا بالقضاء والقدر.

١٢٧٠. فيها: فضيلة حسن الظن بالله تعالى.

١٢٧١. فيها: التوكل صفة عظيمة مقترنة بصدق الثقة، واليقين بالله جلّ جلاله.

١٢٧٢. فيها: أنّه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنّ عناية الله وحفظه خير وأوسع من حرص العبد.

١٢٧٣. تفيد: أنّ الاعتماد على الله، والإيمان بقدره يبعث الطمأنينة ويذيل المخاوف.

١٢٧٤. تفيد: الرد على المعطلة بإثبات صفة الرحمة لله سبحانه.

---

(١)أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦١٣٣)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٨)..

١٢٧٥. يفيد قول يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، اتخاذ القرارت المصيرية توكلاً على الله، فقد رجّح كِفَّة إرسال "بنيامين" معهم، توكلاً على حفظ الله له، لا على حفظهم.

١٢٧٦. تفيد: تفيد أهمية استوداع الأطفال الله تعالى والأهل والأصحاب عند سفرهم، لقوله: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

١٢٧٧. فيها: أنّ الإنسان إذا خاف من خيانة شخص أن يستودع الله حاجته، ويعتمد على حفظ الله وعنايته.

١٢٧٨. فيها: التوسل لله في حفظ الودائع بصفاته جلّ في علاه.

١٢٧٩. فيها: قوّة ثقة نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام بربه عز وجل.

١٢٨٠. تفيد سعة رحمة الله تعالى بعباده فهو أرحم بهم من أنفسهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾ يوسف: [٦٥].

١٢٨١. تفيد: أنّ علم الغيب المطلق ليس لأحد إلا الله، فهؤلاء يحملون متاعهم إلى أنّ وصلوا إلى أهلهم، وهم يجهلون ما فيها، فما أضل الذين يدّعون علم الغيب، وينازعون الله فيما اختص به.

١٢٨٢. فيها: إحكام الأمتعة في السفر حتى لا تضيع، أو تسرق؛ لأنّهم لم يشعروا بإرجاع بضاعتهم في السفر حتى رجعوا وفتحوا متاعهم.

١٢٨٣. فيها: كرم الأنبياء، وسمو أخلاقهم، وإحسانهم إلى الأقربين، والأبعدين.

١٢٨٤. تفيد: أنّ أكثر ما يكسر النفوس العزيزة الحاجة إلى الناس.

١٢٨٥. فيها: أنّ النفوس الكريمة تمنح العطايا بتلطف، وهي بعيدة عن خدش المشاعر.

١٢٨٦. فيها: التفنن في استعطاف الناس للوصول إلى الغايات النبيلة، والمقاصد الكريمة.

١٢٨٧. فيها: أنّ الرحمة بين الإخوان لا تدفنها المواقف.

١٢٨٨. فيها: ظهور أثر الإحسان في استمالة النفوس: ﴿مَا بَغِيۖ﴾.

١٢٨٩. فيها: أنّ الفعل يقوم مقام القول؛ بل هو أبلغ منه في شأنّ عقود التجارة، ومعاملاتها إذ إنّ إخوة يوسف قبلوا رد بضاعتهم رغم عدم علمهم بذلك شفاهة من قبل يوسف، وعماله عليه الصلاة والسلام.

١٢٩٠. تفيد: أنّ تقدم الإنسان في العمر، وكبر سنه من أسباب الصلاح، والاستقامة، ونضوج الفكر، واستنارة العقل، وأنّ الأخطاء الكبيرة المرتكبة في مراحل العمر الأولى لا تعني عدم التغيّر، أو الاستمرار على الخطأ؛ لقول إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾.

١٢٩١. تفيد: عظمة نعمة كثرة الأولاد، وأنّهم عون، وسند للوالدين في وقت الحاجة والضيق وكبر السن: ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾.

١٢٩٢. تظهر حسن تربية نبي الله يعقوب لأبنائه في تحمّل المسؤولية لرعاية مصالح الأسرة.

١٢٩٣. فيها: أنّ الإنسان في حياته يمر بمنعطفات كثيرة من الخير والشر، فهؤلاء الحريصون على مصلحة أهلهم هم الذين ألقوا أخيهم في الجب.

١٢٩٤. فيها: إشارة إلى الثناء على يوسف عليه الصلاة والسلام من حيث حسن التدبير، والتخطيط لتخطي أزمة القحط، والجدب؛ إذ لم يعط أحداً أكثر من حِمل بعير واحد فقط، ومن حيث الصلة، وبذل المعروف، وذلك من صفات القائد الناجح.

١٢٩٥. فيها: الترغيب في القيام بواجب الأسرة، وهذا من صدق الانتماء لتلكم الرابطة العظيمة، ﴿وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا﴾.

١٢٩٦. فيها: مكانة الأسرة كلبنة في بناء المجتمع وتنشئة الأبناء ليكونوا فاعلين في مجتمعهم.

١٢٩٧. تفيد: أنّ العلاقات بين الأخوة مبنية على التسامح، والتناصح، والتنازل، والبعد عن كلّ ما يخدش ويعكر صفو العلاقة الأخوية، ﴿وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾.

١٢٩٨. فيها: أنّه لا يزال الإنسان يتطلع إلى المزيد من حطام الدنيا، ومن المال الذي لا يشبع منه مهما أعطي.

١٢٩٩. فيها: أنّ من لم يفكر في العواقب، والمآلات يبيع الرخيص بالغالي ﴿ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ يوسف: [٦٦].

١٣٠٠. فيها: قوته عليه الصلاة والسلام في الأخذ بالأسباب ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ﴾.

١٣٠١. فيها: معنى "كلكم راع ومسؤول عن رعيته"(١) وتأكيد مسؤولية الوالد واحتياطه لسلامة ذريته ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ﴾وهذا يشمل السلامة الجسدية وسلامة الاعتقاد والأفكار.

١٣٠٢. فيها: مراعاة الحالة النفسية لمن فجع بفقد وإصابة قلبه بعزيز.

١٣٠٣. فيها: الخوف والحرص على الأحباب جبلة جبل عليها الانسان وليس فيها طعن في توكّل العبد.

١٣٠٤. تفيد: هذه الآية مع ما بعدها، جواز الحمالة بالعين، والوثيقة بالنفس، ووجه ذلك التزام أبناء يعقوب –عليه الصلاة والسلام– بإحضار أخيهم وهذا معنى الكفالة بالنفس.

١٣٠٥. تفيد: صحة قاعدة "الاستثناء معيار العموم"؛ لأنّ معنى الآية لتأتّنني به في جميع الأحوال إلا في حالة الإحاطة بكم.

١٣٠٦. فيها: أنّ الأحكام الشرعية ومنها إيفاء العقود، والعهود مدارها على الاستطاعة واستفراغ الوسع ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾.

١٣٠٧. في قوله تعالى﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ أنّ المرء معذور فيما لا يقدر عليه.

١٣٠٨. فيها: رفق الأنبياء عليهم السلام، وعدم تشديدهم؛ لقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري٢/٥، ومسلم ١٤٥٩/٣.

١٣٠٩. فيها: حكمة وحنكة يعقوب عليه الصلاة والسلام فجاء بالاستثناء الذي يحمل معني "إذا أردت أنّ تطاع فأمر بالمستطاع".

١٣١٠. فيها: بيان نعمة اجتماع الكلمة وقوة الرابطة، ﴿بِكُمۡ﴾.

١٣١١. فيها: رفع الحرج عن أبنائه بعد أنّ أخذ منهم العهد، والميثاق وهذا من السماحة في التعامل، والرحمة بالخلق من يعقوب عليه الصلاة والسلام.

١٣١٢. تفيد: سعة رحمة يعقوب عليه الصلاة والسلام، حيث قدّم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة؛ فبقاء بنيامين مصلحة خاصة له عليه الصلاة والسلام، والمصلحة العامة جلب الطعام.

١٣١٣. فيها: فطنة يعقوب عليه الصلاة والسلام في موافقته أخذ أخيهم، حيث اختلفت الأهداف في الواقعتين، ففي الأولى تسلية يوسف ﴿يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾وفي الثانية مراعاة مصلحة عامة، وهم فيها شركاء، فالحفظ هنا أوثق لعموم المصلحة التي تشملهم.

١٣١٤. فيها: جواز القسم على عظائم الأمور، وأنّ العهود، والمواثيق تؤكد بالأيمان.

١٣١٥. تفيد: جواز الاستدراك في العهود والمواثيق بما ليس في وُسع الإنسان.

١٣١٦. في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾: تفويض الأمور إلى الله عزّ وجل؛ لا سيّما في الشدائد والمحن.

١٣١٧. تفيد: أنّ الحذر لا يغني من القدر؛ فمع أنّ يعقوب عليه الصلاة والسلام قد اتخذ كل السبل لسلامة بنيامين وعودته إليه إلا أنّ ذلك لم يتم.

١٣١٨. فيها: هدي التوازن بين اتخاذ أجلّ الأسباب، وعظم التوكل على الله عزّ وجل.

١٣١٩. فيها: أنّ أكمل مقامات العبودية ما واطئ فيها عمل القلب أعمال الجوارح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾يوسف: [٦٧].

١٣٢٠. فيها: الترغيب في إشعار الوالد أبنائه بمكانتهم منه، والطرق على عاطفه الأبوة تجاههم.

١٣٢١. فيها: أنّ المحاولة، والإقناع بلطف، ورفق، ولين يتكلل في الأعم الأغلب بالقبول، والنجاح؛ فقد تمكن إخوة يوسف عليه السلام من إقناع أبيهم يعقوب عليه الصلاة والسلام بإرسال أخيهم معهم بعد محاولات ومناقشات، ومفاوضات لم يتطرق لها اليأس.

١٣٢٢. فيها: التلطّف مع الأبناء ليأخذوا بالوصايا الأبوية ويحرصوا عليها.

١٣٢٣. فيها: مدى ما يتمتع به الأولاد من مكانة عالية في نفوس أهليهم، ولذلك فالابتلاء فيهم له وقع شديد على النفوس.

١٣٢٤. فيها: سد الذرائع إلى الأمور التي قد يتوجس العبد من أنّها تفضي إلى ما لا يحمد عقباه.

١٣٢٥. تفيد: أنّ تجارب الحياة، وتعاملات البشر تكسب المرء خبرة وحذر، فأخذ نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام في شأنّ ابنه الآخر احترازات أقوى، وهذه هي مدرسة الحياة تجعل المرء يتعلم طريقة التعامل، وكيفية التصرف مع جميع أصناف البشر.

١٣٢٦. تفيد: أنّ العين حق، وأنّه يجب التحرّز منها.

١٣٢٧. فيها: إظهارا لكمال العناية بهم من الحسد ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾.

١٣٢٨. فيها: مشروعية اتخاذ الأسباب، وأنّها لا تمنع من قدر الله، ولهذا قال ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾.

١٣٢٩. فيها: بيان شفقة الوالد على أولاده حيث أمرهم بالتحرز من العين.

١٣٣٠. فيها: فقه وصية المسافر عند وداعه فهي مظنة الصدق، والمشاعر الجياشة، ومحض النصح حتى خصت في السنة بكونها وصية مودّع.

١٣٣١. فيها: قمّة التوكل على الله والتخلي عن الحول، والقوة، وأنّ التوكل اعتماد مع أخذ الأسباب.

١٣٣٢. تفيد: أهمية الإقران بين الأوامر، والنواهي في المجال التربوي، وضرورة ذكر البديل عند المنع من فعل شيء؛ لقوله: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، كان يكفيه عليه الصلاة والسلام أنّ يقول فقط مثلا: (يا بني ادخلوا من أبواب متفرقة).

١٣٣٣. تفيد: مبالغة يعقوب عليه الصلاة والسلام في التحرز من أنّ يفهم أولاده من طلبه أنّه المؤثر، فنراه يؤكّد بـ: ﴿وَمَآ أُغۡنِي﴾..﴿مِن شَيۡءٍۖ﴾..﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾.. ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾..﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾، وعليه وجوب حذر الداعية لكل كلمة في دعوته لأنّ المتلقي يأخذها دونما شروط لثقته به.

١٣٣٤. تفيد: أنّ الأمر كله لله، وأنّ كان هنالك نفع أو ضر بيد أحد من الخلق لكان أولى بذلك يعقوب عليه الصلاة والسلام لأولاده (ما كان يغني عنهم من الله من شيء) وهذا يكشف جهل من يتعلقون بغير الله من الأموات والأحياء ويظنون أنّ جلب النفع وكشف الضر بأيديهم من دون الله.

١٣٣٥. فيها: أنّ الأنبياء أكمل الخلق تحقيقاً للتوحيد.

١٣٣٦. فيها: إخلاص التوكل على الله عز وجل؛ دلّ على ذلك تقديم ما حقه التأخير؛ لقوله: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾.

١٣٣٧. فيها: بيان ضعف الإنسان مهما أوتي من قوة، أو ملك، أو سلطان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يوسف: [٦٨].

١٣٣٨. تفيد: أهمية البر، وذلك بتنفيذهم وصية أبيهم، وامتثال أمره، وفي ذلك بيان لما كانوا عليه من البر بأبيهم والتوقير له.

١٣٣٩. تفيد أهمية استفادة الأبناء من خبرة الآباء خاصة العلماء والفضلاء منهم.

١٣٤٠. فيها: أنّ الأب هو رب الأسرة وسيّدها، تخطيطاً وتوجيهاً ونصحًا وتعليماً.

١٣٤١. علي الأبناء فعل ما يدخل الراحة النفسية والاطمئنان على والديهم حتى لو لم يدركوا مقصده.

١٣٤٢. تفيد: الحاجات النفسية، والمشاعر الأبوية، لا تنقص من قدر العالم.

١٣٤٣. تفيد: أهمية التوجيه المستمر للأبناء، ووصيتهم بما ينفعهم حتى بعد كبرهم خاصة ما يجهلونه.

١٣٤٤. فيها: أهمية الأخذ بالأسباب، وأنّ كان ذلك لا يرد قضاءً.

١٣٤٥. تفيد: قمة البلاغة القرآنية وروعة الفصاحة البيانية حيث مضى جزء من هذه الآية مثلاً في أفواه الناس.

١٣٤٦. تفيد: أنّ العالم ليس واجباً عليه أن يخبر بكل ما علّمه الله تعالى له، بل أنّ بعضها مما يستحب أنّ يكتمها، ويحتفظ بها لنفسه، أو يجمل القول فيها دون تفصيل؛ لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

١٣٤٧. فيها بلاغة الاستثناء المنقطع الوارد في القرآن فالاستثناء في قوله تعالى﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ﴾.

١٣٤٨. فيها: أنّ العلم هبة إلهية، ومنحة ربانية، يؤتيه من يشاء من عباده. ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

١٣٤٩. تفيد: أنّ من جمع بين التوكل على الله، وفعل الأسباب، فهو من ذوي العلم، والبصيرة ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾.

١٣٥٠. فيها: أنّ علوم العلماء المبهرة هي من علم الله وفضله عليهم.

١٣٥١. فيها: عظم علم الله عز وجل الذي لا يحده حد، ولا يحيط به أحد من خلقه، وقلة ومحدودية علم الخلق.

١٣٥٢. تفيد: أنّ جميع العلوم، والمعارف مصدرها الأول، والرئيس هو الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾.

١٣٥٣. فيها: دفاع الله عن نبيه يعقوب – عليه الصلاة والسلام؛ لقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾ يريد: ما أوصى أولاده لغفلة من قضاء الله وقدره.

١٣٥٤. فيها: ثناء الله تعالى على نبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام. قال أبو السعود: " وفي تَأْكِيدِ الجُمْلَةِ بِأنّ واللّامِ وتَنْكِيرِ العِلْمِ، وتَعْلِيلِهِ بِالتَّعْلِيمِ المسْنَدِ إلى ذاتِهِ سبحانه مِنَ الدِّلالَةِ عَلى جَلالَةِ شَأنِ يَعْقُوبَ – عليه الصلاة والسلام – وعُلُوِّ مَرْتَبَةِ عِلْمِهِ وفَخامَتِهِ ما لا يَخْفى."[(١)].

١٣٥٥. تفيد: يقين الأنبياء، وعلاقتهم المباشرة مع ربهم لم تكن لتخرجهم عن أطوار بشريتهم، فكما كانت لهم احتياجات جسدية كذلك كانت لهم احتياجات نفسية أظهروها، وسعوا لإشباعها.

١٣٥٦. فيها: الترهيب من حال أكثر النّاس إذ إن أكثر الناس لا يعملون بمقتضي علمهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يوسف: [٦٩].

١٣٥٧. فيها: جمال الوفاء بالوعد، وذلك بإحضار أخيهم.

١٣٥٨. فيها: إشارة إلى أنّ يوسف عليه الصلاة والسلام أكرم وفادتهم، وأحسن ضيافتهم، وأفاض عليهم بالصلة والإحسان.

١٣٥٩. تفيد: الخيرون يؤنسون الضيف بطيب الكلام، ويستقبلونه بالحفاوة، والإكرام.

١٣٦٠. فيها: الشوف للأخ الشقيق، وإبراز ما في جمع الشمل من الألطاف والإنعام.

١٣٦١. فيها: جمال الترحيب وحرص النبي الكريم، والأخ الرحيم في بداية لقائه بأخيه أن يعالجه مما عاناه من الجفاء، والغلظة، والبغي، وأن يسري عنه.

١٣٦٢. فيها: جواز تخصيص المرء من يثق به بأسراره، دون من لا يثق به، ولا يطمئن إليه.

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/٢٩٣.

١٣٦٣. فيها: وجوب نصرة الأخ، والشد من أزره.

١٣٦٤. تفيد: أنّ الأخوة مصدر قوة، وسند ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾.

١٣٦٥. هذه الآية أصل في تعزيز الطمأنينة لدى الخائفين من كيد الآخرين، وأذاهم.

١٣٦٦. فيها: النهي عن الحزن، والأسى فأنّه لا يعيد الماضي، ويضيع الحاضر.

١٣٦٧. فيها: تأميّن الخائف، وإدخال السكينة، والطمأنينة لقلبه من الأعمال الجليلة المغفول عنها.

١٣٦٨. فيها: تهوين الأمور، وعدم تهويلها حفاظاً على الرحم.

١٣٦٩. فيها: الأصل في الأخوة السند، والقوة، وما يطرأ عليها من ميل يكن من الشيطان فالعاقل يصغّرها والجاهل يعظّمها.

١٣٧٠. فيها: إشارة إلى تعرّض شقيق يوسف للظلم، وسوء المعاملة.

١٣٧١. فيها: أهمية التغاضي للإبقاء على العلاقات.

١٣٧٢. تفيد: كيف تكون أخلاق الكبار من الناس، فهم دائماً ينظرون إلى الأمام ولا يلتفتون كثيراً للوراء، وما حدث لهم فيه.

١٣٧٣. تفيد: أنّ الأخ يجلو عن أخيه الذكريات المؤلمة، ويفتح له آفاق الحاضر والمستقبل، ويحفّزه على الإنتاج والعمل، ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

١٣٧٤. تفيد: أهمية الكف عن الحزن، والبغض والكراهية على ما يجده الإنسان في الحياة لمن أراد أن يعيش سليم الصدر ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾وردت هنا ووردت في سورة هود في نهي نوح عن ذلك، وهي مسألة مهمة لحملة الدعوة في كل زمان، ومكان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ يوسف: [٧٠].

١٣٧٥. فيها: أنّ لكل مقام مقال، من حيث الموضوع، والزمن كذلك، ففي لقائه الأوّل بهم احتاج وقتاً للتعرّف عليهم فعطف بالواو، وفي لقائه الثاني عطف بالفاء (فجهزهم) متعجلا؛ لحصول المطلوب وانتفاء الحاجة لمزيد من الوقت.

١٣٧٦. فيها: جواز التوصّل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة، ولا هدّمت أصلا"(١)

١٣٧٧. فيها: حجة على جواز المعاريض.

١٣٧٨. فيها: استعمال المعاريض القولية، والفعلية مع عدم الكذب.

١٣٧٩. يفيد: ﴿ثُمَّ﴾في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾وجود مهلة كافية بين جعْل السقاية والنداء؛ وذلك قطعاً للظنون، ودفعا للشكوك.

١٣٨٠. يفيد قوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾أنّهم كانوا في قافلة، وفي ذلك إرشاد للسفر في رفقة مأمونة؛ كما يتضمن حثاً على لزوم الجماعة، ونهيا وتحذيراً من الشذوذ.

١٣٨١. فيها: إشارة إلى قبح السرقة، وشناعتها عند جميع الأمم؛ وقد سموها في الآية التي بعدها إفساد في الأرض.

١٣٨٢. فيها: أنّ العقوبة إذا نزلت قد تعم.

١٣٨٣. فيها: أنّ كل مجتمع مسؤول عن أفراده.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ يوسف: [٧١-٧٢].

١٣٨٤. فيها: جواز دفع الضرر بضرر أقلّ منه.

١٣٨٥. في قوله: ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾دلالة على صلاح إخوة يوسف، وثقتهم بأنفسهم أنّهم فوق الشبهات، ولا يتهمون بأمانتهم.

١٣٨٦. فيها: بيان أدب الحوار، من الإقبال بالوجه، وانتقاء الكلمات، واحترام المحاور.

---

(١)أفاده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن. (٩/٢٣٦)..

١٣٨٧. فيها: إشارة إلى براءة البريء، وذلك من دهشتهم من التهمة، واستهجانهم من نسبة السرقة إليهم، وفي ذلك تلويح إلى قبح السرقة، وشناعتها عند جميع الأمم وفي سائر الملل.

١٣٨٨. تفيد: أن البريء، والنزيه، يقبل، ولا يدبر؛ فهو رابط الجأش؛ لقوله: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾.

١٣٨٩. يفيد قوله تعالى: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾دقّة التعبير، وقمّة الأدب، وحسن الحوار؛ ولذا التزم معهم الحراس، والمحققون الأدب، والتلطف في الجواب، فقالوا: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾، وفي ذلك إرشاد إلى مراعاة ذلك عند الحوار.

١٣٩٠. فيها: المعطي دائماً صاحب اليد العليا والأخذ دونه، لذا لم يتمكنوا من الاستنكار، ولا حتى إظهار الانزعاج من التهمة المفترة عليهم.

١٣٩١. فيها: اطمئنان الواثق من نفسه، وحسن تخاطبه.

١٣٩٢. هذه الآية أصلٌ في التحفيز: ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

١٣٩٣. فيها: تشجيع المتهم، ومكافأته المادية على إظهار ما يجب إظهاره قبل الشروع في مؤاخذته.

١٣٩٤. في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أصل في الجعالة وأنّ الجُعل لا يُستحق شيء منه إلا بتمام العمل، وأنّه ليس بعقد لازم.

١٣٩٥. تفيد: الذكاء في تخيّر المكافأة وهي ما كان الجميع بحاجة إليه من الميرة، والذي كان الدافع إلى السرقة في اعتقادهم، فكان انتقاء المكافأة مظنة المسارعة للاعتراف.

١٣٩٦. في قوله تعالى﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾دليل على مشروعية الكفالة، وأنّ الكفيل ضامن وغارم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ يوسف: [٧٣].

١٣٩٧. فيها: جواز الحلف بالله تعالى للضرورة، أو إثبات البراءة من التهم.

١٣٩٨. فيها: بيان أنّ التاء في: ﴿تَاللَّهِ﴾من حروف القسم؛ وأنها خاصة بلفظ الجلالة (الله).

١٣٩٩. فيها: أنّ أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام كانوا على الحنفية السمحة، والعقيدة الصحيحة؛ حيث أقسموا بالله تعالى وحده، وفي ذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

١٤٠٠. يفيد قولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتُم﴾ امتلاكهم حجة قوية يستحيل معها تهمتهم بالسرقة.

١٤٠١. يؤخذ منها: العناية بالعمال المسافرين، والمغتربين؛ فيوضع في الحسبان أنهم حلوا بالبلاد ليبتغوا من فضل الله لا أن يفسدوا في الأرض، وينتهبوا خيرات البلاد.

١٤٠٢. فيها: العلم السابق بأفعال الشخص أظهر برهان في الدفاع عنه.

١٤٠٣. فيها: أنّ الفاسد يسعى لما يحقق له فساده ﴿مَّا جِئۡنَا﴾.

١٤٠٤. فيها: المتكلّم عن جماعة ينوب عنهم، وهذا من الأدب في الحديث.

١٤٠٥. فيها: أنّ الجرائم -ومنها السرقة- من أعظم أسباب فساد الأرض، ومن أشدّ طرق الإفساد فيها؛ ولذا رتب الله جل وعلا عليها الحد والعقوبات.

١٤٠٦. فيها: أنّ السرقة من أعظم أنواع الإفساد في الأرض.

١٤٠٧. فيها: أنّ الفساد في بقعة من الأرض كالفساد في جميعها ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.

١٤٠٨. يؤخذ منها بمفهوم المخالفة: أنّ إصلاح الأرض بلزوم الشرع، واتباع الرسل.

١٤٠٩. فيها: أنّ الأرض لا تصلح إلا بتطبيق شريعة الله عليها.

١٤١٠. فيها: شهادهم على أنفسهم من باب المدافعة لعلمهم بفرط أمانتهم.

١٤١١. تفيد: قوة حجتهم، بنفي القصد أولًا، ثم نفي الفعل.

١٤١٢. في قولهم إشارة إلى معنى قول ابن رجب رحمه الله: "متى ضَعُفَ الإيمان الباطن لزمَ منه ضعف أعمال الجوارح الظاهرةِ أيضاً "[(١)].

١٤١٣. فيها: من تعوّد السرقة كررها ﴿سَٰرِقِينَ﴾ مبالغة على وزن فاعل.

---

(١) جامع العلوم والحكم ١/٣٠.

١٤١٤. فيها: العمل بحسن السيرة والسلوك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوسف: [٧٤-٧٥].

١٤١٥. فيها: جواز حذف ما يعلم؛ لقوله: ﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾، أي: فما جزاؤه عندكم؛ بقرينة: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يكن هذا إلا في عرفهم.

١٤١٦. إطلاق الجزاء على العقوبة.

١٤١٧. في مجيء "إن" التي للأمر المشكوك دون "إذا " التي للأمر المحقق في قول فتية يوسف عليه الصلاة والسلام أو المؤذن ﴿إِن﴾دلالة على أن المتهم بريء حتى تثبت وتتحقق إدانته.

١٤١٨. فيها أنّ الكاذب يستحق العقوبة والتعزير.

١٤١٩. فيها: دلالة على شناعة الكذب وقبحه.

١٤٢٠. فيها: رد على الجبرية؛ لأن البشر يعلمون أنّ كل إنسان مسؤول عن عمله في الخير، والشر؛ ولذلك أجمعوا على عقوبة السارق ولم يقولوا: إنه مجبر على فعله فلا يعاقب، ولذلك من لوازم قول الجبرية إبطال الشرائع.

١٤٢١. فيه: أنّ السرقة تستلزم عقوبة عند جميع الطوائف وفي سائر الأديان.

١٤٢٢. فيها: الاستيثاق من الخصم بما استقر عنده من عقوبة الذنب؛ لتحتم أخذه به، وليكون أشدّ إذعانا وانقيادا للحكم، (تحكيم المرء في ذنبه).

١٤٢٣. فيها: حكمة يوسف عليه الصلاة والسلام في ردّ الحُكم لهم، وهذا من الدهاء، والفطنة التي تنبغي لكل من وكل بتصدر منصبًا.

١٤٢٤. فيها: أن حكم السارق في شريعتهم أن يصبح مملوكاً لمن سرق منه؛ وقد نسخ في شرعنا بآية السرقة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف: [٧٦].

١٤٢٥. فيها: إزالة الريبة، والظنون؛ إذ لو بدأ باستخراج الصاع من وعاء أخيه لفطنوا لحيلته، ولفهموا مقصده ونيّته.

١٤٢٦. تفيد: إشادة بأهل الفطنة، والحنكة، والسياسة.

١٤٢٧. يؤخذ من تفتيش أوعية الجميع أن العدل لا يتحقق إلا بتطبيق الحكم على الجميع دون استثناء.

١٤٢٨. فيها: أنّ كيد يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته كان بتدبير من الله عز وجل وتيسير منه ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾.

١٤٢٩. فيها: أنّ الله مع أوليائه يؤيدهم، وينصرهم على من ظلمهم.

١٤٣٠. فيها: إثبات الكيد لله سبحانه وتعالى؛ لقوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ والكيد في محله وفي مقابلة كيد الكائدين كمال.

١٤٣١. فيها: أنّ ما كان مشروعاً من الحيل ما كان له أن يتم ويوصل إلى غرضه لولا حسن تدبير الله، ومعونته، ومشيئته.

١٤٣٢. وفِي الآية دَلِيلٌ عَلى جَوازِ التَّوَصُّلِ إلى الأغْراضِ الصَّحِيحَةِ بِما صُورَتُهُ صُورَةُ الحِيلَةِ والمَكِيدَةِ إذا لَمْ يُخالِفْ ذَلِكَ شَرْعًا ثابِتًا"(١)

١٤٣٣. فيها: في المعاريض مندوحة عن الكذب.

١٤٣٤. فيها: أنّ العلم بلطيف الحيل الموصلة للمقصود الشرعي نصرة للدين، وقمع للعدو.

١٤٣٥. فيها: أنّ التوصل إلى الأغراض بالحيل جائز إذا لم تخالف الشريعة، والأصول.

١٤٣٦. فيها: إطلاق لفظ ﴿دِينِ﴾على النظام والحكم.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان (٦/ ٣٧٧).

١٤٣٧. تفيد: أثر الملوك في أديان الناس؛ لقوله: ﴿فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾لأنّهم يحملون الناس على دينهم، كما قيل: الناس على دين ملوكهم، ولذلك إذا كانوا ضالين أفسدوا دين الرعية؛ كما قال ابن المبارك رحمه الله تعالى:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

١٤٣٨. فيها: أهمية الاستثناء؛ لقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾.

١٤٣٩. فيها: دليل أن العلم أشرف المقامات﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾.

١٤٤٠. تفيد أن أي رفعة تحصل في الحياة للعبد فهي من الله.

١٤٤١. فيها إشارة إلى سؤال الله تعالى العلم، والفهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾يوسف: [٧٧].

١٤٤٢. تفيد: ذمّ التسرّع في الحكم على الناس.

١٤٤٣. في الآية براعة التصوير القرآني للحدث حيث ابتدأت بحرف ﴿۞ إِن﴾وذلك لأنّ إخوة يوسف رأوا بأعينهم الصواع وهو يستخرج من رحل أخيهم، فلذلك لم يقولوا إذا.

١٤٤٤. تفيد: أنّ بعض البشر غير الموفقين إذا وقع في مشكلة، أو مصيبة فبدلاً من أن يفكر أوّلاً في طريقة للخلاص؛ ينشغل بغير ذلك؛ فيتهم فلاناً وعلاناً، ويأخذ يميناً ويساراً في الكذب والغيبة، والنميمة، وسوء الظن بالآخرين، وما أكثرهم؛ لقول إخوة يوسف: ﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾.

١٤٤٥. تفيد: عدم احترام إخوة يوسف لمشاعر أخيهم المتهم بالسرقة؛ فبدلاً من مساعدته في الخلاص من مصيبته التي وقع فيها؛ ذهبوا إلى الوقيعة به، وبأخيه الآخر اتهاماً وجرحاً وسوء ظن.

١٤٤٦. فيها: أنّ الأحداث، والمصائب تكشف عن دواخل النفوس.

١٤٤٧. تفيد: فساد قياس الشبه، قال ابن القيم :" قِياسُ الشَّبَهِ فَلَمْ يَحْكِهِ اللَّهُ سبحانه إلا عَنْ المبْطِلِينَ؛ فَمِنهُ قَوْله تَعالى إخْبارًا عَنْ إخْوَةِ يُوسُفَ أنهم قالُوا لَمّا وجَدُوا الصُّواعَ في رَحْلِ أخِيهِمْ: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾[يوسف: ٧٧](١)، فَلَمْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الأصْلِ والفَرْعِ بِعِلَّةٍ ولا دَلِيلِها، وانما ألْحَقُوا أحَدَهُما بِالأخَرِ مِن غَيْرِ دَلِيلٍ جامِعٍ سِوى مُجَرَّدِ الشَّبَهِ الجامِعِ بَيْنَهُ وبَيْنَ يُوسُفَ، فَقالُوا: هَذا مَقِيسٌ عَلى أخِيهِ، بَيْنَهُما شَبَهٌ مِن وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ، وذاكَ قَدْ سَرَقَ فَكَذَلِكَ هَذا، وهَذا هو الجَمْعُ بِالشَّبَهِ الفارِغِ، والقِياسِ بِالصُّورَةِ المجَرَّدَةِ عَنْ العِلَّةِ المقْتَضِيَةِ لِلتَّساوِي، وهو قِياسٌ فاسِدٌ.

١٤٤٨. فيها: العصبة من الناس قد يتفقون على التواطؤ في الجريمة، ولا ينصح بعضهم البعض وفيه لا تغتر بكثرة من ضل وقلّة من ينصح.

١٤٤٩. فيها: إشارة إلى أنّ الاتهامات الخالية عن الدلائل، والبينات لا اعتبار لها، وهي دليل على العجز، والانهزام.

١٤٥٠. تفيد: أنّ الكراهية والحسد تحدث خللاً في التقييم والحكم على الآخرين.

١٤٥١. فيه: أنّ تعيير غيرك بذنب قد فعلت أكبر منه غير صواب، كما في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾(٢).

١٤٥٢. في قوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا﴾ بيان فضيلة كظم الغيظ؛ وذلك بالتخلي عن التشفي، والانتقام.

١٤٥٣. فيها: موقف جديد من كريم أخلاقه، فموقفه مع ما وقع عليه من الإيذاء، والإيلام النفسي الذي يلزمه الرد، إلا أنّه آثر السكوت، وأسرها في نفسه!!

١٤٥٤. تفيد: أنّه قد يقع من الإخوة من الأذى ما لا يقع من الغريب البعيد، فلا تقابل الإساءة بالإساءة فكن حكيماً ولو بالصمت.

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ١١٥.

(٢)أفاده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تفسير آيات من القرآن الكريم(ص: ١٦٦)..

١٤٥٥. تفيد: حفظ جناب الأخوة، وترك اللوم على ما مضى، من مقاصد القرآن العظيمة ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

١٤٥٦. فيها: العفو عند المقدرة؛ فإنّه عليه الصلاة والسلام ترك عتابهم، ومؤاخذتهم على قدرته ومنصبه ويَكُونُ مَعْنى ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ إنّهُ تَحَمَّلَها ولَمْ يُظْهِرْ غَضَبًا مِنها، وأعْرَضَ عَنْ زَجْرِهِمْ وعِقابِهِمْ مَعَ انها طَعْنٌ فِيهِ وكَذِبٌ.

١٤٥٧. تفيد: أنّ من كمال العقل، والخلق أن يصرح الإنسان بما في نفسه إذا كانت تترتب عليه مفاسد، أو يضيع مصالح.

١٤٥٨. فيها: ليس كلّ ما يعلم يقال، ولا كلّ ما يقال جاء وقته.

١٤٥٩. فيها: أنّ التغافل عن الزلات من أرقى شيم الكرام، وإنّه ليس بغباء، بل هو من سبل دوام المودة.

١٤٦٠. فيها: عظمة العفو والصفح عن الإخوة.

١٤٦١. فيها: صبر يوسف عليه الصلاة والسلام، وسعة حلمه، لحكمة يريدها الله عز وجل رفعة له، وتمكيناً.

١٤٦٢. فيها: تذكير لهم بأنّ من ديدنهم الكذب ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾.

١٤٦٣. فيها: علم الله بما في النفوس؛ لقوله: ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، أي: قال ذلك في نفسه؛ لأنّ الله أخبر أنّه أسرّها، ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف: [٧٨].

١٤٦٤. فيها: جواز إطلاق اسم ﴿الْعَزِيزُ﴾ على غير الله، عزة تليق بالمخلوق، وفنائه، وعدم بقائه.

١٤٦٥. فيها: إنزال الناس منازلهم، وقول النبي: "إلى هرقل، عظيم الروم"(١).

١٤٦٦. فيها: إرشاد إلى أدب مخاطبة الملوك، ووجهاء البلد، وأهل العلم، والصلاح.

---

(١) أخرجه البخاري ١/٨، ومسلم ٣/١٣٩٣.

١٤٦٧. فيها: قدرة الله على تغيير الحال، وأنّ الأمر كله إليه سبحانه؛ حيث قدر الله وجعل أخاهم في هذه المنزلة، ثم قدّر عليهم احتياجه واستعطافه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾.

١٤٦٨. فيها: جواز الاستشفاع، وأنّه من وسائل نفع الغير، ومن طرق اكتساب الأجر، كما قال تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾النساء: [٨٥][(١)].

١٤٦٩. فيها: أنّ الاستعطاف، والاسترحام من أنجع الوسائل المعينة لبلوغ الغايات ونيل المآرب ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾.

١٤٧٠. فيها: خروج الأسماء الخمس، أو الست عن جادة الأصل في إعرابها عن اختلال شرط من شروطها، في اعرابها بالحروف منها أن تكون مضافةً، فان لم تُضَف أُعرِبتْ بالحركات لقوله" ﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾.

١٤٧١. فيها: أنّ الأصغر أقرب إلى رقّة أبيه، وعطفه، وحنانه.

١٤٧٢. فيها: عرض الحاجة، وشرحها على ذي الشأن، والمنصب.

١٤٧٣. أنّ من أصول الأخلاق، وقواعد الآداب عند جميع الأمم، وفي سائر الملل، والنِّحل احترام الكبير، وتوقير الشيخ والعجوز.

١٤٧٤. فيها: جواز الاستمالة بالشيخوخة في الطلب، وفي الدعاء نفسه ألا ترى دعوة نبي الله زكريا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ مريم: [٤].

١٤٧٥. فيها: أنّ للكبير حق معروف، يجب أن يراعى، فهم من جملة ما توسلوا به ليوسف.

١٤٧٦. في سر النكتة في أنهم ذكروا(شيخوخته)، ولم يذكروا منزلته النبوية حتى لا يجعلوا الدين مطيّة للدنيا!!

١٤٧٧. تفيد: أنّ الأب كلما طال عمره، احتاج إلى أبنائه؛ فينبغي على الأبناء، مراعاة ذلك.

---

(١) أفاده الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

١٤٧٨. تفيد: الآية حاجة كبار السن إلى الحماية، والوقاية من سماع الأخبار السيئة فيما يتعلق بأبنائهم.

١٤٧٩. فيها: الاجتهاد، وإفراغ الوسع في إرجاع المفقودين إلى آبائهم، ألا تراه يقول: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥ﴾.

١٤٨٠. تفيد: جواز الحمالة، وهي الضمان، فمعنى الآية: فخذ أحدنا مكانه كضمانة حتى ينصرف إليك صاحبك، أي يصل بنيامين إلى أبيه يعقوب، ويعرف جلية الأمر.

١٤٨١. فيها: أنّ العبد إذا وقع في الفخ في هذه الحياة الدنيا، ودّ لو يفتدي بنفسه فكيف بمن وجد نفسه يوم القيامة جزاءه النار لا حول ولا قوة إلا بالله.

١٤٨٢. فيها: شدّة حسرتهم، وخوفهم من وعدهم الذي قطعوه، لا سيّما أنّهم قد جربوا حزنه.

١٤٨٣. في الآية إشارة إلى ذكائهم بطلبهم الذي جمع بين العقل، والعاطفة، والأدب، والتأكيد، والحرص، والمصداقية العملية.

١٤٨٤. فيها: الإيثار، والتضحية من أجل الأخوة؛ لقوله: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥ﴾.

١٤٨٥. فيها التأكيد لمبدأ الكفالة الحضورية، وكفالة الغرم والأداء، فإنّه في حال تعذر إحضار المكفول تتحول الكفالة الحضورية إلى كفالة غرم وأداء.

١٤٨٦. فيها: عظمة أجر الإحسان إلى الناس، وخدمتهم بالمناصب، ابتغاء وجه الله وفيما أذن الله فيه؛ لقوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

١٤٨٧. فيها: أنّ العظماء لا تغيّرهم المناصب، فصفة الإحسان في قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قيلت ليوسف في السجن ولما كان عزيزاً.

١٤٨٨. فيها: معاملة الناس، والشهادة لهم بما ظهر منهم.

١٤٨٩. فيها: إنّ الإحسان مع كونه عملاً قلبياً إلا أنّ آثاره ترى على صاحبه.

١٤٩٠. تفيد أن المحسن يرجى منه المسامحة أكثر من غيره من الناس.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ يوسف: [٧٩].

١٤٩١. فيها: حواز قول ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ إذا حُرض، أو دعي إلى ما لا ينبغي.

١٤٩٢. تفيد: أنّ الاستعاذة عبادة، ومما حرص عليه الأنبياء؛ قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ هود: [٤٧]. وقال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ البقرة: [٦٧]. وغيرها.

١٤٩٣. فيها: ردّ الطلب بأفضل الكلام، وألطفه؛ فإنّ يوسف – عليه الصلاة والسلام – لم يرد يزجرهم ويغلظ عليهم في رده لطلبهم، بل رده بألطف العبارات وأحسنها ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾.

١٤٩٤. فيها: مشروعية التعوذ بالله عز وجل من الظلم، والجور، وسائر المعاصي.

١٤٩٥. فيها: حرمة المحاباة في الحكم الشرعي.

١٤٩٦. في ﴿إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ بدل (من سرق) استعمال المعاريض في الكلام، والتحرز في القول، والدقة في التعبير.

١٤٩٧. فيها: أنّ الأحكام مجراها على الظن الغالب إذا تعذر اليقين، فوجود المتاع في الرحل مظنة السرقة، رغم التحفظ في عدم إطلاق لفظ السرقة على ذلك.

١٤٩٨. فيها: تأمين النفس من الوقوع في الخطأ الذي يقتضيه الشرع، والفطرة.

١٤٩٩. فيها: أن وضع العقوبة في غير موضعها ظلم.

١٥٠٠. فيها: أنّ الظلم تستنكره النفوس الأبية، والفطر السوية والضمائر الحيّة.

١٥٠١. فيها: الترغيب في العدل وعظم مكانة الإمام العادل لتجافيه عن الظلم مع الاستطاعة لذا خص في الحديث (سبعه يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وذكر في مقدمتهم (إمام عادل)[1].

(١) أخرجه البخاري ٨/١٦٣.

١٥٠٢. فيها: حرمة ترك الجاني، وأخذ غيره بدلا منه؛ إذ هذا من الظلم"[(١)]

١٥٠٣. ومنها: في كلام يوسف عليه الصلاة والسلام تأديب بالتلميح لإخوته، وهو ديدن المحسن يكتفي بالتلميح عن التجريح، والتصريح.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يوسف: [٨٠].

١٥٠٤. فيها: شدّة يأسهم في ردّ أخيهم إليهم.

١٥٠٥. فيها: استنفاذ الجهد، والوسع قبل اللجوء إلى الحلول البديلة، أو الاستسلام.

١٥٠٦. تفيد: أنّ من قواعد العدل، وأصول الحكم ألا يخضع الحاكم لأي ضغط خارجي لتغيير موقفه، وتحويل وجهته المعتضد بالدليل إرضاء لأحد غير ربه عز وجل.

١٥٠٧. فيها: أنّ من الحكمة والعقل الصرامة في موضعها، واللين في محله، وأنّ لكل مقام مقال، ولكل حال حكم.

١٥٠٨. ومنها: احترام وأدب في خفض الصوت عند مناقشة الأمور الخاصة في كل عائلة.

١٥٠٩. فيها: العناية بوصية الأب.

١٥١٠. فيها: أنّ الأمور العائلية لا تناقش إلا في العائلة.

١٥١١. تفيد: استبعاد الحلول غير الممكنة ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾.

١٥١٢. تفيد: حضور جميع من له تعلق بهذه المشكلة، ومساهمة في حلها دون غيرهم ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾.

١٥١٣. تفيد: تقديم من يستحق التقديم عند عرض المشكلة ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾.

١٥١٤. فيها: تذكير الأخ إخوته بإنفاذ وصية أبيهم، وعهده؛ لقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) ينظر: دروس مستفادة من سورة يوسف للسعدي، ص: ٤٩.

١٥١٥. تشير إلى: شأن الأخ الأكبر في الملمات، والنوازل، وما ينبغي أن يكون عليه؛ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾، ولم يقل: "قال أخوهم مثلا".

١٥١٦. فيها: أنّ الأخ الأكبر مظنة الحكمة، والفطنة بعكس ما تدل عليه بعض الثقافات.

١٥١٧. تفيد: أنّه لا يلزم الفرد، طاعة باقي المجموعة إذا كان له مسوّغ شرعي.

١٥١٨. فيها: مشروعية التناجي إذا كانوا ثلاثة فأكثر؛ لقوله: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾.

١٥١٩. فيها: التشاور في أمور الأخوة؛ لقوله: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾، أي: انفردوا يتشاورون في شان أخيهم.

١٥٢٠. أهمية التشاور في المهمات، والملمات، والمدلهمات.

١٥٢١. فيه: أنّه لا أحد يستغني عن المشورة مهما علت منزلته، وارتفعت درجته؛ وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾آل عمران: [١٥٩].

١٥٢٢. فيها: الاجتهاد، وبذل الوسع في قضاء الأمور؛ لقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾، لن أتركها.

١٥٢٣. فيها: استرضاء الأب؛ لقوله: ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي﴾ قال ابن كثير في تفسيره: في الرجوع راضيا عني"(١).

١٥٢٤. فيها: طلب العون من الله تعالى ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾.

١٥٢٥. فيها: حسن الظن بالله فيما يقضيه للعبد؛ لقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

١٥٢٦. فيها: المثابرة والصبر على المكروه حتى يحكم الله للعبد، وكما قال: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾الأعراف: [٨٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ يوسف: [٨١].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٠٤.

١٥٢٧. فيها: أنّ الصادق يحب أن يصدّق، ومن ذلك إصرار الأخ الأكبر على عدم الرجوع معهم، ليطمئن أباهم على صدقهم.

١٥٢٨. فيها: أنّ من الحكمة مواجهة المشاكل، والاجتهاد في الوصول لحل ناجع، واتخاذ خطوات عملية بدلاً من التسويف، والحزن على ما فات، والهم لما هو آت فحسب﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾.

١٥٢٩. فيها: جواز اتهام البريء للملابسات الظاهرة، وعدم إدانته حتى تثبت جريمته﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾.

١٥٣٠. فيها: الأمر بالبر بالوالد، وذلك بانتقاء ألطف عبارة، وأرق نداء، وذلك باستدعاء مقام الأبوة﴿فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ﴾.

١٥٣١. فيها: أنّ على ناقل الخبر أن ينقل الصورة كاملة كما وقعت.

١٥٣٢. فيها: أنّ على من يدلي بشهادة أن يكون عالماً بما يقول.

١٥٣٣. فيها: أنّ كل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به، وإن لم يشهده المشهود عليه.

١٥٣٤. فيها: فقه الاعتذار، وحسن التعليل فجاءوا بالحجة، والسبب المانع من استصحاب أخيهم ورجوعه معهم، وأنّ شهادتهم بذلك مبناها على العلم.

١٥٣٥. فيها: الدقّة في الشهادة؛ فلا يتنطع، ولا يزيد فيها، ولا ينقص.

١٥٣٦. فيها: أنّ ما كان خارجاً عن طاقة الإنسان، وقدرته فلا حرج عليه فيه.

١٥٣٧. فيها: أنّه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل.

١٥٣٨. فيها: إشارة تلطف بأبيهم، وذلك بعدم جزمهم بوقوع السرقة من أخيهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾.

١٥٣٩. فيها: احتراس من تحقق كونه سرق﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ﴾.

١٥٤٠. فيها: رد على كذب كل من أدعى الغيب، فالأنبياء لم تظهر لهم الأمور الغائبة فكيف بمن دونهم.

١٥٤١. تفيد: أنّ الأمور تجري وفق إرادة الله، ومشيئته، وقد يبذل المرء جهده للحصول على أمر، فيقدر الله له خلاف ما يرجوه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ يوسف: [٨٢].

١٥٤٢. فيها: الإيجاز بالحذف، جواز حذف ما يعلم؛ لقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، أي: واسأل أهل القرية، وكذا قوله: ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ﴾، أي: وأهل العير.

١٥٤٣. فيها: أنّ القرية هي المدينة في القرآن، بخلاف ما تعارفوا عليه اليوم؛ لقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، أي: أهل مصر؛ ولأنّهم من البدو أصلاً؛ كما قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ يوسف: [١٠٠]، ومن الأدلة على أنّ القرية في القرآن بمعنى "المدينة"، قول الله: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ﴾ يوسف: [٩٢] أم القرى: مكة.

١٥٤٤. فيها: صلاح المجتمعات قديماً، وأنّ الشهادة لا تقوم على باطل، ألم تر أنّهم عندما كانوا كاذبين جاءوا بدم كذب، ولم يطلبوا شاهداً من الناس، ولما صدقوا طلبوا.

١٥٤٥. فيها: أهمية وشأن الرفقة، والصحبة في السفر، وأنّهم شهداء على بعض في أسفارهم؛ لقوله: ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ﴾، أي: أهلها.

١٥٤٦. فيها: أنّ الصادق طلق اللسان، وأقدر على البيان، فالفرق كبير بين قولهم هذا: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ وقولهم السابق ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾.

١٥٤٧. تفيد: أنّ السوابق لها تأثير في سلوك الإنسان، وانطباع الناس حوله لولا كذبهم على أبيهم في يوسف ما احتاجوا إلى كل تلك الأدلة.

١٥٤٨. فيها: يحتاج الكاذب إلى كثير من الأدلة لإثبات صدقه بعد كذبه.

١٥٤٩. تشير وبضميمة ما بعدها إلى: شؤم الكذب، والتحذير منه، وأنّ الكذاب يكون موضع تهمة وإن صدق؛ لقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾؛ لأنّهم كذبوا على أبيهم من قبل.

١٥٥٠. فيها: الكاذب تكن حالته النفسية مضطربة عند الحديث، ولو كان صادقًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف: [٨٣].

١٥٥١. فيها: رد على الجبرية؛ لقوله: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾.

١٥٥٢. تفيد: في قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ﴾ أنّ التقيّ يعرض عن بعض الكلام الذي لا حاجة إلى ذكره، ويكتفي من الكلام بما تمس الحاجة إليه مما لا يتأذى به المخاطب، وهذا من سمو أخلاق الأنبياء، وهو دليل الوقار، والسكينة، ورجاحة العقل.

١٥٥٣. فيها: جواز اتهام من له سابقة عند الاشتباه، وعدم إدانته حتى تثبت جريمته.

١٥٥٤. تفيد: دلالة ظاهرة بأنّ النفس تسوّل، وتزين، وترشد إلى مجاهدتها، وعدم مطاوعتها للشيطان والهوى.

١٥٥٥. فيها: زيادة المحنة والابتلاء على يعقوب عليه الصلاة والسلام، وأنّ ذلك سنة الله في أنبيائه، وأوليائه؛ رفعاً لدرجاتهم، وتكفيرا لسيئاتهم، وليكونوا أسوة لغيرهم.

١٥٥٦. فيها: أنّه لا يوفق للصبر إلا من التجأ إلى الله عز وجل، واستعان به.

١٥٥٧. فيها: أنّ الصبر الجميل لا جزع فيه.

١٥٥٨. تفيد: أنّ التنكير، والتنوين في (صبر) و (جميل) يدل على عظمهما، ففيها الحث على الصبر العظيم عند البلاء.

١٥٥٩. فيها: الاقتداء بالأنبياء فقد، وصلوا للكمال في التسليم، والانقياد.

١٥٦٠. في قوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾قوة الرجاء، وحسن الظن باللطيف المنان.

١٥٦١. تفيد: توسيع المسألة عند سؤال الله تعالى، فإنّ الله واسع الفضل ولا يتعاظمه شيء؛ لقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾، وليس واحداً دون الآخر.

١٥٦٢. فيها: قدرة الله على جمع الناس، مهما باعدت بينهم الدنيا.

١٥٦٣. فيها: أنّ التفاؤل سمة من سمات الخلّص من المؤمنين.

١٥٦٤. فيها: أنّ من أعظم ثمرات التفاؤل حسن الظنّ بالله تعالى، وفي التشاؤم ظن السوء.

١٥٦٥. فيها: دليل لمن يرى أنّ أقل الجمع اثنان، كما هو راي الأمام مالك رحمه الله، كما نسب ذلك له في المراقي في قوله:

أقلّ معنى الجمع في المشتهرِ الاثنان في رأي الإمام الحمْيري.

١٥٦٦. فيها: إشارة إلى تعدد البلاء الذي وقع فيه نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام؛ لقوله: ﴿أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾،يريد: يوسف، وبنيامين، والثالث الذي قال: ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾، ولكل واحد منهما قصة.

١٥٦٧. فيها: متى ما اشتدّ الكرب مع الصبر فالفرج قريب.

١٥٦٨. في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾الرضا بالقدر؛ إذ مبناه على علم الله المحيط بكل شيء، وحكمته البالغة جلّ وعلا.

١٥٦٩. فيها: الطلب باسم الله الأنسب للمقام، فقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين اسم الله ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ؛ للإشارة إلى: أنّ الله يعلم مكان ولده يوسف وحال ولده بنيامين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾يوسف: [٨٤].

١٥٧٠. يفيد قوله تعالى:﴿﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾قاعدة (اعتزل ما يؤذيك).

١٥٧١. فيها: الحثّ على مجانبة ما يجلب لك الحزن، أو يزيده؛ بل الأعراض عما يؤذيك، ولا ينفعك.

١٥٧٢. تفيد: بلاغة النص القرآني، حيث يصور هذا المشهد بأبدع وصف، العطف بالواو، التولي عنهم، القول، التأسف، العمى، شده الحزن، كل ذلك في آية واحدة في مشهد واحد.

١٥٧٣. فيه: أنّ عند المصائب ديدن العارفين من الأنبياء، والمرسلين، والخاص من عباد الله الصالحين اعتزال الخلق واللجوء إلي الحق جلّ وعلا فهو الملاذ والملتجأ.

١٥٧٤. فيها: دلالة على أنّ الكلام إذا لم يكن فيه جزع، وتسخط من قضاء الله، وقدره لا ينافي الصبر الجميل﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

١٥٧٥. فيها: أنّ مد الصوت بالألف المنقلبة عن ياء المتكلم في ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾إشارة إلى أنّ مدّ الصوت بمثل هذه الألف مما فيه تنفيس عن المتألم المتوجع.

١٥٧٦. فيها: إعجاز علمي في وصف العمى بقوله: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾فهو أدّق وصف لما يراه الأعمى، لان الطب يثبت ان الأعمى يرى الدنيا بيضاء، ولو كان ليلاً.

١٥٧٧. فيها: اختصاص يوسف عليه السلام بالمحبة والمكانة تفيد أنّ أمر القلوب بيد الله، وأنّ نبي الله يعقوب لا يملك من ذلك شيئاً.

١٥٧٨. تفيد: أهمية الاسترجاع عن المصيبة، فيعقوب عليه السلام قال يا أسفا على يوسف عليه السلام إذ لم يكن عنده لفظ الاسترجاع عند المصيبة كالذي عندنا.

١٥٧٩. فيها: شدّة الحزن الذي انتاب يعقوب عليه السلام؛ للتعبير عنه بأساليب مختلفة، مع وصفه بأنّه "كظيم" أي: مملوء من الحزن.

١٥٨٠. فيها: أنّ الإفراط في الحزن يؤثر على صحة الإنسان، وسلامته.

١٥٨١. فيها: جواز البكاء والتأسّف عند المصائب، وقد صحّ ((أنّ العين لتدمع))[١].

١٥٨٢. فيها: أنّ كثرة البكاء من الحزن من أسباب فقد البصر، وذهاب بهاء العين.

١٥٨٣. تفيد: أنّ على الأبناء أن يراعوا مشاعر الآباء، فعدم مراعاتهم لحزن أبيهم، كان من أعظم العقوق الذي كان سبباً في فقد يعقوب عليه الصلاة والسلام لعينيه.

---

(١) أخرجه البخاري ٢/٨٣.

١٥٨٤. تفيد أنّ الحزن لا يستلزم الجزع، والتسخّط؛ لأنّ الله لم يلمه على هذا الحزن؛ لأنه لم يقل سوءً ولا بأسا ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

١٥٨٥. تفيد: أنّ الإخبار عن الشيء لا يعني طلب التخلق بمقتضاه، فالحزن مستعاذ منه شرعاً، ووقع الإخبار عنه حالاً.

١٥٨٦. فيها: دلالة على ارتباط الحالة النفسية للإنسان، وتأثيرها على وظائف أعضاء جسمه حيث فقد نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام بصره بسبب شدة حزنه على ابنه ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

١٥٨٧. تفيد: أنّ الأنبياء لا يعلمون الغيب، إلا ما علّمهم الله؛ لأنّ يعقوب عليه الصلاة والسلام لو علم أنّ يوسف وأخاه سالمَيْن مُعافيَيْن لما تأسف ولا حزن.

١٥٨٨. فيها: كتمان الحزن؛ ولما في إظهاره من المفاسد على الغير؛ لقوله: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾، شديد الكتمان لحزنه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يوسف: [٨٥].

١٥٨٩. فيها: إشارة إلى معرفتهم أصول الدين، وأمور العقيدة؛ وأن قِوام التربية على ذلك، فقد بين الكتاب العزيز حرص يعقوب عليه الصلاة والسلام على تعليم أبنائه العقيدة الصحيحة؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ۖ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة: [١٣٣].

١٥٩٠. فيها: استعمال التاء في ﴿تَاللَّهِ﴾، ﴿حَرَضًا﴾ فالتاء من أغرب أخواتها في القسم، وحرضا من أغرب أخواتها في الهلاك، هذا ائتلاف في المعنى وهذا من براعة القرآن.

١٥٩١. تفيد: تأثير الأحوال النفسية (الحزن) على الجوارح الظاهرة: ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾.

١٥٩٢. تفيد: أنّ أباهم كان يذكر يوسف كثيراً؛ لدلالة فعل ﴿تَفْتَأُ﴾ على الاستمرار والتجدد.

١٥٩٣. فيها: أنّ إخوة يوسف كانوا يحسبون أنّ يوسف مات بكيدهم؛ لذا حاولوا تسلية أبيهم، وصرف ذهنه عنه لما ذكره من جديد؛ لكي لا يظل حزيناً طيلة حياته.

١٥٩٤. فيها: حسن الاحتواء لمن فقد عزيزاً له، لإنفاذه من تقدّم حالته النفسية لمرض جسدي يهلكه.

١٥٩٥. فيها: أنّ تذكر المصائب المؤلمة، والأحداث المفجعة، والأيام العصيبة تعرض المرء للأكدار، والأمراض والحتف والهلاك.

١٥٩٦. فيها: إشارة لطيفة إلى تحريم قتل المرء نفسه، أو التسبب في الأضرار بها.

١٥٩٧. فيها: إشارة إلى أنّ تألّم القلب يؤدي إلى تألّم سائر البدن، وتأزم حالته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يوسف: [٨٦].

١٥٩٨. تفيد: أنّ الشكوى إلى الله تعالى لا تنافي الصبر، وإنّما ينافيه الشكوى إلى المخلوقين.

١٥٩٩. فيها: الشكاية لله أكمل شكاية، فلا ذلّة تعقبها، ولا هوان يلحقها.

١٦٠٠. فيها: من حكمة الله، وتربيته لخاصة عباده ابتلائهم ببلاء لا يبث، ولا يشكي إلا له، ولا يكشفه إلا هو، ليكن العبد كثير الانكسار ذليل بين يديه لا يفتر عن قرع باب رحمته.

١٦٠١. فيها: التوجيه إلى ملازمة الشكوى إلى الله عز وجل، وتفويض الأمور إليه دائماً؛ دلّ على ذلك الفعل المضارع في قوله: ﴿أَشۡكُواْ﴾ الذي يفيد الدوام والاستمرار.

١٦٠٢. فيها: أنّ الله عز وجل هو الجدير برفع الحزن، والهم، وكشف الضر، والبلوى.

١٦٠٣. في لفظة (البث) دلالة على شدة المحنة، وقوة الحزن، وطول الابتلاء.

١٦٠٤. تهدي إلى: أنّ ضعف الجبلة في بعض المواقف الصعبة لا ينافي الإيمان، لأنّه إنّما شكي بثه وحزنه إلى الله.

١٦٠٥. فيها: قوّة ثقة يعقوب بربه سبحانه، وتعالى في أنّه سيرد عليه يوسف عليه السلام، وتقرّ عينه به.

١٦٠٦. فيها: تعلّق قلب يعقوب بربه سبحانه وتعالى، وأنّه القادر على كل شيء ولا يعجزه شيء.

١٦٠٧. تفيد: قيام الدعاة، والعلماء ورثة الأنبياء بمهمتهم حتى مع أوضاعهم الشخصية القاسية، وظروفهم النفسية الصعبة.

١٦٠٨. فيها: عند قوله سبحانه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تنبيه إلى قصور عقولهم عن إدراك المقاصد العالية؛ ليعلموا أنّهم دون مرتبة أن يعلّموه، أو يلوموه"(١).

١٦٠٩. فيها: أنّ الأنبياء، والمرسلين أعلم الناس بربهم، ولا ينازعهم أحد ذلك.

١٦١٠. فيها: إيجاد العذر لعوام الناس، وذلك لغلبة جهلهم، والعالم الحق من لا ينتصر لنفسه، ويصبر على أذى العامة؛ لأنه يعلم من الله ما يعلمون.

١٦١١. فيها: أنّه مهما اشتدت الأمور، وادلهمت الخطوب فعلى المسلم ألا ييأس من روح الله، ولا يقنط من رحمة الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يوسف: [٨٧].

١٦١٢. فيها: بيان عظيم شفقة الوالدين، وإن وجدا منهم العقوق، والعصيان؛ بدلالة النداء ب ﴿يَٰبَنِيَّ﴾ وهو أسلوب شفقة، وحنو، وتلطّف.

١٦١٣. فيها أنّ التلطف، والتحنن إلى الأولاد، وغض الطرف عن الهفوات، والزلات من أسباب قبول النصح، والتوجيه.

١٦١٤. فيها: حسن خلق الأب، وما ينبغي أن يكون عليه من عدم الفحش، واللوم، والعتاب والتوبيخ؛ لقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾؛ فلم يوبّخهم، ويذكرهم بالماضي، وأنّهم سبب هذا البلاء، والفقدان.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/٤٥.

١٦١٥. تفيد: توفيق الله لمن حسنت نيّته وعزم على فعل الخير، وقد ظهر ذلك بعد استجابتهم لقول يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، فيسّر الله لهم أمورهم وزادهم من فضله.

١٦١٦. فيها: إشارة إلى فائدة العمل الجماعي، لا سيّما في المهام الصعبة؛ لقوله: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟﴾فأرسلهم كفريق، وعمل الفريق أعظم أثراً وأكثر فائدة.

١٦١٧. فيها: إشارة إلى الاجتهاد في أداء المهام، وبذل الوسع؛ لقوله: ﴿فَتَحَسَّسُوا۟﴾والتحسس هو طلب الشيء بطريق الحواس بدقة، وحكمة، وصبر على البحث.

١٦١٨. تفيد: أنّ على العالم المربي أن يوجه، ويربي المتعلم، والمتربي على علو الهمة، وعدم الاقتصار على هدف واحد في مسيرته، ويحرص على البدء بالأهم فالمهم، وبذل الجهد والطاقة في تجميع ما تشتّت وتنقيح ما تجمّع؛ واستسهال ما تصعّب؛ لقول يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾.

١٦١٩. فيها: إشارة إلى خلق التغافل عن الزلات، فلم يشغل يعقوب عليه الصلاة والسلام أولاده بالكلام على إبطال قصة الذئب ويوسف وأنّ ابنه ما زال حياً، وكذلك كيف استُرِق بنيامين بتهمة السرقة؛ بل صبر واحتسب وراعى مع أولاده حسن التوجيه، واستعمال الألفاظ التي تبعث الأمل، وتشحذ العزيمة وتقوي الإيمان في القلب.

١٦٢٠. فيه: عدم إغلاق أبواب التفاهم في المواضيع المؤلمة.

١٦٢١. فيها: إشارة إلى يقين يعقوب عليه الصلاة والسلام التام بوجود يوسف عليه الصلاة والسلام، وأنّه ما زال على قيد الحياة؛ لما أوتي من علم الوحي ونور البصيرة.

١٦٢٢. تفيد: أهمية المساندة الاجتماعية ويتضح ذلك من نداء يعقوب عليه الصلاة والسلام لبنيه ﴿يَٰبَنِىَّ﴾، مما يدل على حاجة الشخص الذي يواجه موقفاً عصيباً إلى حسن الكلام والتلطف التام لأجل عبور المواقف المزعجة.

١٦٢٣. فيها: استخدام الطرق المتنوعة لحل المشكلات، ويتضح ذلك من توجيه يعقوب لأبنائه بقوله: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، ولفظ اذهبوا يدل على الفاعلية، والتحرك في اتجاهات مختلفة ووضع الفرضيات المتنوعة، ولفظة فتحسسوا تشير إلى الدقة في الملاحظة واستخدام الحواس، والأدوات الدقيقة ذات الحساسية العالية، والاستجابة السريعة لكل ما يتعلق باختبار الفرضيات التي تمّ وضعها لحل المشكلة التي سببت الموقف الضاغط. وذلك كله يكون موجهاً نحو الموضوع الرئيس والهدف المحدد للبحث.

١٦٢٤. تفيد: الاستفادة من جميع الأبناء والعاملين، فيعقوب عليه الصلاة والسلام لم يتخذ قراراً باستبعاد إخوة يوسف –وهم سبب المشكلات– بل أشركهم في الحلول وهو يعلم ما اقترفوه تجاه يوسف، وهذا فيه دلالة واضحة لبيت الأمّة المسلمة أن تستفيد من كل أفراده على ما فيهم من قصور ما دام يستطيعون المشاركة في الحلول والدفاع عن بيضة الدين، ولا نستبعد المذنبين، والمخطئين، ونحن في مواجهة أعداء الدين.

١٦٢٥. فيها: كلما اشتدّ الكرب اقترب الفرح.

١٦٢٦. تفيد: أنّ الجاهل بربه يحسن التركيز على المشكلة وسلبياتها، والعارف بربه يحسن التركيز على الحلول وإيجابياتها.

١٦٢٧. فيها: أنّ حسن الرجاء يدعو العبد للسعي، والاجتهاد لبلوغ مراده، وتحقيق رضى مولاه؛ بخلاف اليأس فإنّه يوجب الاحباط، وسوء الظن بالعليم الحكيم.

١٦٢٨. فيها: أنّ اليأس من روح الله من كبائر الذنوب؛ لقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

١٦٢٩. تفيد: أنّ انتزاع اليأس من القلب من مقاصد القرآن الكبرى.

١٦٣٠. فيها: أنّ اليأس من سوء الأدب مع الله، والجهل بأسمائه، وكمال صفاته.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يوسف: [٨٨].

١٦٣١. أفاد التعقيب بالفاء سرعة رجوعهم، ودخولهم إليه عليه الصلاة والسلام.

١٦٣٢. فيها: جواز نسبة القول، أو الفعل إلى الجميع إذا وافقوا عليه، كما قال تعالى: (فعقروا الناقة).

١٦٣٣. فيها: منزلة التواضع وجميل الصفح، حيث تواضع نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام ومكّنهم من الدخول عليه، ولم يحجبهم، وهو عزيز مصر، ويعلم ما صنعوا به.

١٦٣٤. فيها: (يا أيها العزيز) الترغيب في إنزال الناس منازلهم.

١٦٣٥. فيها: تخيّر نوع الخطاب، والمنطق الحسن مع كل صاحب مقام بما يناسبه من الحكمة وحُسن الأدب.

١٦٣٦. فيها: جواز شكوى الحاجة لمن يرجى منه إزالتها.

١٦٣٧. فيها: أنّ الشكوى إذا لم يكن فيها تسخط وتضجر لا تقدح في التوكل.

١٦٣٨. فيها: أنّ بيان الحال عند الحاجة ليس بمذموم.

١٦٣٩. فيها: الإرشاد إلى أدب جليل وهو تقديم الوسائل أمام ذكر الحاجات، والمآرب؛ لأنّه أنجع لها، كالثناء أولاً على المسؤول؛ لقولهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ أي العزيز في ملكه ومكانته، ثانياً: ذكر ضيق الحال، وقلة ذات اليد؛ لقولهم ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾.

١٦٤٠. تفيد: أنّ البلاء لا يخلو منه حتى الأنبياء، بل "إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم"[(١)]؛ فهذا نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام ابتلي

(١) قال الشيخ الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : ٩٩٣ في صحيح الجامع

ابتلاءات عديدة، ومنها ما حكاه بنوه عن أهلهم (ومنهم أبوهم) في هذه الآية من مس الضر لهم بسبب القحط، والجدب، وقلة القوت.

١٦٤١. منها: من البر كفاية الابن والده عندما يرق عظمه.

١٦٤٢. فيها: جمال الصدق، فإنّهم قد اعترفوا برداءة بضاعتهم، وطلبهم بإيفاء الكيل لهم.

١٦٤٣. فيها: وجوب بيان عيب السلعة، وعدم كتمانه.

١٦٤٤. فيها: أنّ الأيام دول، والعاقبة للمتقين الصابرين، والنصر للمظلومين ولو بعد حين، فها هم إخوة يوسف يأتون إليه مستكينين متذللين، يسألونه أن يوفي لهم الكيل، ولو كانت بضاعتهم مزجاة، وأن يتصدق عليهم بعد ما أذلوه وآذوه هو وأخاه.

١٦٤٥. فيها: أنّ الكبار يتخلقوا بالأخلاق الفاضلة مما يجعل الناس تميل إليهم في قضاء الحاجات، وحلّ المشكلات.

١٦٤٦. فيها: الحث على إيفاء الكيل، والميزان، وعدم بخسها لقوله (فأوفّ لنا الكيل).

١٦٤٧. في الآية كمال إيمانهم بالحساب، والجزاء لقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾.

١٦٤٨. فيها: الترغيب في الصدقة ببيان مجازاة الله تعالى للمتصدقين، وإثابته لهم؛ لقوله تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾أي: يجزيهم أضعاف ما قدموه.

١٦٤٩. فيها: ربط الأعمال بثواب الآخرة أسلوب حثّ على المسارعة.

١٦٥٠. فيها: التنبيه إلى آثار الإيمان باليوم الآخر على العباد، ومنها في هذه الآية مراقبه الله، والاجتهاد في مرضاه الله، والبذل، والانفاق وصدق التهيؤ للقاء الله.

١٦٥١. فيها: أن الجزاء من جنس العمل وأن كما تدين تدان وبالكيل الذي تكيل تْكتال.

١٦٥٢. فيها: أنّ سلطة الحاكم وولي الأمر في أمر السياسات العامة للدولة كالسياسات المالية والاقتصادية وغيرها إنّما هي اجتهادية تقديرية واسعة وفق المبادئ العامة والقواعد الكلية والأصول المرعية لا تحد بحدود توقيفية تفصيلية.

١٦٥٣. فيها: توجيه الدعاة، والمصلحين، وبطانة الخير إلي أدب تذكير ولاة الأمر بالله، ومخافته ورجاء ثوابه في أمر رعاية الأمّة والقيام بواجباتهم وأنّ الولاية أمانة ومسئولية عظيمة أمام الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾.

١٦٥٤. تفيد: أثر الخطاب الإيماني في قضاء الحاجات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ يوسف: [٨٩].

١٦٥٥. تفيد: أصل في أدب العتاب.

١٦٥٦. فيها: جمال التأني وعدم العجلة، فلم يستعجل يوسف عليه الصلاة والسلام لومهم وتوبيخهم على الرغم من معرفته لهم من أوّل مرة، إلا أنّه انتظر الوقت المناسب ليبين لهم خطأهم الوقت الأنسب.

١٦٥٧. فيها: من الحكمة الصبر في تحري الوقت المناسب للعتاب.

١٦٥٨. فيها: أنّ من التربية، والتعليم إعطاء الفرصة للمخطئ، والمقصر والمجرَم الوصول الى خطئه بنفسه حتى تحسن توبته.

١٦٥٩. فيها: عتاب المؤمن لأخيه لا يكن تشفي بل تلطّف، ونصح.

١٦٦٠. فيها: جمال العتاب حيث ناداهم باسم الأخوة في عتاب لطيف على أعمالهم المشينة ﴿مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ وأنّ اجتماع الخطأ في حق الاثنين أشنع ما لو كان مع الواحد، وتزيد شناعته في القرابة، وتعظم في الأخوة ﴿بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

١٦٦١. فيها: تواضعه الظاهر من الإشارة لنفسه باسمه المجرد ﴿بِيُوسُفَ﴾.

١٦٦٢. تفيد: أهمية الحكمة، واستخدام الأسلوب الأمثل في التوجيه، والتذكير بالخطأ.

١٦٦٣. فيها: العفو عند المقدرة خُلق الكرام، ودعوة للتوبة النصوح.

١٦٦٤. فيها: ضبط النفس، والتدرج في إنكار المنكر.

١٦٦٥. فيها: أنّ الكريم لا يسترسل بالعتاب ﴿عَلِمۡتُم﴾ بل يلتمس لهم العذر ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾.

١٦٦٦. فيها: بيان ما كان عليه يوسف عليه الصلاة والسلام من حسن الخطاب، وجميل الفعال وكريم الخصال، حيث تلطّف بهم بقوله ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾.

١٦٦٧. تفيد: أن الجهل صفة ذميمة تحمل صاحبها على ارتكاب ما لا ينبغي؛ فهؤلاء إخوة يوسف حملهم جهلهم على إبعاد أخيهم عن أبيه، وتدبير تلك الحيل من أجل ذلك.

١٦٦٨. تفيد: أنّ الجاهل لابد أن يُذكَّر، ويُنبَّه ويُعلَّم بأفضل الوسائل، وأقوم السبل.

١٦٦٩. تفيد: عظيم فضل الله على إخوة يوسف عليه السلام حيث هيأ لهم من يأخذ بأيديهم بالتي هي أحسن وأقوم نحو طريق الاعتراف بالخطأ، والتوبة، والاستغفار.

١٦٧٠. تفيد: أنّ المعصية جهالة؛ لقوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾.

١٦٧١. تفيد: التنفير من الجهل، وبيان خطورته، والترغيب في العلم، وبيان عظيم نفعه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يوسف: [٩٠].

١٦٧٢. العظماء لا تهمهم الألقاب فقال أنا يوسف، ولو قال (النبي – العزيز..) لصدق.. فلا شيء يرفع العبد بعد الإيمان كالتواضع.

قال البارودي:

منعتك ألقاب العلا فادعني باسمي فما تخفض الألقاب حرا ولا تسمي

١٦٧٣. في قوله: ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ﴾ الكرام يُعرِّفُون بمن حولهم من الكرام، وإن لم يطلب منهم ذلك.

١٦٧٤. فيها: إشراك الفضلاء غيرهم في الفضل، ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ هكذا النفوس الكبيرة.

١٦٧٥. تفيد: أنّ الملك والسعة، محض منّة من الله؛ وتصديقه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ القصص: [٥].

١٦٧٦. فيها: أنّ التحدث بنعمة الله على العبد ليس فيها محذور شرعي.

١٦٧٧. تفيد: أنّ الأصفياء ينسبون كل نعمة للمنعم الحقيقي، ويدركون فضله الواسع عليهم، ولا ينظرون لما أصابهم من مكدرات الحياة فقد أطلقوا المنّة ولم يذكر غيرها.

١٦٧٨. تفيد: الجمع بين فضيلتين عظيمتين، وهما: التقوى، والصبر، فهما من أعظم النعم، وأجلّ المنن التي يمتن الله سبحانه بها على من يشاء من عباده.

١٦٧٩. فيها: سعة قلب المؤمن على الناس، والصبر على أذاهم واحتساب ذلك على الله.

١٦٨٠. فيها: أنّ الإحسان عمل، فقد صَبَرَ يوسف على أذى إخوته في صغره وضعفه، واتق الله فيهم عند قوته وقدرته.

١٦٨١. تفيد: أنّ من أعظم منازل الإحسان التقوى، والصبر.

١٦٨٢. فيها: الحث على ملازمة التقوى، والصبر؛ دل على ذلك الأفعال المضارعة؛ ﴿يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾.

١٦٨٣. تفيد: أنّ الكريم قليل العتاب، واسع العفو، يعرف أين يجد ثواب عمله، وصبره.

١٦٨٤. تشير إلى: غزارة معنى "التقوى"؛ إذ الصبر، والإحسان داخل في معناها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ يوسف: [٩١].

١٦٨٥. تفيد: أنّ الحليم يعرف متى يتكلم، وكيف يتكلم؛ ولذا عندما واجههم بما سبق لم يكن أمامهم إلا الاعتراف والرجوع.

١٦٨٦. تفيد: عاقبة الظلم الذلّ، والانكسار، وعاقبة الحلم، والصبر الرفعة، والإعزاز.

١٦٨٧. فيها: أنّ الحلف إنّما يكون بالله.

١٦٨٨. فيها: أنّ التاء من حروف القسم.

١٦٨٩. تفيد: فضيلة التوحيد والإيمان، فإنّ إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام أذعنوا لقدرة الله تعالى على إيثار من شاء من خلقه، ودون الاعتراض على قضائه، وقدره، ولما كان الله تعالى حاضراً في وجدانهم وعباراتهم وألسنتهم؛ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾، وهنا يظهر الفرق بين

عبارات من تربى على التوحيد، وبين عبارة الكفار للنّبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم (أخ كريم وابن أخ كريم).

١٦٩٠. فيها: إشارة إلى أنّ الناس ينظرون للناجح أين وصل، ولا يبالون بكثير العقبات التي مرّت به؛ وذلك من قولهم ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾.

١٦٩١. يفيد: قولهم ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾أنّهم لم يكونوا أنبياء، كما احتج بذلك بعض العلماء.

١٦٩٢. تفيد: أنّ التفاضل بالأعمال الصالحات لا بالأحساب، وأنّ الذنوب سبب لتأخّر المرء عن الدرجات، والمكرمات؛ ولو كان ذا حسب، ونسب.

١٦٩٣. فيها: إنزال الناس منازلهم.

١٦٩٤. فيها: أنّ من أحبّه الله تعالى، وآثره على غيره لن يستطيع أحد أن يذله، أو يخفضه، وإن تخلل ذلك ابتلاء وامتحان له.

١٦٩٥. فيها: فضل الاعتراف بالخطيئة، وطلب العفو عمن أُسيء إليه.

١٦٩٦. تفيد: أنّ من آداب الاعتذار أن لا يفصّل المخطئ في الخطأ.

١٦٩٧. فيها أنّ تعمّد الذنب يسمى خطيئة.

١٦٩٨. تفيد: أنّه قد يطول الزمان بين الذنب والاعتذار، وفي هذا درس لأن نصبر على أحبابنا، وإن جفوا، وتأخّروا في اعتذارهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يوسف: [٩٢].

١٦٩٩. فيها: أنّ الذنوب، والعيوب يعرض عنها إجمالا ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾وأنّ الفضائل والكمالات تذكر تفصيلاً ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

١٧٠٠. فيها: العفو عند المقدرة؛ لا سيّما للمقر بذنبه، والتائب من خطيئته.

١٧٠١. فيها: كرم يوسف عليه الصلاة والسلام، ونبل خلقه، فلم يثرِّب على إخوته، ولم يعاتبهم، فعفا عنهم، وسأل الله لهم المغفرة.

١٧٠٢. فيها: فضيلة التجاوز عمن أساء، ومقابلته بالإحسان؛ لما فيه من أثر عظيم على المحسن، والمحسَن إليه.

١٧٠٣. فيها: عظمة العلم والفقه في القضايا التي يتسامح فيها؛ فيوسف عليه الصلاة والسلام لم يثرّب على إخوته، ولم يطالبهم برد اعتبار، كتمسكه بملاحقة امرأة العزيز والنسوة في خطئهم، لأنّ قضيته مع إخوته في شخصه أما مع ذينك فكانت في عرضه ودينه.

١٧٠٤. تفيد: عدم تذكير التائب بسالف ذنوبه، وماضي خطاياه.

١٧٠٥. فيها: من علامات الصفح الجميل: ترك العتاب؛ فضلا عن المؤاخذة بالجريرة.

١٧٠٦. فيها: أنّ الداعية الموفق يفتح باب الرجاء في الله للعصاة ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾.

١٧٠٧. في الآية حث على سلامة الصدر؛ لأنّ الذي حصل ليوسف عليه الصلاة والسلام من إخوته شيء عظيم، ومع ذلك عفا عنهم ولم يثرّب عليهم، وزاد على ذلك الدعاء لهم بالمغفرة، وهذا كما قال الشيخ السعدي: " نهاية الإحسان الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين"(١).

١٧٠٨. فيها: أنّ صنيع يوسف عليه الصلاة والسلام مع إخوته هو غاية الإحسان حيث عفا عنهم ثم دعا لهم.

١٧٠٩. فيها: إثبات صفة الرحمة الواسعة لله تعالى التي فاقت كلّ رحمة.

١٧١٠. فيها تعريف العباد بأوصاف ربّ العباد ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ليسيروا إليه بجناحي الخوف والرجاء، الخوف من عاقبة الذنوب بطلب المغفرة، والرجاء للرحمة.

١٧١١. تفيد: أنّ مغفرة الله لعبده، صورة من صور رحمة الله.

---

(١) تفسير السعدي ١/٤٠٤.

١٧١٢. فيها: أنّ الداعية القائد يكون يقظاً حذراً لكل ما من شأنه أن يعوق أهدافه الكبرى.

١٧١٣. تفيد: جمال التسامح، وغض الطرف عن الأخطاء؛ من أجل اجتماع الكلمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ يوسف: [٩٤].

١٧١٤. فيها: لبس "القميص"، وأنّه ثياب الأنبياء.

١٧١٥. فيها: أنّه كما يكون علاج الأمراض بأدوية حسية كذلك يكون بأسباب ربانية.

١٧١٦. فيها: أن الله قادر أن يشفي بدون سبب لكن حكمته بالغة في جعل الأمور تجري بأسباب، فقد تهتدي لها العقول، وقد لا تهتدي لها.

١٧١٧. فيها: اجتماع البشارة، والشفاء بالقميص بإرادة الله.

١٧١٨. ثقة يوسف عليه الصلاة والسلام بربه ﴿يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾.

١٧١٩. تفيد: أهمية البر، فقد جعل النبي الكريم البار أوّل همه واهتماماته والده.

١٧٢٠. فيها: دلالة على معجزات الأنبياء، فنبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام أخبر إخوته بعلمه بفقد والده بصره، وبشرهم بعودة بصره، وهداهم لطريقة العلاج.

١٧٢١. فيها: جواز إظهار نعمة الله على العبد، فبعد أن قابل سوء صنيعهم، وشناعة جرمهم، بكريم عفوه، وجميل لفظه، وأبدى لهم تواضعه مع ما له من علو المنزلة عند أهل الدنيا، أظهر لهم منزلته عند خالقه، بما حباه من التأييد والإكرام.

١٧٢٢. تفيد: أنّ العاقبة للمتقين، فقد استجاب إخوته له، وأذعنوا لأمره، بعد إبعاده وطرحه، ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي﴾.

١٧٢٣. تفيد: أنّ بذل الأسباب نهج الأنبياء، ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا﴾.

١٧٢٤. فيها: أنّ الفعل قد يسند إلى الجماعة، والفاعل الحقيقي واحد فقوله ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي﴾.

١٧٢٥. فيها: أنّ على أولياء الأمور التوضيح لما قد يشكل على الناس فهمه وتميزه؛ لأن يوسف عليه السلام لم يكتف بذكر القميص بل زاد الأمر بيانا حين أشار إليه في قوله ﴿هَذَا﴾ حتى لا يكون هناك احتمالات وشك.

١٧٢٦. فيها: المناولة، والدقة، والتحري، والتأكيد على المستلم، وتنبيهه، حتى لا يتناول غير المتفق عليه، لقوله: ﴿بِقَمِيصِي هَذَا﴾.

١٧٢٧. فيها: من طرائق التربية النافعة إظهار البر للإخوة.

١٧٢٨. يفيد: قوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ أنّ كلّ داء يداوى بضده، فهذا القميص -لما كان فيه أثر ريح يوسف، الذي أودع قلب أبيه من الحزن، والشوق ما الله به عليم- أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، وتتراجع إليه نفسه، ويرجع إليه بصره، ولله في ذلك حكم وأسرار، لا يطلع عليها العباد، وقد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر"[(١)].

١٧٢٩. فيها: القميص ألصق الثياب بالجسم، فإظهار الكرامة به أدلّ على كمال دين صاحبه، وعراقته في أمور الإيمان، وهو يؤول في المنام بالدين"[(٢)].

١٧٣٠. في الآية ما يفيد أهمية البحث عن العلاج حتى بعد فقدان البصر كلياً.

١٧٣١. فيها: احترام الآباء، وعدم مناداتهم بأسمائهم المجرة في قوله ﴿وَجْهِ أَبِي﴾ ولم يقل على وجه يعقوب.

١٧٣٢. في قوله ﴿فَأَلْقُوهُ﴾ يظهر أثر المفاجأة، والفرح في العلاج النفسي والحسي.

١٧٣٣. في قوله ﴿فَأَلْقُوهُ﴾ ولم يقل فضعوه، أو أعطوه فيه العلاج بالصدمة، والمفاجئة.

١٧٣٤. فيها: أنّ الابن البعيد ينبغي أن يسعى لإدخال السرور، والطمأنينة على والديه ليعوضهم عن بعده.

---

(١) تفسير السعدي ١/٤٠٥.

(٢) البقاعي ١٠/٢١٢.

١٧٣٥. في قوله: ﴿يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ ولم يقل إن شاء الله دليل على أنّه من وحي الله له.

١٧٣٦. فيها: أنّ يعقوب ارتد إليه بصره كاملاً وهو معجزة ليوسف، ويعقوب عليهما السلام.

١٧٣٧. فيها: تعليم الناس بالبدء بأهم الأمور قبل المهم منها، وذلك لأنّ يوسف سعى في علاج الأب قبل طلب الإتيان بالأهل.

١٧٣٨. فيها: دليل على بركة ملابس الأنبياء دون غيرهم لذلك لم يأمرهم بإلقاء قمصهم إنما بقميصه هو.

١٧٣٩. فيها: أنّ الأعمال بمقاصدها فإلقاء القميص في وجه الوالد يمكن أن يكون عقوقاً ويمكن أن يكون براً، والفارق النية والمقصد.

١٧٤٠. فيها: أثر السعادة على الجوارح؛ كما سبق بيان أثر الحزن عليها، في قوله: ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾.

١٧٤١. فيه نعمة الشم، وأثرها في سعادة الإنسان، وراحته النفسية.

١٧٤٢. تفيد: أنّ الأشخاص الذي يعانون من مشاكل صحية، أو إعاقات جسدية في بعض حواسهم يعوضهم الله تعالى بقدرات خارقة في بعض الحواس الأخرى من أجسادهم؛ فيعقوب عليه الصلاة والسلام فقد حاسة البصر فعوّضه الله تعالى بحاسة شمّ قويّة.

١٧٤٣. فيها: أثر رائحة من نحب في انشراح الصدر، وذهاب العلل وهذا ظاهر مشاهد في القوانين الطبية.

١٧٤٤. فيها: أنّ وصول تلك الرائحة إلى يعقوب عليه السلام من هذه المسافة البعيدة أمر مناقض للعادة فكان ذلك معجزة"[١].

(١) تفسير ابن عادل ٣٠٢٨/١.

١٧٤٥. فيها: جمال البرّ والصلة، فقد ظهر كرم يوسف عليه الصلاة والسلام وحبه لأهله جميعهم وطهارة قلبه لهم﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾وهكذا شأن الأنبياء عليهم السلام ومن تبعهم بإحسان.

١٧٤٦. فيها: أنّ لفظ "الأهل"، يشمل أعمّ من إطلاقه على "الزوجة"، وقول عائشة رضي الله عنها: كان يكون في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"(١).

١٧٤٧. فيها: أنّ قرة عين الأنسان باجتماعه بأهله أجمعين.

١٧٤٨. فيها: مشروعية السعي للمّ شمل الأسرة واجتماعها.

١٧٤٩. تفيد سعة كرم الأنبياء، فإن الكرام إذا أعطوا توسعوا﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١٧٥٠. فيها: تواضع الأنبياء والمرسلين، ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾.

١٧٥١. تفيد: أنّ كثيراً من العلوم، والمعارف قد يخسرها المرء ولا يطلع عليها، بسبب تقليله من شأن الأنبياء، والعلماء، بسبب تفنيد آرائهم، ومقولاتهم وعدم احترامها وتقديرها؛ لقول يعقوب عليه الصلاة والسلام لأبنائه: ﴿لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾وعليه؛ فإن على العوام، وطلبة العلم خصوصاً الانتباه لهذه القضية حتى لا يحرموا كثيراً من العلوم، والمعارف بسبب تجرؤهم، وتهورهم في رد، وتفنيد آراء العلماء الربانيين وعدم الاعتبار بها أو التقليل من شانها.

١٧٥٢. تفيد: أنّه لا يمل المؤمن من انتظار كرم ربه لايزال يحسن الظن بربه رغم قحط ما حوله.

١٧٥٣. فيها: أنّ الكبير أصقلته التجارب فلا بد من الانتباه لما يقول، ومحاولة تفسير كلامه، وعدم إهماله.

١٧٥٤. فيها: ضرورة احترام الكبير، ورجاحة رأيه.

١٧٥٥. فيها: من أدب الاستماع عدم تسفيه من يتكلم، ولو كان ظاهر كلامه غرابة واستبعاد.

---

(١) أخرجه البخاري ١/١٣٦.

١٧٥٦. تفيد: أنّ من صور الابتلاء للمتفائل، وجود من يكسر أجنحة أمله فالواثق بربه لايزال يجد ريح الفرج حتى يناله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ يوسف: [٩٥].

١٧٥٧. من يتربى على العقيدة الصحيحة لا يحلف إلا بالله، وإن كان كاذباً، عاصياً.

١٧٥٨. فيها: إشارة إلى وجود المخذلين، والمقنطين من رحمة الله إما مكذبين، أو ساخرين.

١٧٥٩. فيها: إطلاق الضلال على الخطأ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لفي خطئك"(١).

١٧٦٠. تفيد: شدة ثقة يعقوب بربه جلّ جلاله، فهو لم يشك أنّ يوسف سيرجع إليه.

١٧٦١. فيها: سعة دلالات الألفاظ العربية عموماً، والقرآن خصوصاً وأنّ المقتصر على وجه أو وجهين من دلالاتها قد يقع في أخطاء تأويلية كبيرة.

١٧٦٢. ومنها: الحرص على حسن الأدب مع الوالدين لاسيما عند تقدّم العمر.

١٧٦٣. في عدم رد يعقوب عليه الصلاة والسلام عليهم استحباب الأعراض عن الجاهلين.

١٧٦٤. فيها: بيان ما كان يتحلى به يعقوب عليه الصلاة والسلام من عظيم الحلم، وكريم الصفح فلم يرد عليهم، ولم يسمعهم ما يكرهون.

١٧٦٥. تفيد: الطريقة المثلى في التعامل مع جفاء، وغلظة الأبناء، وهو الإعراض عنهم، وعدم الرد عليهم.

١٧٦٦. تفيد: بإشارة لطيفة إلى المحافظة على السيرة الزكية، وأن لا يشوبها ما يعكرها، لقولهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾.

١٧٦٧. قولهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ لا ينبغي لمن حدث بغريب أن يغضب إذا كذب، أو شتم"(٢).

---

(١) المحرر الوجيز ٩/٢٨٦.

(٢) منقول من تفسير الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ يوسف: [٩٦].

١٧٦٨. فيها: استحباب التبشير، وإدخال السرور.

١٧٦٩. فيها: أنّ زيادة المبنى زيادة في المعنى، فإنّ "إن" ساكنة النون هنا تفيد التوكيد كشأن سائر الزوائد.

١٧٧٠. فيها عدم التنازع بين الأخوة إذ إنّ الحامل للقميص، واحد مع أنّه قميص الفرَج وردّ الحياة ليعقوب عليه الصلاة والسلام، ومع ذا كانت السماحة حاضرة بين الأخوة.

١٧٧١. البشارة تعزز في النفس الإيجابية، محفزة، فتسهم في العلاج النفسي.

١٧٧٢. في الآية إشارة إلى أثر الرائحة الطيبة على الروح، والنفس، ولا شك أنّ الأنبياء أطيب الناس ريحاً. قال ابن القيم رحمه الله: " لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح مطية القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية، ويفرح القلب، ويسر النفس، ويبسط الروح، وهو أصدق شيء للروح وأشده ملاءمة لها، وبينه وبين الروح الطيبة نسبة قريبة؛ كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين صلوات الله عليه وسلامه. "(١).

١٧٧٣. تفيد: أنّ الحزن وهو -غير محسوس- كان سبباً في بياض عينيه فكذلك الفرح والسرور بوجود يوسف وقرب لقائه كان سبباً لرجوع بصره، فالبشير بشر بوجوده، وعلامة صدق البشير القميص الذي أكّد وجوده، وليس في القميص إلا ريح يوسف.

١٧٧٤. فيها: المبادرة بإبلاغ الخبر المسرّ بقصد إدخال السرور.

١٧٧٥. في ارتداد بصره إليه بعد ذهابه دليل على خوارق العادات، ودلائل النبوات.

١٧٧٦. فيها: المبادرة في معالجة المرضى قدر الإمكان ﴿فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾.

١٧٧٧. فيها: ظهور اتخاذ المؤمن للأسباب.

---

(١) زاد المعاد ٤/ ٢٥٦.

١٧٧٨. فيها: أنّ الله جعل لكل داء دواء.

١٧٧٩. تفيد: جواز إظهار الفرح بعد زوال الكُرَب، والاتراح.

١٧٨٠. عدم السكوت، والانتصار للحق إذا حانت الفرصة فيجب اقتناصها.

١٧٨١. فيها: عدم التشنيع على الجاهل إذا كان الأمر خفياً، فيعقوب عليه الصلاة والسلام كان مستيقناً من قرب فرج الله، وهو ما كان مستبعداً لدى أبناءه.

١٧٨٢. في قوله: ﴿أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾نسبة العلم إلى الله عز وجل. ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾.

١٧٨٣. تفيد: عظمة الإيمان في القلب، فقد فَقَدَ ولده، وبصره، ولكنّه لم يفقد الثقة بالله، والصبر على البلاء فكافأه الله برد، ولده، وبصره.

١٧٨٤. فيها: أنّ العالم بالله حقًا لا يمل ترقّب لطف الله.

١٧٨٥. فيها: أنّ المؤمن لا ييأس من رحمة الله، ولا يقنط، وإن تأخّر العطاء.

١٧٨٦. فيها: تربية للدعاة، والمربين على السكوت، وغض الطرف عن بعض الأمور حتى وقت الحاجة، أو الضرورة إن وجدت المصلحة في ذلك.

١٧٨٧. تفيد: أنّ الأنبياء أعلم الخلق بالله عزّ وجلّ.

١٧٨٨. فيها: مجيء الاستفهام للتذكير، أي تذكير يعقوب أبناءه بما كان قد قاله لهم من قبل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾يوسف: [٩٧-٩٨].

١٧٨٩. تفيد: مشروعية طلب الاستغفار من أهل الفضل، والصلاح وممن يرجى فيهم الخير والقرب من الله تعالى.

١٧٩٠. فيها: توقير الوالد؛ دلّ على ذلك النداء مع قربه منهم.

١٧٩١. فيها: أهمية الاعتراف بالذنب، وطلب العفو، والمغفرة من الله عز وجل، فطلب المغفرة، والاعتراف بالذنب، والتأكيد على خطئهم نابع من قوة ندمهم، والندم توبة.

١٧٩٢. تفيد: أنّ الذنب يجر إلى ذنب آخر ثم إلى ذنوب كثيرة ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ﴾فالأولى خدع والدهم لأخذ يوسف عليه الصلاة والسلام، والثانية رميه في الجب، والثالث الكذب على والدهم، والرابعة ما ادخلوا عليه من الحزن، وهكذا الذنوب تبدأ بفكرة، وتقود لمهلكة.

١٧٩٣. فيها: أثر الاستغفار في مغفرة الذنوب، وسترها، والتجاوز عنها ولذلك حرصوا عليه، وهو من أصول دعوة الرسل.

١٧٩٤. فيها: إشارة لثقتهم بالصفح عنهم، ولذلك لاذوا للاستغفار.

١٧٩٥. تشير إلى: استعظام الذنوب، وعدم تقليلها في النفس؛ فلا يقولن "ذنوبي قليلة"؛ لقوله: ﴿ذُنُوبَنَآ﴾؛ مع أنّه ذنب واحد في الأصل؛ إلا أنّه جرّ ذنوباً.

١٧٩٦. فيها: كريم خلق يعقوب عليه الصلاة والسلام حيث وعدهم بالاستغفار لهم، مع ما لحقه من أذى من قبلهم.

١٧٩٧. فيها: أنّ على المسلم أن يتحيّن أوقات إجابة الدعاء.

١٧٩٨. فيها: ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾تسكيناً لنفوسهم وجبراً لخاطرهم، وتقوية لأملهم بقبول وإجابة دعائهم.

١٧٩٩. المجيء ب﴿سَوۡفَ﴾دون السين فيه، شدّة شفقة يعقوب عليه الصلاة والسلام على بنيه، والخوف عليهم؛ لأنّ "سوف" فيها معنى زائد على السين، وهي أبلغ منها في التنفيس على الصحيح، ويظهر فيها عزم نبي الله يعقوب على الاستغفار لأولاده، واختيار الوقت الذي هو مظنة إجابة الدعاء. قال ابن الجوزي "قالَ الزَّجّاجُ: انما أرادَ الوَقْتَ الَّذِي هو أخْلَقُ لِإجابَةِ الدُّعاءِ، لا انهُ ضَنَّ عَلَيْهِمْ بالاستغفار، وهَذا أشْبَهُ بِأخْلاقِ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلامُ"، وفي هذا من الفوائد إظهار الشفقة على الأولاد، والدعاء لهم في أوقات الإجابة.

١٨٠٠. فيها: دلالة أنّه يستغفر لهم في الحال، وأنّه مستمر في المستقبل ليبين لهم عظم ذنبهم.

١٨٠١. منها: أسلوب تربوي هو تسويف بعض الطلبات بقصد المراجعة والتأديب.

١٨٠٢. وقد يكون من دعاء الوالد المستمر لأولاده، وأن الموضوع يحتاج إلي إلحاح، ودعاء مستمر لفظاعته.

١٨٠٣. تفيد: أنّ بعض ما يقع على العبد من الأخطاء، والتجاوزات من بعض البشر قد يحتاج من أجل تجاوزها والصفح عنها إلى مدة لتصفية النفس، وحملها على نسيان الماضي ومحو ما علق بها من ترسبات.

١٨٠٤. فيها: أنّ الاستغفار، والدعاء له أوقات، وأماكن وأحوال مفضلة لذلك أرجأ يعقوب عليه الصلاة والسلام الاستغفار لهم.

١٨٠٥. فيها: مشروعية الوعد بالدعاء لمن طلبه.

١٨٠٦. فيها: كريم خلق الأنبياء حيث تنازل لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام عن حقه الخاص، وسعى معهم، وأعانهم لكي يرفع عنهم حق الله تعالى.

١٨٠٧. فيها: أنّ الأنبياء أنفسهم يدعون رغباً ورهباً ويرجون الإجابة ويخافون ردها.

١٨٠٨. فيها: الرد على بعض الغالين من المتصوفة الذين يعطون لمريديهم صكوك الغفران من غير تعليق بالمشيئة.

١٨٠٩. فيها: سعة مغفرة الله عز وجل، وعظيم عفوه لمن أقر بذنبه وأناب إليه سبحانه وتعالى.

١٨١٠. فيها: عدم تقنيط العاصي، وتذكيره بسعة رحمة الله.

١٨١١. فيها: تقديم المغفرة على الرحمة؛ لأنّ المغفرة دفع الشر، والرحمة فيها جلب الخير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ يوسف: [٩٩].

١٨١٢. فيها: مكانة الأسرة في الإسلام كرباط اجتماعي وثيق تقوم على حقوق، وواجبات، وإطار يصون الأفراد، ويرعى تنشأتهم، وأمنهم، واستقرارهم، ويحفظ دينهم، وقيمهم.

١٨١٣. فيها: أنّ يقدّم الابن الأبوين، ويخصهما على غيرهما من باقي الأهل والأقارب؛ لقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟﴾ جميع أهله ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ اختصهما بقربه، ولما للأبوين ما ليس لأحد.

١٨١٤. تفيد: مشروعية التفريق في الضيافة، والاستقبال بين أصحاب اللقاء الأوّل، وبين من تكرر لقاؤهم عدة مرات؛ لقوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ ولم يقل: (وإخوته).

١٨١٥. فيها: فضيلة إنزال النّاس منازلهم فخص الأبوين دون غيرهما، وإن نال الآخرون ما نالوا من الإكرام.

١٨١٦. فيها: أنّه يتأكد على المرء أن يكرم، والديه إذا وسّع عليه.

١٨١٧. تفيد: التوجيه الي إكرام الضيوف، والحفاوة بهم، والترحيب بهم ومحادثتهم أنساً بهم.

١٨١٨. فيها: أنّه لا يتعالى على الوالدين؛ لا سيّما عند الترؤس والتسوّد؛ فعندهما تخفض الرتب.

١٨١٩. تفيد: حاجة الأنبياء وفقرهم، لربهم، وأنّهم لا يملكون من أمر الله شيئاً؛ فإنّ نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام لا يملك لوالديه نفعاً إلا بالله؛ لذا استثنى قائلا ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

١٨٢٠. فيها: التعلّق بالله عز وجل، وربط حصول المطلوبات بمشيئته؛ لقوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

١٨٢١. تفيد: أنّ الدول كان لها حدود تعرف بها، ومسمى كذلك منذ القدم.

١٨٢٢. تفيد: أهمية ومنزلة ومكانة الأمن في حياة الشعوب والأمم.

١٨٢٣. تفيد: أنّ الأمن، والأمان إنّما هو من الله تعالى، وأنّ الإنسان مهما بذل من جهود في الحماية والأمان فإنّ مشيئة الله تعالى فوق كل مشيئة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾يوسف: [١٠٠].

١٨٢٤. فيها: أنّ الرفع الحسي للأبوين على العرش من الابن العزيز نابع وتابع للرفع الإيماني والتربوي للأبناء من الأبوين، فمن رفع قدر أبنائه إيمانياً، وتربوياً في الدنيا رفعوا قدره في الدنيا والأخرى.

١٨٢٥. تفيد أن سجود التحية كان مشروعاً في الشرائع السابقة ونسخة في شريعة محمدﷺ.

١٨٢٦. فيها: صدق تحقق الرؤية الصالحة، فقد تحققت رؤية يوسف عليه الصلاة والسلام في صباه.

١٨٢٧. تفيد أن تحقق الرؤى قد يستغرق سنوات من العمر.

١٨٢٨. تفيد: أنّ من شيم الكرماء أن يتغاضوا عمن أساء في حقهم؛ فهذا يوسف الكريم لم يذكر إساءة إخوته إليه بإلقائه في الجبّ صراحة، وإنما أشار لذلك بنزغ الشيطان بينه، وبينهم.

١٨٢٩. فيها: التورية مراعاة للمشاعر: فقد قال السجن ولم يقل الجب متأدباً مع إخوته حتى لا يخجلهم.

١٨٣٠. فيها: كريم خلق يوسف عليه الصلاة والسلام، ولطف قوله حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب.

١٨٣١. فيها: جمال الترحيب والبشر والبشاشة بالضيف، حيث يظهر في قوله ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ المبالغة في الترحيب بالضيوف من أهل مودة الدين والرحم، ولم ينسب الفضل إليه.

١٨٣٢. فيها: مراعاة مشاعر المذنب التائب، ففي قوله ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ يظهر إشراك نفسه فيما وقع فيه إخوته من نزغ؛ بل قدم نفسه عليهم؛ ليُذهب عنهم ندم الفعل في وقت تصافي القلوب ولم الشمل.

١٨٣٣. تفيد: أنّ الحسد مما يفسد به الشيطان بين الأخوة، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾.

١٨٣٤. فيها: نعمة الانتقال من البدو، وتلمس خيرات الحضر المتنوعة.

١٨٣٥. تفيد: أنّ المعيشة مع الأبوين، والإخوة من أهمّ إحسان الله تعالى على العبد.

١٨٣٦. تفيد: أنّ الذي يفرج الكربات هو الله تعالى وحده﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ﴾.

١٨٣٧. تفيد: أنّ السجن بالباطل ليس هو مما يستحي منه الإنسان، بل هو شرف اختاره يوسف عليه الصلاة والسلام عن الفاحشة.

١٨٣٨. فيها: دقّة ألفاظ القرآن في قوله ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ﴾لأن الإحسان هنا متعدي النفع ليوسف عليه الصلاة والسلام ولأبويه ولإخوته حيث جاء بهم من البدو إلى الحضر.

١٨٣٩. يؤخذ من الآية تذكّر نعم الله عند اجتماع الأسرة، وسدّ مداخل الشيطان بين أفرادها.

١٨٤٠. فيها: أنّ التفرّق من الشيطان.

١٨٤١. التفريق بين الإخوة من مهمات عمل الشيطان، فمن فرّق بين متحابين فقد شابه الشيطان في عمله.

١٨٤٢. فيها: أنّه سبحانه قد يوصل العبد المنازل العليا بأمور يكرهها.

١٨٤٣. فيها: تذكّر الحزن في حالة الرخاء زيادة في الشكر، والثناء.

١٨٤٤. فيها: أنّ أقدار الله لا تنفك أبدًا عن لطفه، ولكنّها تحتاج إلى يقين وصبر.

١٨٤٥. فيها: أنّ العبد يستشعر لطف ربه به ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ ليتخلق بخلق اللطف في تعامله مع الناس.

١٨٤٦. فيها: أنّ الله تعالى يختص بلطفه من يشاء من عباده ﴿لِّمَا يَشَآءُۚ﴾وفيه اصطفاء، واجتباء لأهل اللطف، والإحسان من العباد.

١٨٤٧. فيها: أثر التربية الإيمانية بأسماء الله الحسنى، وصفاته العلا؛ فقد ختم نبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام وصيته لابنه يوسف عليه السلام بعد أن قصّ عليه الرؤيا بأسماء الله الحسنى ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ بإضافة اسم الرب إلى ابنه ليستشعر تدبير ربه، فتمسك الابن بالوصية العظيمة واستشعر عظمة تلكم الأسماء، والصفات في رحلة الابتلاء فأعادها في آخر فصول القصة ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

١٨٤٨. تفيد: أهمية معرفة لطف الله تعالى من خلال ما يحلّ بالعبد من ابتلاء، واختبار.

١٨٤٩. ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾تشير إلى أنّ مشيئة الله محققة بلطفه سبحانه وهو العليم بما ينفعنا الحكيم في قضائه.

١٨٥٠. فيها: تقديم لطفه سبحانه قبل المشيئة فأقدار الله كلها خير للعبد ورحمة.

١٨٥١. فيها: يأتي التمكين بعد التمحيص، وتنقية القلب من كل شوائب الدنيا.

١٨٥٢. فيها: من علوم الأسماء، والصفات اقتران اللطيف بالعليم، وبالخبير، وأن من الصفات ما قد يتعلق بالمشيئة كاللطيف، وصفة الكلام مع إثبات أصل الصفة.

١٨٥٣. في هذه الآية الكريمة: إثبات اسمين من أسماء الله سبحانه وتعالى وإثبات ما تضمناه من الصفة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يوسف: [١٠١].

١٨٥٤. فيها: جمال الدعاء والطلب بصيغة مناسبة، وأنّ أكثر دعاء الأنبياء بكلمة ﴿رَبِّ﴾.

١٨٥٥. تفيد: التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ﴿رَبِّ﴾ ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وأنّه من آداب الدعاء، ومظنة الإجابة.

١٨٥٦. تفيد أن من ملك في الدنيا ما ملك إلا بفضل الله تعالى عليه ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾.

١٨٥٧. فيها أن الواهب لكل علم هو الله تعالى ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.

١٨٥٨. مهما بلغ علم الأنسان فهو قليل في جنب علم الله تعالى، بل إنّ مصدره من الله تعالى؛ يشير إلى هذا نسبة يوسف عليه الصلاة والسلام علمه إلى الله ﴿وَعَلَّمْتَنِي﴾ وتعبيره بالتبعيض ﴿مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.

١٨٥٩. تفيد سعة علم تأويل الرؤى، فيوسف عليه السلام يقول ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ ومن تفيد التبعيض.

١٨٦٠. فيها: شرف علم تأويل الرؤى؛ لأنّه نسب تعليمه إلى الله عز وجل وعدّه من نعمه العظيمة عليه.

١٨٦١. تفيد: تحري الدقة في الدعاء ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.

١٨٦٢. منها: من أسباب إجابة الدعاء تقديمه بالحمد، والثناء، والإقرار بالنعم، اعتراف بانكسار وتذلل بشكر، وتواضع واستشعار حال العارفين، الثناء قبل الدعاء.

١٨٦٣. فيها: الاعتراف بالفضل، والجميل لصاحبه عز وجل.

١٨٦٤. فيها: نسبة الفضل إلى المنعم، وعدم الاغترار بالنفس.

١٨٦٥. تفيد: أنّ من نعم الله تعالى على عبده أن أعطاه تلك الذاكرة القوية التي تمكنّه من ربط الأحداث بعضها ببعض، وتعينه على فهم ما حدث وجرى له منذ صغره فيربط الأوّل بالآخر، والآخر بالأول، والسبب بالمسبب، فيكون ذلك عوناً له على حمد الله تعالى والثناء عليه.

١٨٦٦. تفيد: الزهد في الدنيا، فمن علامات الزاهد أنّه لا يأسف على فائت ولا يفرح لآت؛ لأنّه ينظر إلى الأشياء بعين الفناء، والزوال لأنّها في الحقيقة كالظلال والخيال"(١).

١٨٦٧. فيها: لا يفتر، ولا يغتر العبد بنفسه، ولا يزال يلحّ على الله بالثبات حتى اللقاء.

١٨٦٨. تفيد: أنّ ولاية الله تعالى لعبده المؤمن مستمرة في الدنيا والآخرة.

١٨٦٩. كما يفيد قوله ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ قوّة التعلّق بالله تعالى، وشدّة التجاء العبد إلى ربه في كل شؤونه الدنيوية، والنجاة من عذابه، والفوز بجناته في حياته الأخروية.

١٨٧٠. يفيد قوله ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾ أنّ الوفاة على الإسلام هي أعظم المطالب والنعم، وهي وصية الله تعالى للمؤمنين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ آل عمران: [١٠٢].

١٨٧١. فيها: جمال جوامع الدعاء: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فقد جمعت إقرار واستسلام، واعتراف، وافتقار، وبراءة، وطلب حسن خاتمة، ومرافقة السعداء.

١٨٧٢. تفيد: إحسان الظنّ بولاية الله لعبده، وحسن تدبيره له في الدارين.

١٨٧٣. تفيد: منزلة التواضع لله، ففي قوله ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ تواضع نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام؛ وقبله تواضع جده أبي الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث

---

(١) مدارج السالكين ٣/٣١٨.

يقول في دعائه ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣﴾ يوسف: [٨٢-٨٣]. فمن هم الصالحون إن لم يكونوا منهم؛ ولكنّه التواضع لله تعالى، وهضم النفس، وأنّ المؤمن لا يرى نفسه دائماً إلا مقصرا في حق الله جلّ وعلا.

١٨٧٤. تفيد: فقر العبد إلى الله، فمهما أوتي في الدنيا من ملك عريض، وعلم واسع؛ فلن يرافقه إلى آخرته إلا عمله الصالح، ودلالة ذلك قول يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١٨٧٥. تفيد: أنّ مسيرة العبودية ممتدة إلى الممات.

١٨٧٦. تفيد: أنّ الإسلام أعظم النّعم، وأنّه لا قيمة للملك، وغيره بدون الإسلام.

١٨٧٧. تفيد: أنّ الذي يشغل الأنبياء ليس الموت، وإنّما الخوف على ما يموت عليه، ومن يلحق بهم بعد موته.

١٨٧٨. تفيد: أنّ المؤمن الحق قلبه معلق بحب من سبقه بالإيمان، ويأمل في اللحاق بهم لا الإساءة لهم ولعنهم كما يفعله كثير من المخذولين.

١٨٧٩. تفيد: مع ما قبلها أنّ المواقف السعيدة، والاجتماعات البهيجة لا تنسي العبد المؤمن ما خلق من أجله، بل هي تذكره بفرقة الوفاة.

١٨٨٠. تفيد أهمية معرفة سير الصالحين والاقتداء بهم وسؤال الله تعالى الحشر في زمرتهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ يوسف: [١٠٢].

١٨٨١. يشير اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى بعد شأن نبأ قصة نبي الله يوسف وأبيه، وإخوته وتعظيمه؛ لتعظّمه نفوس السامعين؛ فيتعظون بها.

١٨٨٢. فيها: إعجاز القرآن الكريم وإخباره عن: الماضي والحاضر والمستقبل.

١٨٨٣. تفيد: أنّ الله قد يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الغيب ليثبت به فؤاده، ويشجع قلبه بقصص من قبله.

١٨٨٤. تفيد: كثرة أنباء الغيب، ولكن الله اصطفى لهذه الأمة أحسنها، وأنفعها لها كما جاء ذلك في فاتحة السورة.

١٨٨٥. قاعدة راسخة: أنّ الغيب لا يكون إلا بوحي من الله تعالى؛ وما عداه دعاوى لا تقوم على ساق.

١٨٨٦. فيها: دلالة على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وصدق رسالته؛ إذ إخباره بهذه الغيوب دليل على ذلك.

١٨٨٧. يستلزم قوله تعالى: ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ وجوب الإيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٨٨٨. تفيد: تعظيم الربّ جلّ وعلا لقوله: ﴿نُوحِيهِ﴾ بصيغة الجمع التي تدل على التعظيم والإجلال.

١٨٨٩. تفيد: دليل إعجازي خبري حيث بينت الآيات خفايا ما كان يدور بينهم مما لا يعلمه أحد سواه، جلّ وعلا.

١٨٩٠. فيها: عناية الله وتسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قص قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بأنّ الله جعل له العاقبة، والملك والنصر على إخوته رغم كيدهم له، والسعي في إهلاكه.

١٨٩١. فيها: امتداد هذا المكر بصفة متجددة إلى أتباع الرسل الذين على الدين الحق.

١٨٩٢. فيها: التعبير بصيغة المضارع في ﴿يَمْكُرُونَ﴾ لاستحضار الحالة التي كانوا عليها.

١٨٩٣. وفي قوله ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ دليل على نفي علم الغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

١٨٩٤. تفيد: أنّ الله، لا يحبّ الفساد، ويكره المعصية؛ لأنّه سمى ما فعله إخوة يوسف فيهَ أبيه – عليهم السلام – "مكرا".

١٨٩٥. تفيد: اجتماع بعض بني البشر على الشر، وإن كانوا إخوة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ يوسف: [١٠٣].

١٨٩٦. بمناسبة لما قبلها: تفيد أهمية الدعاء، وسؤال الله الموت على الإسلام، وهنا أخبر: أنّ أكثر الناس لا يؤمنون؛ فدل أن أكثرهم يموتون على الكفر على غير الإسلام.

١٨٩٧. تفيد: أنّ الكثرة لا تعنى الفلاح.

١٨٩٨. تفيد: أنّ استفتاء عامة الناس في الأمور العظام قد لا تكون الطريقة المثلي في الوصول إلى الحق.

١٨٩٩. وفي الألف واللام في قوله ﴿ٱلنَّاسِ﴾ دلالة على عالمية دعوة الإسلام؛ وأنّها للناس جميعاً إلى قيام الساعة.

١٩٠٠. فيها: أنّ السعيد من اصطفاه الله من بين الناس ليكون من المؤمنين القلة.

١٩٠١. فيها: تسلية عظيمة للعاملين في الدعوة إلى الله، هون على نفسك فهذه سنة الله التي لا تتبدل في خلقه إذا كان هذا مع ما عنده من حجة، وبيان وقبول فكيف بغيره من الناس.

١٩٠٢. تفيد: التحريض على سلوك منهج الأنبياء.

١٩٠٣. تفيد: حرص النبي صلى الله عليه وسلم على دخول أمته الإسلام، واستقرار الإيمان في قلوبهم.

١٩٠٤. فيها أنّ الأمور وقلوب العباد بيد الله ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾.

١٩٠٥. فيها: أنّ السبب قد يوجد، والنتيجة تتخلف.

١٩٠٦. تفيد: تنبيه الناس عامة والدعاة، والمصلحين خاصة أنّ عدم قبول الحق مع وجود الحجج البينة، والبراهين الثابتة لا يقدح في الحق.

١٩٠٧. فيها: أنّ الداعية لا يتسرب إلى نفسه عدم جدوى طرائق دعوته إلى الله تعالى بكثرة المعرضين إذا كانت على بصيرة.

١٩٠٨. فيها بيان لطف الله تعالى ورحمته بالمصلحين بتسليتهم إذا بذلوا الوسع في دعوة الناس إلى الإيمان وقُبِلوا بالصد والهجران.

١٩٠٩. تفيد: رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدعويين، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله.

١٩١٠. تفيد: تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ألا يحزن لعدم إيمان من لم يؤمن من اليهود، وغيرهم من أعداء الإسلام.

١٩١١. تفيد: كمال حلمه جلّ وعلا، فهو يرزقهم مع علمه بكفرهم، وأنّهم لا يؤمنون به.

١٩١٢. فيها: أنّ الدعوة لا تترك حتى مع وجود هذه السنة القدرية (عدم إيمانهم).

١٩١٣. فيها: أنّ القدر لا ينافي الأمر، فالله قدر عدم الإيمان وأمر بالدعوة.

١٩١٤. تتفيد: أنّ المطلوب بذل غاية الجهد في الدعوة، وعدم الاتكال على القدر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يوسف: [١٠٤].

١٩١٥. مناسبة الآية لسابقتها: العامل مع الله يجازيه الله.

١٩١٦. أعلى درجات التربية، وأساليب غرس القناعات أن تقول للمتلقي: أنت لا تفعل هذا، هذا ليس من شيمك، وشتان بين هذا الأسلوب وبين النهي المباشر، وذلك لما جبلت عليه النفوس من الأنفة من الأمر المباشر المتضمن لدونية المأمور.

١٩١٧. فيها: تربية الدعاة على أن تكون أيديهم هي العليا، وأن يكونوا هم الباذلين مالهم، ووقتهم، وأنفسهم في سبيل الله.

١٩١٨. تفيد: أنّ تلقي الداعية للأموال من الأفراد، أو الدول قد يؤثر في أثر دعوته عليهم، وعلى الناس.

١٩١٩. يفيد التنكير في قوله ﴿مِنۡ أَجۡرٍۚ﴾عموم النهي عن كافة أنواع سؤال الأموال.

١٩٢٠. فيها: الإخلاص لله في الدعوة إلى الله.

١٩٢١. فيها: تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم، وألا يتأسّف على تكذيبهم، وعدم إيمانهم.

١٩٢٢. تفيد: أنّ على الداعية أن يكون مخلصاً ومحتسباً في دعوته؛ فلا يبتغي من دعوته غير وجه الله عز وجل، وثوابه.

١٩٢٣. فيها: توبيخ الكفار، وإقامة الحجة عليهم؛ إذ لم يسألهم النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة أجراً، فهم عن سداد ذلك عاجزون﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ القلم: [٤٦].

١٩٢٤. فيها: أنّ على من تصدر لإرشاد الناس وتعليمهم، اجتناب ما يمنع من قبول كلامه.

١٩٢٥. تشير كلمة ﴿ذِكۡرٞ﴾إلى أنّ الفطرة في الإنسان أن يظل ذاكراً لله [(١)].

١٩٢٦. فيها: أنّ من أسماء القرآن ﴿ذِكۡرٞ﴾؛ كما قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

١٩٢٧. تفيد: أنّ القرآن الكريم تذكرة، وموعظة.

١٩٢٨. يفيد قوله تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾أنّ آيات الله مبذولة للعالمين، لا احتكار فيها لأمة، ولا جنس، ولا قبيلة، ولا ثمن لها يعجز عنه أحد، فيمتاز الأغنياء على الفقراء، ولا شرط لها يعجز عنه أحد فيمتاز القادرون على العاجزين.

١٩٢٩. فيها: أنّ دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عامة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾يوسف: [١٠٥].

١٩٣٠. يفيد تركيب ﴿وَكَأَيِّن﴾من كاف التشبيه، وأي الاستفهامية بمعنى (كم) الخبرية التي تفيد الكثرة لآيات الله تعالى.

١٩٣١. هذه الآية مع ضميمة ما قبلها تفيد: أنّ على الداعية تنويع الخطاب مع المدعوين.

---

(١) الشعراوي١٢/٧١٠٩.

١٩٣٢. تفيد: أنّ آيات الله تعالى التي تدلّ على توحيده، وعظمته متنوعة؛ فمنها الآيات المشاهدة في هذا الكون الفسيح، ومنها الآيات المتلوة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٩٣٣. تفيد: وجوب التفكر في آيات الله.

١٩٣٤. فيها: أنّ على الداعية أن يتسلح بسلاح العلم بالأحكام الشرعية، والعلم بالعلوم العصرية، ويسخّرها للتعريف بالله سبحانه وتعالى.

١٩٣٥. تفيد: أنّ من كتب الله له الهداية ينساق إليها بأيسر السبل ومن لم يكن كذلك فلن يهتدي أبداً مهما بذلت من أسباب.

١٩٣٦. فيها: توجيه للدعاة أن يعتنوا بلفت أنظار النّاس إلى آيات الله في الكون.

١٩٣٧. فيها: لطف الله، ورحمته بالعباد بالدلالة عليه من خلال تنوع الآيات في كتابه المتلو، وملكوته المنظور.

١٩٣٨. فيها: قيام الحجّة على العباد بكثرة الآيات الكونية، والشرعية.

١٩٣٩. يفيد: تقديم السماوات فيه إشارة إلى كثرة ما فيها من آيات وعظم ما فيها من دلالات.

١٩٤٠. يفيد: استعمال المضارع ﴿يَمُرُّونَ﴾ يدل على كثرة هؤلاء الغافلين وتطاول غفلتهم، واستمرارها.

١٩٤١. فيها: تسلية للدعاة بأنّ المدعوين جبلوا على الإعراض.

١٩٤٢. فيها: إعراض الكفّار عن آيات الله، وكما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ الأنبياء: [٣٢].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ يوسف: [١٠٦-١٠٧].

١٩٤٣. تفيد: تنوّع إعراض الناس عن آيات الله.

١٩٤٤. تفيد: أنّ المشركين، لا يكابرون في توحيد الربوبية؛ وإنّما كبرهم في الألوهية.

١٩٤٥. تفيد: أنّ الإقرار بالربوبية فقط لا يكفي؛ بل لا بدّ من تحقيق جميع أنواع التوحيد.

١٩٤٦. فيها: تهديد عظيم لأهل الشرك، وأنّه لا أمن إلا في ظلّ تحقيق التوحيد.

١٩٤٧. تهدي إلى: الإشارة لعلوم مشكل القرآن، أو طلب حل إشكالات المعاني لاجتماع الأضداد ظاهرا، فأنّه في الظاهر أثبت إيماناً بينما هو متلبس بحقيقة الشرك، وهي من ضمن الأمثلة التطبيقية التي تدل بمجموعها على علم قرآني؛ وهي من الهدايات العلمية التي تجعل الناظر في القرآن يتسلح بأمثلته المبثوثة فيه في نفسه في تقرير علومه.

١٩٤٨. تفيد: التحذير من الاغترار بالكثرة.

١٩٤٩. فيها: كثرة الشرك في القديم والحديث؛ ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ١٠٩﴾.

١٩٥٠. تفيد: مع ما قبلها أنّ الكافرين المعرضين، والمشركين في إيمانهم بربّ العالمين هم الأكثرون من الناس؛ وأنّ أهل الحق، والإيمان قلّة في كل زمان ومكان.

١٩٥١. تفيد: توخي المؤمنين الحذر من الشرك الذي قد يدُب إلى الأقوال، أو الأعمال فيفسدها.

١٩٥٢. تهدي إلى: أنّ أسلوب القصر بالنفي، والاستثناء أبلغ في الدلالة وعمق المعنى من أسلوب الخبر المجرد عنهم في شركهم.

١٩٥٣. فيها: الأمن من مكر الله دليل على ضعف العقل، وسوء التصرف.

١٩٥٤. تفيد: مدى الغفلة التي يعيش فيها الناس حتى وصلوا إلى الشعور بالأمن من مكر الله.

١٩٥٥. تفيد: أهمية معرفة سنن الله تعالى في الخلق.

١٩٥٦. فيها: التخويف من عذاب الله عز وجل لشدته، وغشيانه وشموله.

١٩٥٧. إضافة العذاب إلى رب العزة والجلال ﴿عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ يفيد التخويف الشديد.

١٩٥٨. فيها: أنّ العذاب كثير متنوع؛ لقوله: ﴿غَٰشِيَةٌ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾.

١٩٥٩. تفيد: أنّ عذاب الله؛ يهجم فجأة من غير إشعار، ولا إنذار ومن حيث لا يتوقع ﴿بَغۡتَةً﴾.

١٩٦٠. تفيد: إثبات البعث، والجزاء، والحذر منها من لوازم الإيمان الصحيح.

١٩٦١. فيها: أنّ الغفلة مع الانهماك في المعاصي مظنّة الموت على سوء الخاتمة، ونيل العذاب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: [١٠٨].

١٩٦٢. تفيد: إثبات نبوة النبي محمد ﷺ فهو مأمور بالبلاغ (قل).

١٩٦٣. تفيد: ضرورة إعلان السبيل الذي يدعو إليه الداعية بوضوح، والبراءة من الدعوات الباطلة.

١٩٦٤. تفيد: الإضافة في ﴿سَبِيلِيٓ﴾ التعريف بسبيل النبي صلى الله عليه وسلم وهو: دينه وشريعته، وطريقته، ومنهجه وسنته؛ تختلف العبارات، وتتفق الدلالات.

١٩٦٥. يفيد الفعل المضارع ﴿أَدْعُوٓاْ﴾القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى، والمصابرة عليها في الحال والمآل.

١٩٦٦. قوله تعالى:﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾تفيد التطبيق الفوري، والعمل لما تعلمته من أحكام الدين، ومسائله.

١٩٦٧. تفيد: جواز ذكر العمل الصالح، والإشهار له إن كان في ذلك مصلحة.

١٩٦٨. تفيد: وضوح طريق النبي صلى الله عليه وسلم. إذ أشار إليها بإشارة القريب ﴿هَٰذِهِۦ﴾.

١٩٦٩. ويفيد اسم الإشارة ﴿هَٰذِهِۦ﴾ قرب سبيل الحق، والهدى.

١٩٧٠. يفيد: اسم الإشارة، ﴿هَٰذِهِۦ﴾الوضوح، والشفافية، والابتعاد عن الغموض قال ابن عاشور" والإشارة إلى الشريعة بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لبلوغه من الوضوح للعقول حداً لا يخفى فيه إلا عمّن لا يُعدّ مُدْركاً"(١).

١٩٧١. تفيد: أنّ الدعوة تكون لإيصال الخلق إلى الحق جلّ جلاله؛ وذلك يؤخذ من حرف الغاية ﴿إِلَى﴾.

---

(١) التحرير والتنوير ١٣/٦٥.

١٩٧٢. فيها: الإشارة إلى الإخلاص لا لحظوظ النفوس ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾.

١٩٧٣. من لطيف الوقف، والابتداء: في الوقف على اسم الجلالة، تأكيد على شرف الدعوة إلى الله، وأنّها سبيل الأنبياء والمرسلين. وفي البدء بقوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾تنويه بالنبي الخاتم، وأمّته.

١٩٧٤. تقديم الأنا، والحديث عن النفس في كل شيء معيب إلا في توحيد الله، والبراء من الشرك.

١٩٧٥. تفيد: أنّ على القائد أن يعلن مبادئه، ويطبقها ثم يوجه لها أتباعه، فيكون هو القدوة، فبدأ بقوله ﴿أَنَا۠﴾ثم قال ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.

١٩٧٦. تفيد: أهمية العمل الجماعي، وكراهية التحزّب الباطل﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.

١٩٧٧. يفيد: قوله ﴿أَنَا۠﴾وجوب الاقتداء بالنّبي ﷺ واتباع سنته.

١٩٧٨. فيها: سلامة المقصد، والتجرّد عن الأهواء شرط للداعية المخلص.

١٩٧٩. فيها: أنّ الدعوة إلى الله عبادة، ومنهج حياة، وإن لم يرى الداعية النتائج.

١٩٨٠. تفيد: أهمية العلم قبل الدعوة، وألا يتكلم الشخص بما ليس له به علم.

١٩٨١. فيها: أنّ الدعوة إذا بنيت على التفريط في العقيدة، أو هجرها، فهي دعوة "ظلمة وجهالة"؛ منافية "للبصيرة" المذكورة.

١٩٨٢. يفيد التنكير في قوله ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾تنوعها، وتعدد أقوال أهل العلم في بيانها"(١).

١٩٨٣. قوله: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ يدلّ على لزوم العلم الذي به بيان الحق للداعية.

---

(١) قيل إن البصيرة، هي: الهدى، قاله قتادة نقله ابن أبي حاتم في تفسيره ٧ / ٢٢٠٩. الهدى أو الحق، قاله العز بن عبد السلام في تفسيره ٢ / ١٤٢. البصيرة هِيَ الْمعرفَة الَّتِي يُمَيّز بهَا بَين الْحق وَالْبَاطِل، قاله البغوي في تفسيره ٤ / ٣٨٤.الحجة والبرهان، الرازي ١٨ / ٥٢٠، وابن كثير ٤ / ٣٦٢ في تفسيرهما. اليقين، ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٢ / ٤٧٦. فالبصيرة معناها نور يقذفه الله في القلب، يرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأي عين، ابن القيم في مدارج السالكين ١ / ١٤٣..

١٩٨٤. تفيد: تشريفاً للدعاة بعطفهم على النبي صلى الله عليه وسلّم في هذه المهمة العظيمة.

١٩٨٥. تفيد: أنّ الدعوة مهمة جميع أتباع النّبي صلى الله عليه وسلّم؛ إذ لم يستثن الله أحداً بل أطلق ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾.

١٩٨٦. فيها: أنّ الكل مأمور بالدعوة على حسب حاله.

١٩٨٧. تفيد: اللجوء والاعتصام بالله في كلّ شؤون الحياة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾.

١٩٨٨. تفيد: خطر الشرك والمشركين، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٩٨٩. فيها: أنّ البراءة من الشرك وأهله من أعظم مقاصد الدعوة؛ لتذييل الآية الكريمة بقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٩٩٠. تفيد: الثبات على الحق وعدم الاغترار بكثرة الباطل وخذلان المثبطين ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: [١٠٩].

١٩٩١. فيها: أنّ كلّ رسل الله عزّ وجلّ هم من الرجال.

١٩٩٢. فيها: التباين بين الرجال، والنساء في الخلق، والخصائص، وتولي المسئوليات كل بحسبه.

١٩٩٣. فيها: أنّه سبحانه لم يبعث أحداً من البادية.

١٩٩٤. فيها: التنبيه لحكمه الله في اختياره للرسل من أهل الحضر لا البادية لكونهم أقرب في رقة أخلاقهم ولين جانبهم.

١٩٩٥. فيها: التوجيه لإدارات الدعوة وتنبيههم من أنّ أهل الحضر لا البادية أجدر، وأصبر، وأقدر.

١٩٩٦. فيها: فضيلة الخُلق الحسن، والأدب ولين القلب، والحلم وتقبل الرأي الذي يمتاز به أهل المدن عن غيرهم.

١٩٩٧. فيها: الحثّ على إعمال العقل، والنظر في العواقب، والمآلات.

١٩٩٨. يفيد: الاستفهام الإنكاري وجوب الاستفادة وأخذ العبرة من مصير الأمم السابقة.

١٩٩٩. فيها: نعمة العقل والتفكّر، ووجوب إعمالها في الخير، وما يدلّ على الله تعالى.

٢٠٠٠. فيها: أنّ أمر العواقب، والخواتيم مداره على الكيف لا الكم والباطن لا الظاهر، والقلوب لا الجوارح.

٢٠٠١. فيها: التحذير من سوء العاقبة لمن عاند الرسل، وحسن العاقبة لمن أطاعهم.

٢٠٠٢. فيها: توجيه اللاحق إلى الاتعاظ بالسابق، والعاقل من اتعظ بغيره.

٢٠٠٣. فيها: جواز المرور على ديار القوم المعذبين للتفكر والاعتبار؛ شريطة الإسراع، وعدم المكث، وأن يكون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا ان تكونوا باكين لئلا يصيبكم ما أصابهم ولما مر عليهم أسرع عليه الصلاة والسلام وقنَّع رأسه))[(١)]، وعليه: لا يجوز الذهاب إليها لغرض الفرجة والتسلية.

٢٠٠٤. فيها: أنّ سنة الله عزّ وجلّ في الأمم المكذّبة السابقة الإهلاك والدمار، ونجاة عباد الله المؤمنين.

٢٠٠٥. فيها: الزهد في الدنيا والانشغال بالآخرة.

٢٠٠٦. فيها: بقاء نعيم الآخرة، وزوال نعيم الدنيا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ يوسف: [١١٠].

٢٠٠٧. فيها: أنّ الله، لا يؤخر شيئاً إلا لحكمة.

٢٠٠٨. فيها: أنّ اشتداد الكرب، والضيق مبشر بالفرج والنصر من الله تعالى.

٢٠٠٩. فيها: أنّ الفرج يحلّ في أحلك اللحظات السابقة لليأس، فتفرج بأوسع الأبواب.

٢٠١٠. فيها: أنّ النصر، من عند الله.

---

(١) أخرجه البخاري.١/ ٩٤، ومسلم ٤/٢٢٨٥.

٢٠١١. فيها: بيان عظيم قدرة الله، فهو يهلك لينصر ويقهر، وينجي كذلك ليعز ويكرم، لقوله: ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾، فقد أنجى بالماء نوحاً ومن معه، وبه أغرق الكافرين، ومن بعدهم فرعون وجنده.

٢٠١٢. فيها: أنّ الله يملي للمكذبين، والظالمين والكافرين؛ حتى إذا أخذهم لم يفلتهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف: [١١١].

٢٠١٣. فيها: وبضميمة أوّل السورة أنّ أحسن القصص ما كان من عند الله.

٢٠١٤. فيها: جمال التناسق البديع والتناسب الظاهر بين أوّلها وآخرها، وسائر ما ورد فيها، فكم ابتلي الرسل بالشدائد، والمصاعب، ثم يمكن لهم في الأرض.

٢٠١٥. تفيد: أنّ أسلوب القصص من أنفع الأساليب في التعليم للاعتبار، وبناء القيم، والأخلاق.

٢٠١٦. فيها: أثر القصة في غرس القيم، والمبادئ الحسنة.

٢٠١٧. فيها أنّ الاعتبار بالقصص لا يحصل إلا لمن رزق عقلاً راجحاً.

٢٠١٨. وفي قوله ﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ معيار قرآني ليعرف الإنسان إن كان من أولي الألباب أم من غيرهم، من خلال تدبّر القرآن الكريم، والاعتبار بقصصه؛ والانتفاع بذلك.

٢٠١٩. تفيد: أنّ الانتفاع بالقصص القرآني، علامة على سلامة العقل، والهداية، والبصيرة؛ فمن أنكر شيئاً منها وجحدها، فهو على عكس ذلك؛ لقوله: ﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

٢٠٢٠. تفيد: أنّ اللب أخص من العقل، فالعقل قد تشوبه شائبة كالهوى وغلبة الإلف والعادة، أمّا اللب فهو أخص من العقل، ولذلك قال تعالى في البقرة: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ بعد قوله: ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: [٢٦٩].

٢٠٢١. وفي قوله ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ دليل على أنّ غير قصص القرآن قد يقع فيها افتراء بالزيادة، أو النقصان.

٢٠٢٢. تفيد: أنّ القصص القرآني كامل في قصده ومحتواه، على عكس القراءة التاريخية البشرية للأحداث إذ تأتي قاصرة مصبوغة بعقلية ونفسية القارئ، إلا قليلا.

٢٠٢٣. وفي قوله: ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ دليلٌ على أنّ الكتب السماوية تخرج من مشكاة واحدة للوحي؛ ويصدق بعضها بعضاً قبل أن تمتدّ إليها يد التحريف.

٢٠٢٤. تفيد: أنّ قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، كانت في التوراة، والإنجيل؛ لكن لم تكن مفصلة كما في القرآن.

٢٠٢٥. فيها: اشتراط الإيمان للانتفاع بهدى القرآن.

٢٠٢٦. تفيد: لفظة ﴿وَهُدًى﴾ الراحة النفسية التي تبعثها القصة وكذلك لفظة: ﴿وَرَحۡمَةً﴾.

٢٠٢٧. تفيد: أنّ الدنيا لن تصفو لأحد كائنا من كان؛ فهي حياة متقلبة خيرها مشوب بشرها، ولذاتها ممزوجة بآلامها، والناجي منها من أشغل نفسه بطاعة ربه.

٢٠٢٨. تفيد: أهمية أسلوب القصص في التعليم، مهما طالت الأيّام سيعرف الصادق من الكاذب. تجر عليك المعصية الواحدة العدد الكبير من الآثام والمعاصي، فانتبه.

تم بحمد الله

وبهذا تمت سورة يوسف في ٢٠٢٨ هداية

بتاريخ ٢٧/رمضان/١٤٤٢هـ

ولله الحمد والمنة ومنه التوفيق والعصمة.

تلخيص دكتور محمد عبد الرازق مصطفى